رواية

أنا وانت يساوي..



سارة محمد سيف

أنا وأنتِ يساوي ..

سارة محمد سيف

الفصل الأول

ليلة شديدة السواد؛ فغياب القمر وإختفاءه بين السحاب أبدى الدنيا كامرأة ترتدي عباءة سمراء، ليلة كئيبة تتناسب مع صوت البكاء الصامت؛ فالدموع تهطل بغزارة زخات المطر مُعلنة بداية فصل الشتاء وعن قدوم شتاء شديد القسوة.

تجلس امرأة أو بالأحرى فتاة في مقتبل العمر؛ أحالها حزنها إلى امرأة تحمل هموم الدنيا كلها فوق كتفيها، تنظر إلى الطفل النائم بجوارها وملامح البراءة تطغى على وجهه الملائكي النقي.

تبدأ ابتسامة صغيرة على شفتيها بالظهور .. ويتوقف شلال الدموع، ولكن ما إن تتذكر معاملة والده لها كأنها ليست زوجته ولا تمت للبشرية من الأساس لديها مشاعر؛ حتى يعود شلال الدموع إلى التدفق مجددا لتخرج به كل ما تخفيه في صدرها ولا تستطيع البوح به لأحد.

استشعرت حركة بجوارها، وجدت طفلها الصغير الذي لم يبلغ بعد عقده الرابع يتطلع إليها ومازال النوم يداعب جفونه متمتما بصوت ناعس:

– مامي .. إنتي مش نمتي لسه ؟

تحاول رسم ابتسامة على وجهها البرئ الذي لا يختلف كثيرا عن وجه طفلها؛ فقد تشابهت الملامح بينهما، يملك نفس عينيها الرماديتين والشفاه الصغيرة والأنف الدقيق .. لكن هذا لا يعني أنه لم يرث من والده شيئا؛ ورث عنه طباعه وتقلبات مزاجه فضلا عن شعره الحريري الأسود اللامع الذي تنزل منه إحدى الخصلات لتداعب عينيه.

– لا يا حبيبي نمت .. بس صحيت عشان أصلي الفجر

غمغم بحزن: يعني صليتي الفجر من غيري يا مامي؟

أجابته بلوم حنون: وأنا أقدر بردو يا روح مامي؟ .. ما أنا كنت لسه هأصحيك أهو بس أنت صحيت لوحدك يا بطل

هلل بفرحه: هيييييه أنا أحبك أوي يا مامي

ضمته إلى صدرها بحنان أمومي: وأنا بحبك أوي يا سيف

– طب يلا يا مامي عشان أروح أصحي بابي عشان يلحق يصلي

عاد لها بعض حزنها: ماشي يا حبيبي، روح يلا صحيه

لم ينتظر حتى تُنهي كلامها؛ انطلق فورا إلى غرفة والده المجاورة راكضا لإيقاظه؛ حتى يصلي معهما الفجر.

سيف محركا والده: بابي يا بابي.. أصحى بقى .. أنت كسلان أوي يا بابي على فكرة

الأب وهو يستيقظ مبتسما على كلام طفله الحبيب: بقى أنا اللي كسلان يا أوزعه أنت، ماشي والله لأوريك

قام بحمل ابنه وإلقاءه على الفراش وبدأ في مداعبته حتى غرق الطفل في الضحك الشديد بالكاد كان يستطيع إلتقاط أنفاسه من وسطها.

تمتم من بين ضحكاته: خلاث خلاث يا بابي .. مش قادر خلاث

– أحسن بردو علشان تبقى تقول على بابي إنه كسلان بعد كدا.. بقى أنا كسلان؟؟ .. طب مش هأرحمك بقى هِـه

صرخ مستغيثا بوالدته: يا مامي خلي بابي يسبني بقى

كانت تقف على باب الغرفة تتابع المشهد في صمت والابتسامة على شفتيها تتسع كلما علت ضحكات سيف، تشعر بسعادة غامرة من تلك اللحظات الحميمة بين طفلها ووالده، لكن لم تخلو من بعض الحزن؛ فليس لها نصيب من هذه المزحات والمداعبات الصغيرة، إنها تخص ابنها وحده، أفاقت على استنجاد صغيرها بها.

ما إن سمع الأب كلام الصغير حتى توقف عن مداعبته قائلاً: يلا بقى سبني أروح أتوضا عشان نصلي

سيف وهو يتمالك ضحكاته ليستطيع النهوض: ما أنت يا بابي اللي كنتي بتزغزغني .. يعني أنت اللي عطلتني .. مش صح يا مامي؟

نزعت نظرها عن زوجها: أه .. بس كفايه دلع وروح أتوضا بسرعة

أومأ مطيعا: حاضر يا مامي رايح أهو

تنظر لزوجها: صباح الخير يا آدم

تفادى النظر لها متحججا بالبحث عن حذائه المنزلي: صباح النور يا ندى

مال رأسها بسخرية: الشبشب بقى ف رجلك خلاص بتدور على إيه؟

شعر بالحرج: لا ولا حاجه بس بألبسه كويس .. لسه صاحي بقى معلش

هزت كتفيها: عادي أنا أتعودت خلاص على المعاملة دي، عن إذنك أما أروح ألحق الصلاة

استوقفها بتوتر: طب .. طب ما تستني تصلي معايا أنا و سيف جماعة يعني

دب الأمل بين أضلاع ندى: بجد ؟

خاطبها بجدية: أه .. دي صلاة يعني.. ناخد ثوابها كلنا

ندى فرحة: طيب أنا هأروح أتوضى وأجي

تركته ندى يسبح في أفكاره، هل ما فعله صواب أم خطأ؟.. إنه لا يستطيع نسيان ما حدث منذ خمس سنوات تقريبا، بالتحديد في ليلة زفافهما، فقط يتناسى ما حدث مراعاة لولده ولأبويها الموجودين معهما في نفس المنزل.. لا يستطيع إعطاءها أمل بأن تعود علاقتهما طبيعية بعد ما حدث لا الآن أو لاحقا.. أيقظ نفسه من أوهامه.

– ليه كل دا وهي هتفتكر إني عايز أصلح علاقتنا لمجرد إني قولتلها نصلي سوا؟ .. لا لا أنا أكيد سرحت أوي .. خليني أتوضى وأصلي لأحسن سي سيف يجي دلوقتي ويعلقلي المشنقة هههههه

***

وضعت الملف فوق المكتب أمام مديره ثم تراجعت عدة خطوات إلى الخلف في أدب، تضم كفيها سويا أمام بطنها.

أمسك الملف وقلبه بين كفيه، أصدر أوامره إليها بعد هنية دون أن يرفع نظره إليها: بعد ما أمضيه تاخديه تودي لأستاذ سعيد وتتأكدي إن الملف وصله هو شخصيا، يدا بيد، مش أي حد ياخده يا سهيلة .. الملف دا مهم

أومأت تتناول الملف من يده: حاضر يا أستاذ أحمد .. أي أوامر تانية ؟

أشاح بكفه في وجهها وقد ركز انتباهه على شاشة الحاسوب يقلب صفحاته، أضافت قبل أن تغلق الباب خلفها: ياريت حضرتك تلبس النضارة عشان ما يجلكش صداع زي كل مرة

مد يده إلى آخر مكان ترك فيه نظاراته الطبية، وضعها فوق أنفه وبصره معلق بالشاشة، فور سماعه صوت إغلاق الباب خلفها بعدما تأكدت من فعل ما تطلبته، رفع بصره شاخصا في أفق آخر وقد ضاقت عيونه غارقة في تفكير يبعد عن مكان وجوده آلاف الأميال.

***

بعد الانتهاء من صلاة الفجر وعودة سيف للنوم، التفتت ندى إلى آدم قائلة: تحب أحضرلك إيه ع الفطار؟

أجابها دون النظر إليها وهو يبحث عن شئ يرتديه للذهاب إلى العمل: لا ما تتعبيش نفسك

استفسرت: يعني أحضر أي حاجه ؟ مالكش نفس لحاجه معينة؟

هز رأسه رافضا: لا ماليش نفس أفطر أصلا.. أنا هألبس وأنزل على طول.. ورايا كشوفات كتير قبل العمليات

في محاولة لتخفي خيبة أملها: أنا مش عارفه أنت طلعت دكتور ليه؟ وكمان دكتور قلب .. أنا لما بأشوف الدم بأحس إنه هيغمى عليا؛ فما بالك بقى لو شوفت قلب هههه

رد ببرود: بس مش إنتي اللي بتشوفي القلب دا .. أنا اللي بأشوفه

شعرت بالحرج الشديد من طريقة كلامه معها، توجهت إليه قائلة: طب أوعى كدا أنا هأجهزلك هدومك .. بدل ما أنت واقف بقالك ساعة وما طلعتش حاجه .. ولا عايز تتأخر عن شوفت القلب

ودون سابق إنذار تلامست أيديهما فوق أحد القمصان، سحبها بسرعة كأنه لمس قطعة من الجمر المتقد، قال متعجلا: طيب .. أنا هأروح استحمى عقبال ما تطلعي الهدوم

دخل الحمام وقد أغلق الباب خلفه ساندا ظهره إليه، يلتقط أنفاسه فهو بالرغم من معاملته الجافة لها وابتعاده عنها إلا أنه يُكِن لها الحب ويتوتر من قربها؛ هي ما تزال حبه الأول والأوحد.

في حين كانت ندى تستنشق عدة مرات حتى تمنع قطرات الدمع من النزول، لقد أتعبتها معاملة آدم لها، هي تتحمل هذه المعاملة منذ خمس سنوات بدون أن تتبدل على الرغم من

شعورها أحيانا بحنينه إليها، مع ذلك لا يلبث أن يقوم بتصرف يجعلها تشك في تلك اللحظة وحدوثها، أخذت نفسا عميقا تدعو ربها: يا رب صبرني؛ لأحسن أنا تعبت خلاص

توجهت إلى الخزانة؛ تجهز لزوجها ملابسه كي يذهب إلى عمله الذي يعشقه.

***

دخلت فتاة بالكاد أتمت العشرين ربيعا منذ عام إلى المنزل متأففة، تدفع خصلات شعرها المثارة بسبب نسمات الهواء التي ناكفتها خلال الطريق، صفعت الباب بشدة من ثم أبعدت الكتاب والدفتر عن حضنها ووضعتهم على أقرب طاولة قبل أن تجلس جاذبة قميصها حتى يلمس طرف بنطالها .. بالكاد.

–أووووف

خرجت شقيقتها من المطبخ تستفهم سبب ضيقها: مالك يا بنتي داخله بزعابيبك كدا ليه؟ .. العفريت بترقص على واحدة ونص قدامك ولا إيه يا مرمر هههههه

مرام بخنقة: يوووه مش وقت هزارك خالص يا فريدة

فريدة بجدية: في إيه يا مرام ؟

ردت بعصبية: الولية المستفزة اللي ساكنه ف الشقة اللي قصدنا اللي اسمها أم جلال دي مش سيباني فـ حالي ف الطالعه والنازله تفضل تديني ف جنابي

اعتدلت فريدة بجسدها تنظر لشقيقتها باهتمام وقلق: وإنتي عملتي إيه المرة دي عشان تديكي كلمتين ؟

تأففت: يعني هأكون عملت إيه يعني ؟ زي كل يوم

تنهدت؛ متوقعة سبب ثورة جارتهم العجوز: يبقى أكيد علشان لبسك دا .. نبهتك 100 مرة عليه وإنتي مافيش فايده فيكي تدخلي الكلام من هنا وبتخرجيه من الناحيه التانيه

تتبعت إشارة شقيقتها إلى أذنيها على التوالي ثم ردت: ماله لبسي يعني؟ بنطلون جينز وتي شيرت زي أي بنت فـ الجامعة ماله بقى؟

لوت فريدة شفتيها ساخرة: لا أبدا، كل ما هنالك التي شيرت يدوب واصل لحزام البنطلون ولازق ف جسمك .. والبنطلون أنا شايفه الخياطه بتاعته من هنا، بس تصدقي .. مالهاش حق

بلا مبالاة لانتقادات شقيقتها: لبس البنات ف الجامعة كلها كدا

قطبت: لا طبعا، مش كلهم، إنتي اللي عاجبك وداخل مزاجك الناس دي وبتحبي تبصي عليهم وتقلديهم، ما بتشوفيش الناس التانيه اللي لابسه واسع .. ومحترم

زمت بملل: بصي بقى موال كل يوم دا أنا زهقت منه وكمان أنا حره ف لبسي المهم مش لابسه طرحه ولا أساءت لديني

غمزتها فريدة: كويس إنك عارفه، إن اللبس دا في إساءة .. وياريت تبقي عارفه إنه بيسيئ ليكي إنتي كمان

تنهدت مرام بعدما تأكدت من هزيمتها في هذا الجدال العقيم: يا ربي .. إيه مافيش مرة أغلبك ف الكلام كدا ؟

أطلقت فريدة ضحكة مصحوبة بغمزة: هتغلبيني إزاي وأنا كلامي صح؟ اعملي الصح وإنتي تغلبي أي حد مش أنا بس .. الحق غالب ولو كان قالل

–ههههههه ماشي ياختي، أومال فين هند؟ لسه ماجتش؟

–لا لسه .. بتدور على شغل كالعادة ربنا يسهلها وتلاقي حاجه كويسه ومناسبة ليها

مرام بسخرية: ااااه زي شغلانتك بالظبط مش كدا؟

لامتها: مالها شغلنتي بقى ؟ محترمة وكويسه وبأحبها

هتفت مغتاظة: مالها ؟ وكمان بتسألي! واحدة خريجة طب بيطري على سن و رمح وكمان بتقدير جيد جدا وبتشتغل ف مكتبة .. مجرد بياعه فيها، مش بتاعتها حتى

–قولتلك كل شئ نصيب وأنا مبسوطه كدا وأهي بتوفرلي وقت ليكي إنتي وهند، كمان مش أحسن ما أشتغل ف شركة ف أخر بلاد المسلمين وأصحى من خمسة الصبح وأرجع سبعة بالليل .. ولو في شغل إضافي أخلصه تسعة ولا عشرة .. كدا كنتي هتتبسطي أكتر يعني ؟

في محاولة لإرضاءها وقد قررت التراجع حتى لا تسبب الضيق الزائد لشقيقتها: لا لا لا طبعا دا إنتي حبيبتي وأغلى حاجه عندي أمووووه .. هو أنا أقدر استغنى عنك أنا بأقول بس علشان

حاجه تناسبك يعني مش يطلع عينك خمس سنين ف الكلية المنيلة دي وف الآخر ما تستفيديش منها.. دا كل قصدي والله

حمدت ربها: مين عارف .. يمكن يجي اليوم اللي هاستفيد بيها فيه .. المهم يلا روحي غيري هدومك عقبال ما أجهز السفرة وتكون هند جات عشان نتغدى سوا

–ماشي يا فيري، مادام فيها أكل يبقى طيارة وتلاقيني قاعده ع السفرة

زفرت بحدة: يادي النيلة إنتي يا بت ما بتحرميش؟ أنا مش قولتلك قبل كدا مش بأحب اسم فيري دا؟

قهقهت بشدة: عشان على اسم مسحوق غسيل المواعين يعني؟ ما هو كدا كدا ف وشك طول اليوم ف المطبخ بتستخدميه وف التلفزيون بتشوفي إعلاناته هتيجي على إني أناديكي بيه ؟

رفعت فريدة الملعقة الخشبية المستخدمة في الطهي مهددة: بت مالكيش أكل عندي .. ويلا بقى انجري من خلقتي بدل ما أحدفك بغطى الحله

انسحبت تكتم ضحكاتها: طب قوليلي اسم دلع ليكي تاني أنا حاولت ومالاقتش

هزت رأسها دون أدنى اهتمام: إن شا الله عنك ما دلعتيني، المهم الاسم دا ما أسمعوش تاني فاهمة

بمسكنة قطة تتودد لصاحبها: خلاص خلاص يا قمر ولا تزعل نفسك أموووه .. المهم اكليني وأنا أعملك اللي إنتي عايزاه يا جميل

-ماشي يا مفجوعه .. همك على بطنك كدا على طول

خرجت مرام من المطبخ ثم توقفت عند عتبة الباب قائلة: فيري فيري

وأخرجت لسانها لأختها وركضت مسرعة إلى غرفتها، فلم تدركها فريدة بحنقها أو الملعقة بسخونتها وما تحمله من بقايا الطعام.



الفصل الثاني

الديكورات في المكتب شديدة التناسق، في ذات الوقت توحي بعملية وجدية صاحبها؛ مكتب من الزان الخالص باللون البني اللامع، أمامه طاولة صغيرة تحتل مكانا يتوسط مقعدين للزوار .. وفي الركن الآخر أريكة جلدية بلون كريمي يتناسق مع باقي الأثاث والستائر المكتبية ذات درجة بنية، بنهاية الغرفة يوجد بابين متجاورين أقصاهما ناحية اليسار يؤدي إلى الحمام فيما الأخر يوصل على حجرة الاجتماعات.

صرح أحمد دون أن يزحزح حدقتيه بعيدا عن الأوراق التي يوقعها بعد دراستها: اتفضل

أكرم بابتسامة مشرقة: صباح الخير يا أحلى أحمد ف الدنيا

نظر أحمد في ساعته ورد عليه من دون النظر إليه: صباح الخير؟ دا العصر على وشك

أكرم بضحكة غير مهتمة: خلاص تبقى صباح الخير بالليل

أحمد متنهدا: أكرم .. إيه اللي جابك الساعة دي ؟

مثل أكرم الصدمة وكأنه أحد أبطال مسلسل هندي: اااه .. أخي ويحك .. ما هذا السؤال العجيب المريب الغريب المريب ؟

علق بدون اهتمام : قولت مريب مرتين

استغرب: دا بجد؟ .. اه تصدق صح .. وبعدين أنت بتركز كدا ليه؟ يا راجل كبر مخك

خرجت ضحكة رغما عنه وإن كان بها بعض الجدية: يخرب عقلك أكتر ما هو خربان .. بقى دا منظر ولا كلام دكتور ف جامعة .. المفروض بيعلم الطلبة ؟

ابتسم: ما هو من كتر التعامل مع الطلبة بقيت واحد منهم.. سيبك أنت المهم يلا بينا؛ عازمك ع الغدا وخلي بالك العزومه دي ما بتتكررش كتير .. انتهز الفرصة

نظر إليه من أسفل نظاراته: أنا اللي فاكره إن أنت لسه عازمني من خمس أيام ع الغدا وقبلها بيومين بردو عزمتني .. دا وأنت مش بتكرر العزومه كتير، أومال لو كررتها هتعمل إيه ؟

اصطنع الخجل وسعل: إحم إحم .. كنت فطرت واتغديت واتعشيت معاك، إيه رأيك .. أهو رخامه كدا

– لا لا أنت هتقولي .. أمشي قدامي يا رخم

–هههههه واء واء .. أنت وحش يا عمو .. أنت كخه

– مافيش فايدة، الله يعين الطلبة بتوعك .. وأنا بأقول سيف بيجيب الكلام الغريب دا منين .. طلع مش من برا

–مالكش دعوة بسيفو حبيبي .. ويلا بينا بقى .. لأحسن هفتاااان

نهض معه مستسلماً، قرر استغلال الفرصة لأخذ قسط من الراحة؛ فأثناء العمل لا يشعر بمرور الوقت إلا إذا دقت معاونته الباب تذكره بإجتماع جديد، ينسى الطعام والنوم حتى يسقط من شدة التعب فيما يشبه الغيبوبة.

لا يكل من العمل الذي كرس ما تبقى من حياته لأجله، لم يفكر لمرة بالزواج وتأسيس عائلة .. إلا عندما رأى سيف وحمله بين يديه فور ولادته؛ مما جعل عاطفة الأبوة تظهر على السطح لأول مرة، لكنه أجل الموضوع إلى أجل غير مسمى.

***

اجتمعت الثلاث أخوات على طاولة الطعام، يتشاركنه، يرافقهن الحديث والكلام .. فتخبر كل واحدة منهن شقيقتها ما حدث معها خلال اليوم.

كانت العلاقة بينهن أحسن ما يكون، مهما دارت بهن الأيام لم يجدن سوى بعضهن خير أنيس وأفضل صديق .. فالأخت نعمة لا يعرف عظمتها إلا من فقدها.

يوم تجد جميع الأبواب قد سُدت في وجهك، وغضت الدنيا بصرها عن وجودك فتركتك هائما وسط شجونك .. تتركك تسبح وسط مصاعبك وتتلوى من أوجاعك، لا تهتم إذا أصاب الإرهاق عضلات ذراعيك من مقاومة الأمواج المتلاحقة؛ فتأتي أخت بنكهة أم تلقي لك طوق النجاة وتسحبك إلى بر الأمان .. فتجد رأسك وقد استكان فوق صدر قد فاض به الحنان.

الأخت أمٌ ثانية، رحمة بمن فقد أمه وهبة لمن صار يملك أميّن، فإذا غضبت منه الأولى التجئ إلى الأخرى، تشبعه حنانا وتغمره دفئا، تعينه على ما به وتشدُ على كفيه .. تعطيه الدعم؛ فهي أنقى من الماء ووجودها أشد حلاوة من العسل .. فتُحيل الصبار تمراً، والجحيم جنة.

توسلت فريدة لشقيقتها حتى تكمل طعامها: يلا يا هنودة يا حبيبتي .. بالهنا والشفا

زفرت هند مستكثرة ما وضع أمامها من طعام كأنها ملكة توجت على عرش المنزل: مش كتير أوي دا يا فريدة ؟

مرام تخفي ضحكاتها خلف ملعقة أخرى من الطعام: كلي وإنتي ساكته بدل ما تحدفهم ف زورك عدل وما يعدوش ع الطبق حتى ..

زمت فريدة شفتيها غيظاً: هاهاهاها، إيه الخفة دي يا ست مرام ماكنتش أعرف إن دمك خفيف كدا

استمرت مرام في مشاكستها: وهتعرفي منين يعني، كنتي عملتيلي سيادتك تحليل دم ولا حاجه ؟

تركت فريدة ملعقتها مهددة: لا دا أنا اللي هأصفي دمك دلوقتي

سعلت هند ضاحكة: كفايه حرام عليكوا .. هأموت م الضحك

التفتت إليها فريدة بحنان قاصدة إغاظة الأخرى: بعد الشر عنك يا حبيبتي .. أموووه

مرام بغيظ مصطنع: أيوه بقى، ناس ليها بعد الشر وناس ليها تصفية الدم

حدثتها فريدة دون النظر إليها: أيوه بالظبط كدا عشان الناس اللي مش بتسمع الكلام

ثارت مرام: يوووه مش المفروض أقتنع بالحاجه قبل ما أعملها ؟ سيبيني لما أقتنع بقى

استدارت إليها بكامل جسدها، تحدثت بجدية: المشكلة إنك مقتنعة، بس إيه اللي منعك مش عارفه .. وأساسا الحاجات دي مافيهاش اقتناع .. دا أمر ربنا، فاهمة ؟

أومأت هند متفهمة ما يدور حوله الحوار: بتتكلموا عن اللبس صح؟

زفرت فريدة: هو في غيره ؟

قررت هند تغيير الموضوع: إلا صحيح يا فريدة هي ماما ما أتصلتش ولا حتى بابا ؟

–لا ماحدش اتصل .. يمكن يتصلوا بكره

هند بقلق: بس دول بقالهم أسبوع لا حس ولا خبر

مظهرة مرام عدم الاهتمام: وإنتي خايفه عليهم ليه ؟ إذا كانوا هما ماخافوش إنهم يسيبونا لوحدنا وسافروا عادي ولا أكن في وراهم 3 بنات

نهرتها فريدة بهدوء: إحنا اتكلمنا كتير ف الموضوع دا يا مرام .. هما عملوا كدا عشانا، عشان نكمل دراستنا ونتعلم

مرام بسخرية: لا يا راجل ؟ طب ما دي أخر سنه ليا أهو والمصاريف مدفوعة وأنتوا خلصتوا وأتخرجتوا ما رجعوش ليه بقى ؟

أجابتها هند برزانة: العقد اللي عاملينه لسه فاضل عليه عشر سنين .. ماينفعش يرجعوا قبل كدا

رفعت زاوية فمها مستهزئة: موت ياحمار.. يعني هيرجعوا بعد ما كل واحدة فينا تبقى ف بيتها ومش بعيد يكون عندها عيل ولا إتنين

غيرت فريدة محور الحديث الذي كلما ذُكِر يدخلن في صراعٍ بين المهاجمة والدفاع، اختلاق الأعذار لوالديهم أو السخرية منها: هههه دا إنتي اللي موت يا حمار .. هو في عرسان اليومين دول أصلا يا بنتي

هند وقد فهمت غرض فريدة فتدخلت تعاونها: ويبقى في ليه، ما هما بيصاحبوا يبقى يعملوا إيه بالجواز والنكد ..

استجابت مرام لمحاولاتهما: فعلا اللي يتجوزك يا بنتي يبقى أتجوز النكد بعينه ودخله بيته على طـــــووول .. بلا راجعة

هند مصطنعة العصبية: ليه بقى إن شاء الله، شايفاني ماشيه أعيط .. قاعدة أعيط .. نايمة أعيط .. ولا لأكون بأشد ف شعري وأصرخ عمال على بطال ؟

لم تستطع فريدة التوقف عن الضحك: بس بقى غرقتلنا الشقة بدموعك دي

مرام: هههههه لا بس على طول ضاربه بوز أبو شبرين دا

قامت بعمل "بوز" مضحك في محاولة لتقليد هند، مستشهدة بهذه الحركة على أقوالها. من ثم دخلن ثلاثتهن في نوبة من الضحك لدرجة أن الدموع بدأت تتجمع وتهبط من أعينهم.

هند وهي تحاول التكلم من وسط ضحكاتها: بقى أنا بأبقى كدا ؟

أكدت صدقها بهزة من رأسها ثم عادت تقول: لا وعليكي شكل إيه زي بتوع البطاقة الشخصية للمصريين هههههه أرفع راسك فوق .. بص قدامك .. ما تضحكش .. ما تبربش .. إيــه عايشين مع الشاويش عطيه يا ربي

أدمعت عيون هند من كثرة الضحك: بقى كدا ؟ طب والله لأوريكي الشاويش عطيه دا هيعمل فيكي إيه

جذبت فريدة أكمامها في حركة استعدادية: لا لا سبيلي الطلعه دي .. علشان أنا مغلولة منها لوحدي .. تعاليلي يا مرمورتي

أسرعت إلى غرفتها وهي تضحك: لا لا حرام كدا كتير .. إتنين على واحد ؟

ركضت خلفها مدعية الجدية: والله لأوريكي النجوم ف عز الضهر

أختفت إبتسامة هند وجلست على أقرب مقعد شاردة، تمسح دمعة كانت تحاول النزول بسرعة قبل أن تعود إحدى الفتاتين، من ثم رسمت ابتسامة مجبرة ونهضت قائلة: فريدة خلصتي عليها ولا لسه ؟ .. استني أنا جــــاااي.

***

أتخذ أحمد مكانه فوق المقعد خلف طاولة بمطعم راقٍ، يتمتع بالهدوء الكافي الذي يجعله في حالة من الاسترخاء والراحة .. شخصيته الرزينة ليست معتادة على الصخب وإنما تكفيها الموسيقى الهادئة الدائرة بالمكان والهواء البارد الصادر من مكيفات الهواء التي تم

إخفاءها من خلال الديكورات الكلاسيكية ببراعة حتى لا تفسد الشكل العام للمكان ولا تسبب ضوضاءها إزعاجا لرواد المطعم.

بدأ أكرم الحديث: أخيرا أحمد باشا حنيت علينا وهنتغدى سوا بقالي كام يوم ما شوفتكش لازم أعزمك يعني علشان ننعم بهذه الجلسة الجليلة ؟

وضع الأخ هاتفه ومفاتيحه على الطاولة: أنت عارف الشغل كتير وما بيرحمش وأنت سايب شغل الشركة كله عليا لوحدي

برر أكرم موقفه: ما أنت عارف إني ماليش ف شغل الشركات دا، وبعدين الله يعينك يا سيدي

-إيه دا الباشوات بيتغدوا هنا ؟ يا محاسن الصدف

هتف أكرم ناهضا يستقبل صديقه: مصطفى بهيج بنفسه هنا، لا لا أنا مش مصدق نفسي يا جدعان .. حد يقرصني كدا

مصطفى بأعين تشع شرا طفوليا: هههه من عنيا الجوز .. هو أنت جيت ف جمل ؟

توجع: إيــــــه .. حرام عليك يا ظالم، أنت ما صدقت ولا إيه ؟

غمزه صديقه ضاحكا: الله، مش أنت اللي طلبت .. أنا نفذت بس

دلك مكان ألمه: نفذت بضمير أوي كدا ليه يا أخي .. يا بـاااي منك

صفعه مصطفى على كتفه: تعيش وتاخد غيرها يا صديقي ... إزيك يا أحمد ؟

أومأ مُرحِبا: الحمدلله، أنت أخبارك إيه ؟ .. وأخبار شغلك إيه؟

ابتسم مصطفى بحزن: نحمده ونشكر فضله .. لا الشغل بيخلص ولا مشاكله ومصايبه بتخلص

اقترح عليه أكرم: طب تعالى أتغدى معانا

رفض مصطفى بذوق: لا يا عم أنا مش هأتقل دم، روح أنت أتغدى مع أحمد ونبقى نتقابل بعدين

أكرم بغلظة: أنت لسه هتقل دم ؟، أنت ما تعرفش إنه تقيل ولا إيه ؟ .. وبعدين هتتغدى معانا يعني هتتغدى ولا في جو مستنيك

ابتسم مصطفى لغمزة صديقه: جو إيه بس يا ابني .. بأقولك مشاكل ف الشغل وجاي أشوفلها صرفه

صده أكرم بلهجة أمرة: خلاص يبقى تقعد معانا، إحنا لسه أصلا ما طلبناش الغدا ودا آخر كلام عندي

قرر مصطفى الخضوع؛ فهو بالفعل يحتاج للجلوس مع أناس محل ثقته، يستشيرهم في أمره لعله يجد لديهم ما لم يجده عن غيرهم: طيب.



الفصل الثالث

–يعني إيه ؟ يعني مش هنعرف ننزل السنة دي كمان ؟

عبدالرحمن بتنهيدة مختنقة: لا مش هنعرف يا إيمان

حدثته باكية: أنا بقالي أسبوع مش بأكلمهم على أساس هننزلهم آخر الأسبوع ونعملهم مفاجأة وف الآخر بردو مش نازلين ؟!

ثارت أعصابه التي لم تتحمل المزيد من الضغط: عايزاني أعمل إيه يعني؟؟، ما هو غصب عني بردو .. أديكي شايفه؛ مش راضيين يدوني أجازة ف الشغل .. والمدير راسه وألف سيف إني لو نزلت .. هيلغي العقد ويخليني أدفع غرامة إتنين مليون ريال وإنتي عارفه إن مش معايا المبلغ دا

تزايد نحيبها أكثر فأكثر: منه لله، ربنا على الظالم والمفتري

– هو شكله بيعمل أسلوب تطفيش علشان أدفع الـ إتنين مليون ويجبرني على كدا

استغربت إيمان حديث زوجها: وهو يعمل كدا ليه ؟

نظر لها شاردا: سمعت إن في أزمة بتمر بيها الشركة ومحتاجين سيولة

حوقلت ضاربة كفا بكف: لا حول ولا قوة إلا بالله، ومش لاقي غيرنا يعني؟

زفر بحدة: أنا عارف ؟! .. ربنا يصلح حاله

أومأت ثم همهمت بشجن: هأكلم البنات بكره .. ولوني مش عارفه هأقولهم إزاي إن إحنا مش هننزل السنة دي

أردفت باكية متألمة: البنات وحشني أوي يا عبدالرحمن

نظر إلى دموعها بلا حول، دموعها كأوتاد تطعن في قلبه وأحشاءه: ووحشيني أنا كمان .. بس ما باليد حيله

سألته: يعني السنة اللي قبل اللي فاتت أنت رجعت تعبت والدكتور قال السفر وحش عليك وخبينا عنهم .. والسنة اللي فاتت ما رضيش يدوك أجازة وقولت نستنا يمكن السنة دي قلبه يحن ويعتقنا .. لكن بردو مافيش .. هنفضل ع الحال دا لحد إمتى يا عبدالرحمن ؟؟

حرك عينيه بعيدا عنها، يشعر بالعجز، فتاياته وحدهن في دولة تبعد ألاف الكيلومترات؛ حتى وإن كان قد أوصى عليهن جارتهم أم جلال وزوجها .. الذي تجمعه به صلة قرابة وإن كانت بعيدة إلى حدٍ ما، لكن ما يزال قلبه قلوقا، لا يدري كيف الأحوال ولا يثق بغيره في رعاية شئون بناته.

نهض وتركها لدموعها؛ فما أشد كرب رجل مكبل اليدين .. لا يعرف ماذا يفعل أو كيف يتصرف .. عاجزا أمام دموع غالية على فؤاده ومشتاقا لرؤية فلذات أكباده.

***

تأوه أكرم متحسرا على ما صارت عليه أحوال صديقه: يــاه للدرجة دي يا مصطفى وماكنتش حاسس بالموضوع دا خالص؟

تحدث أحمد بصراحة: وهيحس إزاي ؟ .. طول ما هو كل همه البنات وبس

سقطت رأس مصطفى بين كتفيه بندم وغضب من ذاته: معاك حق يا أحمد، كنت معتمد على المدير الزفت دا، كنت بأشتغل وأتابع ف الأول بس بعدين بقيت أكبر دماغي ومرة ف مرة بعدت خالص، لحد ما أخد وش وأتزفت خد فرصته .. سرقني وهرب

ربت أكرم على كتفه داعما: معلش يا مصطفى الواحد بيعيش علشان يتعلم ويموت وهو بيتعلم .. وفي الأخر لعله خير .. قول الحمدلله

أومأ مصطفى بابتسامة منكسرة: الحمدلله

سأله أحمد بعملية: وقررت هتعمل إيه دلوقتي ؟

مصطفى باستسلام: أبدا .. كنت جاي هنا أرفع عليه قضية وأدور عليه، يمكن أخد حقي بس لسه مالاقتوش

ارتفعت زاوية فم أحمد شفقة: ما أعتقدش هتلاقيه، هو مش غبي لدرجة إنه يفضل بعد ما سرق كل المبلغ دا، أكيد خد ديله ف سنانه وكَت على برا وقال يا فاكيك

مصطفى مفكرا: أنا عندي إحساس إنه هيطلع غبي ومش هيسافر دلوقتي، وهالاقيه وأعرف أخد حقي منه كويس أوووي .. وبعدين أنا عندي ناس ف المطار وبيقولوا لسه ما سافرش وهما لو عرفوا عنه حاجه هيقولولي فورا

نبهه أكرم: مصطفى أبوس إيدك بلاش تهور

عاد لطبيعته المرحه باسطا يده لأكرم وهو يبتسم بخبث: طب بوس كدا

صفع أكرم يده الممدودة بعنف: وقال إيه أنا خايف عليك وصعبان عليا اللي حصلك .. تصدق إنك إنسان بارد، وتستاهل اللي حصلك، يا بـــارد .. تلاجه يا ربي

تابع مصطفى مازحاً: هههههههههههه طب لو معاك حاجه هاتها أحطهالك فيا لتحمض

قطب أكرم: ثقيل ثقيل يعني .. قمة الرخامه يا أخي إيه دا

ارتسمت إبتسامة خفيفة على ثغر أحمد: هي عادته يعني ولا هيشتريها؟ .. أنا هأمشي بقى عندي شغل كتير، أبقى خلينا نشوفك يا درش .. سلام

ودعه مصطفى: هههههه هأروح فين يعني ؟ على قلبكوا .. سلام

التفت مصطفى لأكرم وغمزه: قولي بقى يا أكرم بيه لسه مالاقتش الفتاة المجهولة إياها؟

أكرم بتنهيدة كبيرة تحمل كل ما بداخله من حيرة وشوق: لا مالاقتهاش .. أموت وأعرف هي مين .. وتعرفني ولا بتشوفني فين

لكزه مصطفى في ذراعه بقوة: هههههه شكلك وقعت ولاحدش سمى عليك يا أبو المكارم

رد عليه أكرم بابتسامة باهتة وشرد في فتاته المجهولة، تلك الفتاة التي ترسل إليه رسائل تُعبِر من خلالها عن غرامها وولهها به، ممثلة إياه كفارس أحلامها على حصانه الأبيض، من تلك التي أصبح زائر أحلامها الدائم، فتى لياليها الأوحد.

لقد عززت غروره الذاتي، يريد معرفتها ليس ليبادلها مشاعرها أو ليعبر عن حبه لها، إن تلك الكلمات والأحاسيس الموجودة بين طيات الورق لم تؤثر به قيد أنملة، فقط أثارت غروره الذكوري وحققت له إنتشاءه كرجل، بمجرد إشباعه لفضوله من معرفتها والتأكد من كونها جميلة أم مثال للدمامة سيضع لها حدودا لن تجرؤ على تخطيها.

عاد يفكر في كيفية تكوين وجهها، حاول الربط بين حروفها ورائحتها العالقة بالورق وبين ما يمكن أن تكون عليه ملامحها البشرية لكنه لم يتوصل إلى شئ .. بل استقر به الأمر أنها قبيحة لذلك ترفض أن تُريه شكلها.

***

وقفت تنظر إلى القمر؛ ضوءه شاحب كشحوب قلبها، تنهدت تخرج حرقة تعتمل بداخلها، فجأة سمعت أحدا يحادثها ناطقا حروف اسمها الثلاث:

–مالك يا هند ؟ حالك مش عاجبني

لم تبعد نظرها عن القمر: ولا حاجه يا فريدة

غمزتها فريدة: عليا أنا الكلام دا بردو ؟ .. طب قدام مرام وقولنا ماشي، لكن قدامي أنا كمان ؟ .. والتنهيدة اللي سمعتها دي بردو مافيش حاجه؟

استسلمت لإصرار شقيقتها : بأفكر ف بابا وماما .. مرام عندها حق، ومن غير ما تقاطعيني يا فريدة لو سمحتي، أنا وإنتي متأكدين إن معاها حق، حتى لو كنا بنحاول نقنعها ونقنع نفسنا .. بس هي صح

حاولت الدفاع عن والديها: بس يمكن في عندهم ظروف ...

ثارت حفيظة هند فلم تعد تتحمل سماع الأعذار أكثر من ذلك: إنتي بتضحكي على مين هـا ؟ .. عليا ولا على نفسك، ردي، قوليلي أنهي أهل ف الدنيا دول اللي يسيبوا بناتهم ف بلد لوحدهم حتى لو موصي جارهم اللي يادوب قريبهم من بعيد وكل فين وفين لما بيسأل، ومراته اللي ع الطالعة والنازلة مش فالحة غير إنتي أتأخرتي ليه وإنتي لابسه كدا ليه وعمرها ما دخلت علينا بطبق فاكهة ولا قالتلنا أجهزلكوا الأكل أنا إنهارده، ولا حتى كلفت نفسها تيجي وتقعد تتكلم معانا من غير شكوى من الفاتورة ولا الإيجار ولا ولا ... إزاي ؟؟ وماتقوليليش عشان مصلحتنا يا فريدة !.. هتبقى فين مصلحتنا لما يدخل علينا حرامي نص الليل ويدبح واحدة فينا .. أو يأذيها و يسرقنا .. هـا ؟، فين مصلحتنا ف كدا هيستفيدوا بإيه .. طب سافروا وقولنا ماشي وعديناها إنما يفضلوا 3 سنين! من غير ما يشوفوا بناتهم .. أخرهم يطمنوا عليهم بالتليفون .. كمان ولا سألوا بقالهم أسبوع أهو .. ويا عالم هيفضلوا نسينا لحد إمتى، إنتي فاهمة يعني إيه أب و أم يفضلوا 3 سنين ما شافوش بناتهم يا فريدة، يعني القيامة قامت خلاص .. يعني دول من الأخر كدا .. مش أب و أم

صدمت فريدة بكلام هند فلم تستطع النطق، فجأة توقفت كما بدأت وأجهشت في البكاء بهيستيرية وألقت نفسها في أحضان شقيقتها وحنانها، تمتص ما بداخلها من ألم وشعور بالقهر.

بعد مدة ليست بالقصيرة أبعدتها بتمهل عن صدرها: خلاص صلي ع النبي بقى كدا واستعيذي من الشيطان .. ادخلي أتوضي عشان تنامي مطمنه .. ورانا بلاوي بكره وأنسي أي حاجه تزعلك

ألقت هند عليها نظرة حب واهتمام، إنها شقيقتها بنكهة صديقة وأم، تفكر أحيانا أن والديها لم يتركوها وحدها هي ومرام ولكن تركوا معهن فريدة .. ذات القلب الذهبي والأمومة الطاغية.

وافقتها على طلبها وأثناء مرورهما من أمام غرفة مرام، أصدرت فريدة ضحكة صاخبة: بصي المفتريه نايمه إزاي ؟ نص ع السرير ونص ع الأرض .. يا خرابي .. مفتريه حتى ف نومها

شاركتها هند داعية: ربنا يهديها

ربتت فريدة على كتفها: يا رب يلا أعملي زي ما قولتلك ونامي .. زمانها خلصت على كل الرز بلبن اللي عند الملايكه ومش هتسيبلنا حاجه؛ دي مفجوعه .. أنا عارفاها

انفجرت هند مقهقة رغما عنها: على يـــدي

توجهت كل واحدة إلى غرفتها تلتمس النوم بعد أن حضر سلطانه ينشر جلبابه فوقهن، مانحا جسدهم فترة من الراحة كي تستطيع تلك الأجساد مواصلة ما هو أتي في اليوم التالي؛ سواء كان اليوم مشحونا بالسعادة أو المصائب .. أو مزيج مختلف منهما معا.

صلت هند كثيرا ودعت أكثر، ومازالت دموعها تنزل بغزارة من قسوة أب وأم تركوا بناتهم بمفردهم، حتى وسيلة الإتصال الوحيدة –المكالمات والهاتف– قطعوها، هل يعقل أنا يأتوا بنا إلى هذه الدنيا ليتركونا .. من أين أتوا بكل هذه القسوة ؟ .. فنحن لم نخطئ في حقهم بيوم من الأيام .. يارب يا رب صبرني، يارب قويني .. لا تحرمني من إخوتي .. الحمدلله أنهن بجواري .. نعمة منك وإلا ما كنت لاستطيع العيش في هذه الدنيا بمفردي.

كلامها مع أختها أراحها .. وكلامها مع الذي خالقها طمأنها. نامت سريرة الملامح مبتسمة الثغر فيما دموعها توقفت على أمل يوم أحلى وأجمل لأن أكثر الكلمات التي تؤمن بها هي "لسه الأحلى ماجاش وأنا هأفضل استناه".

***

تمدد فوق الأريكة بعدما أدار الأسطوانة في الحاسوب الثابت فوق المكتب، فتح الورقة المطوية بعدما حلها من الظرف، أشعل ضوء الأباجورة فوق رأسه لتكسر ظلام الحجرة، تراقصت عيونه فوق الأسطر.

ابتسم وأغمض عينيه مرجعا رأسه للخلف يريحها فوق ذراع الأريكة، سبح في عالم آخر خَلقته الرسالة المتوافقة مع اللحن الموسيقي الرومانسي الذي يُصغي إليه بحواسه جميعها.

بعد فترة أعاد قراءة الكلمات، كانت تشبع غروره الذكوري، تشعره بمدى جاذبيته للجنس الآخر، أنه رغم عمره المتزايد مازال وسيما.

ضم الرسالة إلى أحضانه دقائق طوال ثم نهض وأخرج من أحد جوارير المكتب صندوق عتيق يشبه صندوق المجوهرات، ضب فيه الرسالة إلى جوار مثيلاتها.



الفصل الرابع

توقفت دقات الساعة عن محاولة تنبيه الطلبة إلى ما فاتهم من وقت وما سيأتي، البعض انتبه إلى ما وراءه من مسئوليات والبعض الآخر قرر التقاعس لدقائق أخرى، فالوقت أمامه طويل؛ أليسوا بعز شبابهم وأجمل أيام عمرهم؟، تباطأت الدقات وتخلت الساعة عن إصرارها؛ فمن كان له نصيب فقد انتبه أما البقية فمهما دقت ومهما قرعت لهم نواقيس اليقظة لن يتخلوا عن غفلتهم الحلوة الآن والمُرة مستقبلا.

أمام كافيتريا إحدى الكليات الأدبية، جلست فتاتان على أحد المقاعد المنتشرة في الجامعة يتخذ الحديث بينهما مجراه الطبيعي كما بين أي فتاتين من نفس سنهما، حديث وثرثرة عن ذاك وتلك، أحدث الصيحات وأفضل عروض الأزياء.

سألت مرام صديقتها الجالسة على يمينها: هي الساعة كام دلوقتي يا ريم ؟

زفرت ريم بملل: يــووه يا مرام، في إيه يا بنتي دي المرة 101 اللي تسأليني فيها السؤال دا، إنتي مالك مش طبيعية إنهارده كدا ليه ؟؟

زمت شفتيها: مافيش أنا بس بسأل عشان معاد المحاضرة بتاعت دكتور أكرم مش أكتر ..

التفتت إليها بخبث: اااه .. قولتيلي .. دكتور أكرم .. بقى الحكاية كدا

ارتبكت: حكاية إيه؟ لا حكاية ولا رواية .. عادي يعني

غمزتها بإغاظة: عليا أنا بردو يا مرمر .. دا أنا عجناكي وخبزاكي، وبعدين إنتي من إمتى بتهتمي بالمحاضرات للدرجة دي يعني ؟

أخرجت لسانها: طول عمري ياختي

ضحكت: طول عمرك بردو .. ولا علشان دكتور المادة

إزداد إرتباكها وظهرت عصبيتها على السطح: قصدك إيه ؟

أوضحت أكثر: قصدي الاهتمام بمحاضراته، وعيونك اللي مش بتتشال من عليه طول المحاضرة، والمادة الوحيدة اللي بتذاكريها أول بأول، لا وكله كوم والشياكة اللي بتحل عليكي يوم محاضرته كوم تاني خـــالص..

اعتدلت مرام في جلستها وقد جذبتها الجملة الأخيرة: يعني شكلي حلو ؟ اللبس لايق عليا؟

ضحكت ريم بإنتصار: شوفتي!، وقعتي وماحدش سمى عليكي يا حلوة

تأففت لإندفاعها: أوووف بقى .. عايزه مني إيه دلوقتي يعني؟

لكزتها في ذراعها: عايزه أعرف إيه حكايتك بالظبط ؟ إنتي بتحبيه يعني ولا ..؟

تنهدت معترفة: أيوه بأحبه من غير ولا ..

–ياعم يا عم .. طب يلا بقى؛ عشان فاضل عشر دقايق ع المحاضرة؛ خلينا نلحق مكان في البينجات اللي قدام، عشان تعرفي تبصي عليه كويس .. ههههه

–يلا بينا .. ربنا يخليكي ليا يا ريمــو .. أموووووه

قهقهت ريم: طب يلا يا بكاشه

مرا بجانب أكرم بينما يصف سيارته في المكان المخصص لها أمام المدرج، نظر لهما نظرة سريعة محركا رأسه يمينا ويسارا؛ لا يعجبه حال الفتيات وملابسهم الغير محتشمة بالمرة، وعندما تحدث مشكلة مع أحد الشباب يأتون للشكوى، تذكر أنه ألقى عليهن نظرة فأسرع يستغفر حتى وصل إلى مكانه في المدرج حيث بدأ يستعد لبداية الشرح.

سألت صديقتها بحزن: ريم .. هو عمل كدا ليه ؟

استغربت سؤالها: عمل إيه ؟

قلدته: جاب راسه كدا يمين وشمال بعد ما بصلنا .. ومشي وسابنا

–اااه لا مش عارفه، ما تشغليش بالك .. يلا بينا ندخل

دلفوا إلى الداخل وأتخذوا موضع جلوسهم أقرب ما يكون إليه حتى تستطيع مرام رؤيته عن قرب، لكن مازال عقل مرام يدور ويبحث عن سبب تلك النظرة .. إذا كانت قد أخطأت في شئ أو فعلت ما يضايقه، أفاقت من شرودها على صوته القوي يطالب تلامذته إلتزام الصمت حتى يبدأ المحاضرة.

***

انهت فريدة عملها في المكتبة وبعدما تأكدت من أن كل شئ في محله تركت صاحبها يبدأ مناوبته بها، ذهبت في طريقها إلى المنزل عندما سمعت بعض الناس يتهامسون فيما تجمع البعض الأخر حول جسد طريح الأرض.

– أووبس دي حادثة دي ولا إيه ؟؟ يا رب استر يا رب

تجمع الناس حول المصاب وكان يقود دراجته البخارية بسرعة حتى أنه لم ينتبه للسيارة القادمة من الجهة الأخرى.

–بس دا ما ينفعش كدا هيأذوه أكتر .. لا أنا لازم أدخل .. أنا دكتورة بردو مهما كان .. لو سمحتوا وسعوا ما يصحش كدا .. كدا هيتعب أكتر .. أنا دكتورة ممكن تعديني؟

تحسست النبض حتى استشفت وجوده والتنفس أيضا طبيعي لكن لديه نزيف في الرأس قد يتطور إلى ما هو أخطر إن لم يتم إسعافه فورا إلى المستشفى.

–ممكن حد يتصل بالإسعاف ويجبلي حاجه أحطها ع الجرح أي قماشة

أحد الواقفين أجابها: أنا اتصلت بالإسعاف

كررت طلبها مجددا: طب ممكن قماشة أحطها ع الجرح ؟

تأسف الراجل: مش معايا والله

فكرت في حالة الرجل فقد يتسبب النزيف في أن يلقى مصرعه قبل وصول الإسعاف، انتبهت إلى الشال الملتف حول رقبتها فقامت بخلعه وربطت به رأسه جيدا؛ تتأكد من إحكام ربطته كي يوقف النزيف نسبيا.

بعدها بدقائق بسيطة من الإسعاف المصري كالمعتاد، ما يقرب من الساعة فقط، كانت بجواره حتى تستطيع الاهتمام بإصابته، ذهبت معه إلى المستشفى وانتظرت حتى خرج الطبيب قائلا: الحمدلله إصابته طفيفة مجرد خدوش وجزع في المعصم الأيسر والجرح اللي ف دماغه أخد 8 غرز .. بس الحمدلله جت سليمة

دمدمت فريدة في سرها: أومال لو مش سليمة كان حصل إيه بس ؟؟

ابتسمت بهدوء: شكرا يا دكتور

بادلها البسمة: العفو دا واجبي .. عن إذنك

خرجت الممرضة من غرفة المصاب: المريض عايز يشوفك

حدقت بها مندهشة: يشوف مين ؟ يشوفني أنا؟

ابتسمت لها في حنان: أيوه .. مش إنتي اللي أسعفتيه ؟ .. هو عايز يشكرك

نفخت براحة: اااااه .. طيب ماشي، هأدخله

توجهت إليه بتردد وخجل، تركت الباب مفتوح بعد دخولها ثم بدأت الحديث: حمدالله على سلامتك

فتح عينيه مترويا وفور وقوعها عليها ابتسم: الله يسلمك .. شكرا أوي ع اللي عملتيه معايا دا .. أنا بجد مش عارف أقولك إيه

هزت رأسها: لا ما تقولش حاجه دا أقل واجب وأي حد كان ف مكاني كان عمل كدا

نظر إليها بسعادة فيما يتساءل بينه وبين نفسه: هي حلوة كدا إزاي ؟؟

وجه سؤاله التالي إليها: حضرتك كنتي معديه من هناك صدفة ؟ .. دا من حسن حظي طبعا

أخبرته بما يزيد عن الحاجة: أنا بأشتغل ف مكتبة قريبة من مكان الحادثة

–بس هما قالولي إن حضرتك دكتورة ؟؟

قطبت جبينها وقد شعرت بالحرج: إحم إحم .. أه أه دكتورة

اتسعت ابتسامته: دكتورة إيه بقى ؟

ألقت كلمتها كأنها حمل تريد أن تقذفه بعيدا بأسرع وقت: بهايم

انتفض من الدهشة: نعم ؟

ضحكت بخفوت: دكتورة بهايم حضرتك .. يعني دكتورة بيطرية

عندما رأى ضحكتها نسي الدنيا وما فيها، بل المستشفى والحادثة وما يشعر به من ألم في جميع أنحاء جسده؛ حتى نسي أمر .. البهائم.

–ااااه .. معلش فهمت غلط

– ما أنا قولتها بطريقة غريبة .. أصلي متعودة على ردود الفعل من الناس لما بتسمع بهايم دي

–لا سيبك دول ناس جهله .. مش عارفين قيمة الدكتور البيطري في الزمن دا

أعجبها اعترافه بدورهم كأطباء بيطريين؛ فهي من أشد المناصريين لهم ودائما في الصفوف الأولى من المدافعين عنهم، حتى ينالوا حقهم المهدور في مجتمع ناكر لأهمية دورهم به.

استفسرت: هو حضرتك اتعاملت معاهم قبل كدا؟

–أيوه كنت شغال ف مزرعة وكان شغال معايا دكاترة بيطريين

–اااه، قولتلي

قدم نفسه إليها: بالمناسبة .. أنا اسمي هشام عاصم، مهندس زراعي

– تشرفت .. أنا فريدة عبدالرحمن .. وزي ما عرفت دكتورة بيطرية هههه

– هههههههه أه عرفت

نظرت إلى عقارب ساعتها: أنا لازم أروح، لأحسن اتأخرت .. مرة تانية حمدالله على سلامتك

انتفض في جلسته: إنتي هتمشي بسرعة كدا ؟ .. طب مش هأشوفك تاني ؟

أفاقت لنفسها ثم حدثته بجدية وحزم: وحضرتك تشوفني تاني بتاع إيه ؟ حضرتك دلوقتي بقيت كويس وأنا دوري خلص .. بعد إذنك

خرجت دون إعطاءه فرصة للحديث أو تبرير قوله؛ لم تنظر خلفها فلم تستطع رؤية الدهشة الشديدة التي ظهرت على ملامحه ولا فمه الذي أصبح أشبه ببيضة مسلوقة.

حدث نفسه هامسا بهيام: لا لا فريدة فريدة يعني، اسم على مسمى يا .. ف ر ي د ة

ابتسم بسعادة وعاد للنوم تحت تأثير البينج مرة أخرى، حيث بدأت الأحلام تتقاذفه على شواطئها.

***

وجدت شقيقتها تجلس أمام الباب بإنتظار عودتها وقد عيل صبرها، هرولت إليها هند بعدما استبد بها الفزع من تغيبها أكثر من المعتاد: أخيرا جيتي يا فريدة .. كنتي فين قلقتينا عليكي ؟

اقتربت مرام وقد سمحت لدموعها بالهروب منذ أكثر من نصف ساعة فزعا على أختها الكبرى: كل دا ؟؟، كنتي فين ؟ .. الساعة داخله على ستة وإنتي بتبقى هنا على تلاته ونص إيه اللي أخرك كدا ؟؟

حاولت بث الطمأنينة داخل قلوبهن بابتسامتها: معلش والله؛ أصل الموبايل بتاعي فصل شحن وماعرفتش أتصل بيكوا أقولكوا إني هاتأخر

استعادت هند بعضا من هدوءها: خير .. إيه اللي حصل؟

–حصلت حادثة

صرخت مرام: حادثة ؟؟ حادثة إيه دي ؟! .. إنتي كويسه ؟

دنت منها تربت على ذراعها بخفة: اهدي اهدي أنا كويسه هي حادثة كانت ع الطريق وأنا ما أقدرتش أسيبه غير لما تيجي عربية الإسعاف وبعدين المسعف طلب مني إني أروح معاهم المستشفى

استنكرت مرام فعلت شقيقتها: وإنتي كان مالك وماله .. ماكنتي سبتيه ومشيتي والناس كانت هتتصرف .. هو إنتي من بقيت أهله ؟

نظرت لها فريدة غاضبة: مرام إنتي بقيتي أنانية لدرجة غريبة، إيه اللي عمل فيكي كدا ؟ دا إنتي بالذات كنتي لما تشوفي عيل صغير وقع كنتي بتسيبينا وتجري تساعديه وكنتي بتزعقي للي يضحك عليه .. دلوقتي إنتي اللي بتقوليلي هو كان من بقيت أهلك ؟! مش مصدقه

ثارت أعصاب مرام: الأنانية اللي شوفتها من بابا وماما ناحيتنا .. خلتني أبقى زيهم .. عادي يعني .. مش بيقولوا الدم بيمد لسابع جد

تركتهم وأغلقت على نفسها باب حجرتها، تبكي على ما وصلت إليه نفسها، تحولت قدوة الوالدين –أفضل قدوة للمرء– إلى أناس يعلمونك أسوء الصفات عوضا عن أفضلها.

همست هند من خلف أختها: هي شوية وهتفك وتهدى لوحدها .. تعالي إنتي أحكيلي اللي حصل معاكي بالتفصيل الممل ..

وافقتها فريدة بحزن، مدركة صحة كلامها: طيب يلا .. بس أعمل فنجان قهوة الأول لأحسن حاسه أنه راسي تايهه مني

ظهرت أسنان هند من خلال ابتسامتها: بس كدا ؟ أنت تؤمر يا جميل وأنا اللي هأعملها لك بإيديا يا سكر

انطلقت تعد القهوة بينما توجهت فريدة إلى غرفتها تبدل ملابسها قبل أن تلحق بأختها، أخذتها أفكارها إلى يوم سفر والدتهما لتلحق بزوجها دون إبداء عذر مقنع، فقط اكتفت بكلام لا يدخل العقل ويكذبه القلب، يومها كانت مرام أشدهن تأثرا فقد كانت بحاجة والدتها وقتها أشد الإحتياج؛ فمرحلة المراهقة لم تكن قد تركتها ويبدو أنها مستمرة حتى الآن.

***

منزل بحديقة خلابة تدل على شدة الإعتناء بها، عدد من الأشجار الخضراء التي تثمر في مواسمها المحددة بفاكهتها ذات الرائحة العطرة والمظهر المشهي، يُسمح للعاملين بالمنزل بتقسيم تلك الثمار عليهم دون أن ينال أصحاب المنزل منها شيئا؛ يكفيهم المظهر الجمالي والظلال التي تلقيها عليهم الشجيرات، يتوسط باحتها الخلفية حوض سباحة على شكل مستطيل وقد خصص به جزء صغير للأطفال حيث المياه ضحلة ولا خوف عليهم من الغرق فيه.

أما المبنى المخصص للسكن فبه عدد لا بأس من الغرف، تستوعب أفراد العائلة الأساسيين بعائلتهم الثانوية دون الشعور بالزحام بل قد توجد عدة غرف فارغة للضيوف في الأعياد والمناسبات.

يقطن ذلك المنزل الآن فقط الشقيقان أحمد وأكرم دون ذكر الخدم المقيمين بالمنزل سواء كان به سكان أو لم يكن.

كان المساء قد أسدل أستاره وتلألأت النجمات الصغار بين طيات السماء، عبر البوابة الرئيسية بسيارته السوداء الحديثة بعد إلقاءه التحية على حارس البوابة وفردي الأمن الجالسين معه، ركن سيارته في مكانها المعتاد وصعد درجات المنزل الأمامية كل سلمتين في خطوة.

فتحت له خادمة ملامحها أجنبية وابتسامتها الصغيرة ترحب بعودته، دلف إلى حيث جلس أكرم يتابع أحد الأفلام في التلفاز بإنتباه.

ألقى حمل جسده إلى جوار شقيقه: السلام عليكم

رد أكرم بينما يحتسي فنجانا من الشاي: وعليكم السلام ورحمه الله وبركاته

ثم أضاف عندما لمح ملامح الإرهاق فوق وجه شقيقه: تعبان ؟

زفر: ميت م التعب

أومأ، عاود سؤاله: تحب تاكل ؟

رد أحمد بملل: لا، ماليش نفس

هز رأسه دون أن يعلق ثم أخبره متذكرا أمرا ما: ماما وبابا وندى كلموني، بيسلموا عليك .. بس سيف لا؛ علشان أنت اتريقت عليه ومش عاجبك إنه طالعلي

ضحك ضحكة خفيفة لم تصل إلى أذنيه: ماشي .. هما جايين إمتى؟

زم أكرم شفتيه: لسه ما حجزوش .. حسب الظروف والمواعيد

اعتدل أحمد في جلسته المسترخية: طب تمام .. صحيح عملت إيه مع مصطفى ؟

– أبدا .. أقنعته يجي يقعد عندنا هنا لحد ما يخلص اللي وراه ويرجع المزرعة

– يعني هو هنا ؟ أومال مش سامعله حس .. من إمتى؟

– ههههههه ما هو أتهد حيله طول اليوم ف التدوير ع اللي سرقه دا؛ فجه خلصان وزمانه نايم ف سابع نومه .. أحمد أنت سامعني ؟؟

تمدد على الأريكة وقد احتلها بجسده: ها

اغتاظ أكرم: أنت كمان روحت ف سابع نومه ؟ .. أنتوا تناموا وأنا أقعد أسقف يعني ؟ .. طب والله لأنا نايم .. هِه وأدي قومه

نظر أكرم لأخيه بابتسامة خبيثة تحمل شر طفولي: طب والله ما مصحيك، بقى معطلني عن التلفزيون وبأحكيلك وأرد على سؤالك تقوم تنام وتسبني أكلم نفسي زي المجنون ؟؟ .. خليك نايم ع الكنبة بقى يا بطل

تركه شاعرا بالنصر الصغير الذي حققه على أخيه فيما التعب قد استبد بأحمد فلم يهتم أين استسلم للنوم أو كيف .. يكفيه أن جسده قد تمدد على شئ ناعم يبتلعه دون تيبس.

***

صباحا في الكلية، ركضت ريم إلى صديقتها تحمل في جعبتها أحاديث تثير إهتمام مرام إلى أبعد حد: مرام .. أنا عندي ليكي خبر بمليون جنيه

لم تنل منها سوى البرود واللا مبالاة: خبر إيه ؟

نست ريم ما أرادت إخبارها به وجذبها حالة صديقتها: مالك يا مرام ؟ فين حماسك لما كنت بأقولك "خبر بمليون جنيه" ؟

هزت كتفيها باستهانه: عادي بقى

أصرت عليها ريم وانضمت إليها جالسة: لا مش عادي .. وأدي قاعدة، أحكيلي في إيه بقى ؟

تهربت منها: مضايقه، شويه مش أكتر

أمسكت ريم بذقن مرام: كل دا وشوية يا خبر .. طب إيه اللي مضايقك ؟

تنهدت موجوعة: البصه اللي بصهالنا دكتور أكرم قدام المدرج

استغربتها: إنتي لسه حاطها ف دماغك ؟ .. يا شيخه كبري مخك، بقى دا اللي مضايقك ومخلي الـ 111 دول موجودين ؟

نظرت إليها بإنفعال: بأقولك بأحبه .. يعني أقل تعبير منه بيجنني ويأثر فيا

غمزتها: طب مش عايزه تعرفي الخبر أبو مليون جنيه ؟

لوت مرام شفتيها ونظرت إلى الجهة المعاكسة: لا مش عايزه

تحركت ريم حتى تصبح في مجال رؤيتها: حتى لو قولتلك إنه عن حبيب القلب ؟

التفتت إليها بكامل جسدها وواجهتها: دكتور أكرم ؟

وقفت ريم باستقامة ضاحكة: أيوه ياختي دكتور أكرم .. أول مرة أشوف حد بيقول للي بيحبه اسمه باللقب

هزت كتفها بدون اهتمام؛ فلا تعنيها المسميات: عادي التعود وبعدين عشان ما أقعش بلساني قدامه .. المهم إيه الخبر دا ؟

– الدكتور عامل إعلان إنه عايز مساعدة ليه ف شغله .. إيه رأيك؟

عضت على شفتها السفلى وسألتها بغباء: طب وأنا دخلي إيه ؟، دا شغله وهو حر فيه

صفعتها على قمة رأسها: إنتي عبيطه ولا بتستعبطي يا بت ؟؟ .. دا بدل ما تقوليلي أنا هأروح أتقدم للشغلانه دي؟

صاحت بها: أنا ؟ ليه ؟

انهارت إلى جوارها مرة أخرى بعد أن عيل صبرها: لا لا إنتي بجد هبله .. فرصة يا موكوسه تقربي منه وتحسسيه بمشاعرك ناحيته .. وأهو تمنعي أي واحدة إنها تقرب منه .. ولو في تبقي تعرفي هي مين

مرام بتفكير: فكرك كدا ؟ هو هيقبلني أصلا ؟

حركت رأسها دليل عدم معرفتها: جربي .. إنتي خسرانه إيه ؟

جمعت أشياءها ونهضت مسرعة: طيب .. أنا هأروح دلوقتي يلا سلام

ضحكت ريم على حالها الذي انقلب فجأة، ودعتها داعية لها بالنجاح، شعرت مرام أن الدنيا فتحت لها أبوابها على مصرعيها وأن ملائكة الحب قررت معاونتها، دب الحماس في فؤادها وتمنت ألا يخيب الله رجاءها في قرب من أحبت.

***

عاد من مقابلة العمل إلى الشركة منهكا، كان عميلا ذو بال طويل، أعله حتى استطاع الحصول منه على الصفقة، لعق شفتيه اللتين تشققتا من الجفاف، عقد العزم على شرب زجاجة كاملة من الماء تروي عطشه حالما يصل إلى مكتبه.

أوشك على الدلوف إلى مكتبه عندما تذكر الملف الموجود في حقيبته الجلدية المعلقة على كتفه الأيمن، زفر متأففا وقد قرر التخلي لدقيقة عن زجاجة المياه، توجه إلى مكتب سكرتيرته ووقف أمام بابه لكي يُخرج الملف الواجب عملها عليه وإنهاؤه خلال اليوم، سمع همهمتها الخافتة كأنها تحادث شخصا آخر.

طالعها من شق الباب الذي نسيته مواربا، مع استمرار حديثها تبدلت بعض ملامحها، انتفخت أوداجه وصر على أضراسه فيما جعدت قبضتيه الملف.

استدار وأتجه إلى مكتبه، كان يشك في خيانتها حتى أنها منحها معلومات خاطئة عن آخر صفقة ستنفذها الشركة، أراد قتل الشك ودرأ الصدع الذي بدأ يتسع بينه وبين سكرتيرته المخلصة، لكنها تأبى البراءة وقد تمسكت بالدناءة.

***

كان مستغرقا في قراءة أحد المراجع الخاصة بدراسته وتعطيه المعلومات التي يرغبها كما تنمي خبرته بخبرات من خطها، أتاه طرقا خافتا على الباب يدل على استحياء صاحبه، أمر الطارق بالدخول دون أن يرفع عويناته إلى الباب أو الدالف.

تنحنحت مرام ومازالت تقف على أعتاب الباب ويدها معلقة فوق مقبضه: دكتور ممكن أدخل ؟

ترك المرجع ونظر لها منتبها: أكيد

دخلت وتركت الباب مفتوح؛ عادة تعلمتها من شقيقتها عندما كانت تفعلها في زيارة أحد أقاربهم في عدم وجود والديها.

– دكتور أنا كنت عايزه أتقدم للوظيفة اللي حضرتك أعلنت عنها

استقام في جلسته: وإنتي تقدري تستحملي الشغل معايا ؟

استشعرت الحرج: إن شاء الله يا دكتور

حذرها: بس خلي بالك أنا صعب جدا ف الشغل وطلباتي كتير

أومأت: وأنا تحت أمرك

طالبها بتوضيح: طب وإيه اللي خلاكي تتقدمي للوظيفة دي؟

فكرت فيما يمكنها قوله، أتخبره أنها جاءت لتبقى بجانبه أم لتعرف مكانتها لديه أو إذا كانت هناك أخرى في حياته .. أو لتجعله يشعر بها ويحبها، لا، بالطبع لا يجب قول مثل هذا الكلام.

استجمعت شتات أفكارها وقالت بثقة: عشان أخد خبرة من حضرتك ومن الشغل معاك يا دكتور

– دي شهادة وثقة أعتز بيها .. طيب هتبدأي شغل من بكره، ووقت المحاضرات أنا مش هأكلمك عنه .. هأعتبره وقت الراحة بتاعك

– أوكيه يا دكتور .. عن إذنك

أذن لها بالخروج: اتفضلي

خرجت وأغلقت الباب خلفها بهدوء كأنها تخاف على رضيعها من الاستيقاظ، فور سماعه صوت إقفال الباب.

لكن هناك تساؤلات أخرى فُتحت في رأس أكرم عندما دخلت لم تغلق الباب فلماذا ؟، من الجائز أنها لم تنتبه، لما تقدمت للوظيفة وهي تبدو مستهترة ولا تستطيع تحمل مسئولية نفسها فكيف الحال بمسئولية وظيفة وعمل جاد.

حدث نفسه بصوت مرتفع: هو أنت لسه شوفت شغلها ؟؟ لما تشوف أبقى أحكم وأتكلم

ثم عاد يفتح مرجعه ويضع نظاراته فوق أنفه من جديد حتى استغرقه الموضوع ومر الوقت دون شعور.

من شدة فرحتها لما تكن تنظر أمامها مما أدى إلى اصطدمها بشخص مار في ردهة المبنى المخصص للقسم الذي يحتل أكرم منصبا فيه، أوقعت ما بيده من أوراق وملفات، تأوهت بشدة ثم هبطت راكعة إلى جواره تعاونه على جمع ما سقط.

–مش تحاسبي يا آنسة شوية ؟؟

هاجمته متممة مهمة جمع الملفات: مش لما تفتح أنت الأول ؟

استغرب هجومها فهو مدرك تماما مثلها أنها المخطئة: أنا اللي أفتح بردو ؟ .. ما إنتي اللي ماشيه مش باصه قدامك

رفعت إليه نظراتها المشتعلة: تصدق إنك إنسان قليل الذوق، وأنا غلطانه إني وقفت أساعدك من الأساس

نهضت مرام وعاودت إلقاء ما قامت بجمعه حتى يكرر جمعه بنفسه مرة أخرى، نفضت يديها بحركة مغيظة ثم رفعت كتفيها وتركته منصرفة.

ذهبت من دون النظر خلفها أو سماع كلماته التي تلت ذهابها: أه يا بنت المجنونة ههههه

تنهد وأنثنى يجمع الأوراق ويرتبها من جديد غير مدرك لتلك البسمة التي ظهرت على شفتيه ولم تتركها إلى نهاية اليوم.

***

احتل أكرم المقعد المجاور للسائق في سيارة مصطفى الفيراري ذات اللون الأزرق الداكن، وجه إليه السؤال بمرح أثناء قيادته: وهتاخدنا على فين بقى يا عم مصطفى ؟

ضحك مصطفى: سيبلي نفسك أنت بس وأنا هأظبطك

نبهه: بس خلي بالك ماليش أنا ف جو البنات دا .. ها ؟!

كشر مصطفى وبان على وجهه السأم: بنات إيه يا عم .. دا أنا هأوديك تاكل أكلة سمك إنما إيه

–هههههههه ماشي يا عم أما نشوف أخرتها

دعس على مكابح السيارة فجأة وبقوة شديدة كادت تقذفهم عبر زجاج السيارة الأمامي، صاح به أكرم مذعورا: إيــه يا بني! أنت أتجننت ولا إيه ؟ حد يقف بالطريقة دي ؟

تعلقت حدقات مصطفى بنقطة ما ينظر إليها عبر النافذة المجاورة لأكرم، أومأ برأسه إلى الجهة ذاتها: بص شوف مين هناك ..

نظر إلى المكان الذي أشار إليه فوجد رجل ومعه فتاة يتحدثون سويا أمام إحدى المكتبات، استفسر أكرم مطالبا بمزيد من الإيضاح ونظره لم يتحرك عنهما: مالهم يعني؟ واحد وواحدة بيتكلموا .. عادي، إيه الغريب في الموضوع ؟

رفع أحد حاجبيه مدليا بتصريحه الصاعق: دا هشام .. مدير المزرعة اللي سرقني

فغر أكرم فمه من الدهشة: نعم ؟!

بينما هما يتحدثان صعد هشام إلى سيارة أجرة أنطلقت به فيما أكملت الفتاة طريقها في الإتجاه المعاكس بهدوء وخطوات قوية تعرف وجهتها.

هتف غاضبا: والمصحف ما أنا سيبه

أدار مصطفى سيارته وأنطلق خلفه؛ لكن بعد مرور سيارة الأجرة من الإشارة أصبحت حمراء وأضطر للوقوف حتى أختفت من أمام عينيه دون أن يفعل شئ.

ضرب على عجلة القيادة بعنف: ابن الـ* حظه نار .. بس هيروح مني فين، هأجيبه هأجيبه .. الأيام بيني وبينه لسه كتير**

قلق أكرم على صديقه من تلك اللهجة: خلاص يا ابني هدي نفسك .. ربنا مش هأيسيب حقك يروح، بس يلا أكلني هأموت منك كدا

لمع الغضب في عيون مصطفى: دا أنا اللي مش هأسيبه .. حاضر يا عم الفجعان أدينا رايحين

أكملوا طريقهم إلى المطعم ليتناولوا وجبة السمك الموعودة، حاول خلالها أكرم إثناء صديقه عن وعيده، يحذره من أن الأفعال التي نفعلها بكل رضى أثناء الغضب ورغبة في الإنتقام نندم عليها فيما بعد عندما ينطفئ الغضب وتخمد نار الحقد، لكن هيهات أن يستمع له في هذه الحالة؛ فكذلك أوقات الغضب تسد الأذان عن سماع النصيحة ويمتنع العقل عن التفكير بالنتائج، فقط يفكر في ماهية إطفاء نيران الغضب المستعرة حتى وإن تلتها أغلال الندم القاتلة.



الفصل الخامس

الساعة السابعة صباحا في مصر هي إختصار للكثير من الكلام والوصف، بداية من عربة الفول التي يتجمع حولها الناس وبالأونة الأخيرة بدأت النساء أيضا بالتجرؤ والوقوف عليها لتناول الإفطار.

الطفل الذي تركض والدته خلفه لاهثة؛ خوفا من إنطلاق سيارة المدرسة قبل إعطاءه نصيبه من الشطائر.

والأطفال الذين قرروا الذهاب مبكرا وعدم مقاومة محاولات والدهم المستميتة لإيقاظهم؛ حتى يقفوا أمام بوابة المدرسة، يلعبون بالكرة حتى ميعاد طابور الصباح.

والرجل الذي يعمل في إحدى مصالح الحكومة وفوجئ صباحا أن السيارة ترفض الدوران قبل أن تنال دفعة مشجعة، يطل برأسه ينادي مجموعة شباب متوجهون إلى عملهم أو كلياتهم طالبا منهم "أدي زوبه زقه" وابتسامة الإعتذار لا تتزحزح عن شفتيه، قابلوها بابتسامة ود وعدم إنزعاج.

العديد من البشر يسيرون، على ملامحهم مختلف الخلجات، من يأس، من روتين حياته والآخر مستبشر بيوم جديد وشمس يوم آخر والمحبط والمتفائل ...، مختلف أنواع البشر ومختلف أنواع التعبيرات والقصص.

–صباح الخير يا حاج عبدالصمد

–صباح الخير يا بنتي

دخلت تبدأ عملها وشرعت في ترتيب الكتب التي جاءت حديثا للمكتبة على الأرفف، مليئة بالهمة والنشاط.

أحد أسباب قبولها العمل في المكتبة هو عشقها الأبدي للكتب، يكفيها أن تشم عبق التاريخ وخبرات الكتَّاب حتى تشعر بالراحة والهدوء، خبرة سنوات لُخصت في أسطر، تُكسِب المرء أعمارا فوق عمره.

نسيت مرور الوقت ودوارن عقارب الساعة حتى نهض الحاج عبدالصمد من خلف مكتبه: أنا هأروِح أصلي الضهر وأجي يا فريدة مش هاتأخر عليكي يا بنتي

أومأت باسمة: ماشي يا حاج .. تقبل الله مقدما

غادر الحاج عبدالصمد متعكزا على عصاه الخشبية: تسلمي يا بنتي

–مساء الخير

تركت فريدة ما بيدها من كتب واستدارت ترى الزبون القادم، وتستعد لتوفير طلباته.

–مساء النور .. أقدر أساعد حضرتك ف حاجه ؟

تأملها بجرأة قبل أن يدمدم متمهلا: أنا صاحب هشام عاصم

استغربت نظراته وطريقة حديثه؛ فلم تسعفها ذاكرتها بالسرعة الملائمة: أفندم ؟ مين دا ؟

بدأ يفقد أعصابه لشعوره بكذبها: إحنا هنستعبط من أولها ولا إيه ؟ .. هشام عاصم اللي كان هنا إمبارح .. وكان خارج معاكي من هنا ع الساعة تلاته وركب التاكسي وجري

اتسعت عينيها للهجته في الحديث: أنت إزاي تسمح لنفسك تكلمني بالطريقة دي؟ وبعدين أنا فعلا ما أعرفوش

مال عليها مستجوبا: أومال كان واقف يكلمك قدام المكتبة ليه ؟

عقدت فريدة ذراعيها أمام صدرها في حركة دفاعية: أنت مش ملاحظ إن حضرتك بتتدخل ف حاجه أنت مالكش فيها ؟ حتى لو كنت صاحبه فعلا

حاول مصطفى تمالك أعصابه: أنا عايز أعرف مكانه دلوقتي .. لو سمحتي بكل هدوء قوليلي .. مكانه فين؟

ضاقت عيون فريدة: مش غريبة .. بتقول إنه صاحبك ومش عارف مكانه فين وجاي تسألني ؟

صاح بها فاقدا السيطرة على ذاته نتيجة منطقها وتحوله إلى مذنب: يوووه هتفضلي ترغي كدا كتير ؟ .. هو فين يعني ؟!

شردت بعيدا بخيالها: ما أعرفش .. أنا ساعدته بس لما حصلت الحادثة وبعدها هو ....

***

تذكرت عندما جاء في الأمس فيما تسلم سيدة كتاب عن قصص الأطفال حتى تقرأها لابنها قبل النوم، لأنه لا يستطيع النوم إلا بعد سماع إحدى القصص، وهي قد أنهت كل ما في جعبتها .. فصار يجدها مملة وأصابه السأم.

بعدما غادرت هذه السيدة دخل عليها هشام قائلاً:

– مساء الخير .. عامله إيه؟

– أهلا .. أنا اللي المفروض اسأل حضرتك عامل إيه بعد الحادثة اللي حصلت

ضحك هشام: أديني قدامك أهو صاغ سليم .. الحادثة دي بالنسبة ليا تفاهـات.. أنا حصل فيا أفظع من كدا .. بس تقدري تقولي إني زي القطط بسبع أرواح

بابتسامة بسيطة لم تصل حدود منتصف وجنتيها: طيب الحمدلله

– أنا جيت أشكرك ع اللي عملتيه معايا

– لا شكر على واجب .. وبعدين حضرتك شكرتني ف المستشفى ماكانش في داعي تيجي تاني هنا بنفسك تشكرني، وحضرتك لسه قايل إن الحادثة دي تفاهات بالنسبة لغيرها

– بردو ماكانش ينفع أعديها من غير ما أشكرك

استغربت إصراره: طيب العفو .. بس حضرتك عرفت مكاني منين؟

هشام بمكر: أبدا، جيت مكان الحادثة وبعدين افتكرت إنك قولتيلي إنك بتشتغلي ف مكتبة قريبة منها .. دخلت كل المكتبات اللي هنا لحد ما لاقيتك

قطبت حاجبيها دهشة: صدقني ماكانش في داعي لكل اللفة دي

مال تجاهها بشكل ملحوظ: علشانك أي حاجه يبقالها داعي

تراجعت خطوات معدودة باحراج: طيب .. بعد إذنك بقى لأنه دا معاد مرواحي

أسرع هشام مستغلا الفرصة عن طيب خاطر: طيب تعالي أوصلك

رفضت عرضه: لا شكرا، البيت مش بعيد وأنا بأحب أخدها مشي

استسلم متأكدا من عدم قدرته على إقناعها: طيب زي ما تحبي

خرجا سويا من المكتبة، وقفا أمام الباب بعد أن استدار إليها مودعا: يلا خلي بالك من نفسك .. سلام

هزت رأسها: مع السلامة

***

عادت بعينيها إلى الواقف أمامها ولا يفصل بينهما سوى المنصة التي تبيع من خلفها: دا اللي حصل لكن أنا ما أعرفوش

أومأ مصطفى مصدقا أقوالها، لا يعرف سبب ذلك: أها .. شكلك ما تعرفهوش فعلا

هزت رأسها: أنا قولتلك اللي عندي .. بعد إذنك بقى، أهو الحاج عبدالصمد جه وأنا لازم أمشي .. سلام

شعر بالصدمة إنها فجأة تتركه وتغادر دون أن تنتظر منه أي رد أو السماح لها بالمغادرة، وجد نفسه يلحق بها ويسرع الخطى دون أن يدري سببا لذلك أيضا.

تمتم من خلفها لاهثا: أنا آسف والله يا آنسة، مش آنسة بردو؟

تقبلت أسفه دون أن تعير سؤاله أدنى اهتمام: خلاص ما حصلش حاجه

لاحظ أنها قصدت تجاهل سؤاله فشعر بالغضب لأنه يريد معرفة إذا ما كانت آنسة أم لا، لكن دون أن يعرف سبب ذلك .. كذلك، فقط شعر برغبة في المعرفة ليس أكثر.

قرر مصطفى أن يجعل الحديث بينهما دائرا حتى يصل إلى مبتغاه: ما حصلش حاجه إزاي ؟ دا أنا كنت قليل الأدب معاكي أوي

ألقت عليه نظرة من طرف عينها: كويس إنك عارف

صدم من صراحتها: ما هو إنتي ما تعرفيش هو عمل فيا إيه

هزت كتفيها بلا مبالاة: ومش عايزة أعرف .. ممكن بقى تبطل تمشي ورايا

تجاهل طلبها الأخير ردا على تجاهلها السابق لسؤاله: بس لازم أحكيلك أكيد هتعذوريني .. ممكن أعزمك على حاجه نشربها أو حتى نتغدى وأحكيلك

زمت شفتيها حنقا: لا أنا عذراك من غير ما أسمع حاجه .. ومش باتغدا مع حد

– طيب براحتك .. بس هو سرقني عشان كدا بأدور عليه

وقفت بسبب صدمتها من السبب، فكيف لمدير مزرعة أن يسرق؟ وماذا سرق؟، مظهره لا يدل على أنه لص أو سارق، أنه بحاجه إلى أموال غيره.

فيما استغل مصطفى فرصة وقوفها: سرق من خزنة المزرعة كل الفلوس، دا غير تزويره ف حسابات المزرعة للسرقات اللي كان بياخدها أول بأول

نظرت له مندهشة: وحضرتك كنت فين لما كل دا كان بيحصل ؟

اعتره الحرج: ماكنتش مركز ف المزرعة أوي .. كنت مشغول بحاجات تانية

خجلت من تدخلها في شئ لا يعنيها: ربنا يعوضك وتاخد حقك بإذن الله

ابتسم: إن شاء الله .. أتمنى إنك تكوني عذرتيني دلوقتي

لامته: ما أنا قولت لحضرتك أنا عذراك من قبل ما تقول

غمزها بشقاوة: طب تمام .. يعني صافية لبن؟

ردت مبتسمة من أسلوبه: حليب يا قشطة

هدأ داخله قليلا لمرأى بسمتها بينما اشتعل جزء آخر في أحد أركان قلبه: طيب تسمحيلي أوصلك ؟ أنا عربيتي مش بعيدة من هنا

أشارت بأصبعها إلى أحد الشوارع: لا متشكرة .. أنا خلاص بيتي على أول الشارع اللي جاي مش بعيد .. بعد إذنك

ذهبت تاركة إياه يقف بمفرده في منتصف الطريق ينظر إليها حتى غابت عن عينيه وابتلعتها إحدى البنايات السكنية.



الفصل السادس

دقت ساعة الجامعة معلنة تمام الساعة، انتفضت مرام واقفة عندما سمعت صوت أكرم يحدثها: آنسة مرام

نظرت إليه واستفسرت: أفندم

– روحي مكتب دكتور سامر واسأليه فين الورق اللي كنت طالبه منه

أومأت طائعة: حاضر .. بس فين مكتب دكتور سامر ؟

أوضح لها الطريق: هتلاقيه جنب مكتب الإدارة بتاعت الكلية اسألي هناك وهما هيقولك مكان مكتبه بالظبط

– تمام يا دكتور .. عن إذنك

وصلت لمكتب دكتور سامر بعد أن اتبعت إرشاداته ولم يستغرقها معرفة مكتبه وقتا طويلا؛ فقد علقت لوحة تحمل اسمه بطريقة مزخرفة جذابة على باب أحد المكاتب، قبل أن تطرق الباب ظهر أمامها آخر من توقعت رؤيته.

صوت ساخر عطلها عن دق الباب: إنتي تاني ؟ وجايه ليه المرة دي ؟ .. مع الأسف مش ف إيدي ملفات توقعيهالي

شعرت بالغيظ يتملكها: ومين قال إني بأدور عليك أصلا ؟! دا إيه تلاقيح الجتت دي .. وبعدين مش شايف إنك واثق ف نفسك زيادة عن اللازم ؟؟

تجاهل كلامها الجارح: أومال جايه ليه ؟

شدت كتفيها غرورا: جايه أقول لدكتور سامر إن دكتور أكرم بيسأله عن الملفات اللي طلبها منه .. لما يجي أبقى قوله إنه محتاجها ضروري .. عن إذنك يا .. كابتن

-كـــابتـن ! لا لا، لا بقى .. البت دي مجنونة رسمي

فجأة ابتسم بمكر، دلف إلى الحجرة ساحبا أحد الملفات من فوق الرف، خرج مزهوا بنفسه: لما نشوف المفاجأة هتعجبك ولا لا يا مجنونة هانم هههههههه

***

دخلت فريدة البيت تتعجب مما حصل معها، من أين ظهر لها هذا الـ مصطفى ؟ ألم تعد تحكم على الاشخاص جيدا لهذه الدرجة ؟ .. هل من المعقول أن يكون مجرد لص آخر من لصوص هذا الزمن؟ .. لكن قد يكون هذا المصطفى كاذب؛ فهي لا تعرفه .. كل شئ أصبح محتملا في الحياة، لم تعد تستوعب ما يحدث الدنيا من أفعال البشر ودناءة الأنام، ذهبت تصلي علَّ الله يهديها إلى الصواب.

ضمت شقيقتها من الخلف: هنــد، دودي

ردت بنبرة حزن: أيوه يا فريدة

أطلقت صراحها واستدارت تجلس أمامها: مالك يا بنتي ؟ بقى حد يبقى قاعد قدام مسرحية العيال كبرت ويبقى ضارب البوز دا كله ؟!

ظلت صامتة لا تجيب، شاردة في عالم آخر، إزداد قلق فريدة عليها وجعلها تقطب: في إيه بس يا هند ؟ إيه اللي جرا ؟

زفرت هند وأخرجت الحريق بداخلها على هيئة كلمات: أمك وأبوكي مش هينزلوا السنة دي كمان، ماما اتصلت قبل ما تيجي عشان تقولي كدا

تمالكت إحباطها وبدأت تلتمس لهما الأعذار: أكيد حصل معاهم حاجه تاني

نظرات هند تلومها على كلماتها غير المنطقية: إنتي مقتنعة باللي بتقوليه ؟ دول هيبقوا أربع سنين

ابتسمت لها بحزن: يعني ف إيدينا إيه ؟ ما تحطيش الموضوع ف دماغك وربك يسهلها .. إلا صحيح .. لسه ما لاقتيش شغل؟

تنهدت: لا .. ما بينلهاش شغل

جلست إلى جانبها تبث بها روح الحماسة: ليه الإحباط دا بس يا بنتي .. واحدة خريجة إدارة أعمال بتقدير إمتياز ومش هتلاقي إزاي؟ .. هتلاقي ماتخافيش ربك موجود

– ونعم بالله

داعبتها مازحة: إيه رأيك بقى أعملك إنهارده حتت صينية مسقعة باللحمة المفرومة من بتاعتي اللي تخليكي تاكلي صوابع إيدك ورجلك وراها ؟

ضحكت بصخب: صوابع رجلي إيه يا منيله .. جاتك القرف

– طب الحق عليا يا ستي كفايه إيدك .. يلا قومي بينا نجهزها قبل ما مرام المفجوعة تيجي وتاكل صوابع رجلي ورجلك اللي مش عجباكي دي

– أه والله معاكي حق هههههههه

نهضتا سويا تتساعدان في إعداد الطعام، الأيدي تعمل والعقول تشرد، تهرب من الواقع وتعيش في تخيلاتها، السلبية منها أو الإيجابية حيث تتحكم في تلك النقطة الحالة النفسية لصاحب العقل ومزاجه.

***

وقفت أمام خزانة بالمكتب تضع بها بعض الملفات وتستكشف أخرى بحثا عن

غرضها، سمعت طرقا يتلوه صوتا، تجزم سماعها له من قبل؛ فالتفتت مستطلعة القادم.

– أكرم موجود؟

نظرت إليه مستغربة: اسمه دكتور أكرم يا كابتن .. وبعدين عايزه ف إيه ؟

خرج أكرم من مكتبه الملحق بالغرفة التي تحتلها مرام، نظر إلى كليهما رافعا حاجبيه ثم بدأ بالترحيب بزائره.

قبض أكرم على كف صديقه بشدة: أهـــلا بسموره حبيبي

بادله سامر الترحيب بابتسامة صادقة: أهلا بيك يا عم، مش بتسأل غير عشان شغل بس .. هـــا!

– لا طبعا .. بس أنت عارف مشغول أد إيه

- عارف طبعا

- اللي ف إيدك أكيد الملف اللي أنا عايزه صح؟ .. طب تعالى ندخل المكتب نتكلم شوية ونشرب حاجه مع بعض .. عشان ما تقولش شغل بس

- هههههههه ماشي يا سيدي يلا بينا

سبقه أكرم بالدخول إلى مكتبه بينما سامر يلحق به متلكئا، قبل أن يدخل ويغلق الباب خلفه نظر لمرام نظرة إنتصار وتشفي من الموقف الذي أصبحت فيه قائلا: كابتن هــا ؟ .. لما نشوف مين اللي كابتن يا .. آنسة هههههه

ظلت في صدمتها حتى سمعت صوت إغلاق الباب، شعرت بالغيظ الشديد من كلماته الأخيرة وتسرعها في التعامل معه كأنه أحد الخدم الموكلين بتنفيذ طلباتها.

- هو في دكتور كدا يا ربي .. هو دا منظر دكتور أصلا .. وله في خلقه شئون

***

وقف والغضب يملئ كل خلجة من خلجاته، أطلق كلماته وهو يدور حولها كالفهد الذي يحاول صيد فريسته فيرهقها بإشعارها بالقلق وإنتظار الفتك بها في أية لحظة؛ حتى تسقط صريعة، فلا تتلوث يداه بمهاجمتها يكفيه تناولها بعد أن قدمت نفسها على طبق من فضة.

– إنتي إزاي تخونيني بالشكل دا .. أنا كنت بأعاملك أحسن معاملة .. وبتاخدي مرتب أحسن من أحسن سكرتيرة تانية وف الآخر تسربي أسرار الشركة وشغلي لشركات منافسة ؟!

توترت بشدة: أنا .. أنا .. أنا

اشتعل غضبه أكثر من عدم دفاعها، حالتها أشعرته كأنه عزرائيل جاء لقبض روحها: إنتي خاينة وأنا ما بأشتغلش مع ناس خاينين، ولولا إن والدك –الله يرحمه– كان راجل محترم وخدم الشركة بعينيه لسنين طويلة، أنا كنت بلغت عنك ووديتك ف ستين داهيه .. لكن هأكتفي بطردك

انهارت سهيلة في نوبة بكاء شديدة: بس يا أستاذ أحمد .. مش هأعرف أعيش ولا أأكل إخواتي

التفت إليها ساخرا، خاطبها بقسوة: كنتي فكرتي ف كدا قبل ما تعملي المصيبة اللي عملتيها، إنتي باللي عملتيه دا خسرتي الشركة خسارة كبيرة، الشركة اللي بتأكلك إنتي وإخواتك عشان كام مليم .. هيرمهوملك ومش هتلحقي تتمتعي بيهم؛ لإنك هتلاقيهم اتبخروا، دا المال الحرام يا أستاذة .. أخرجي برا دلوقتي وما أشوفش وشك تاني ولا تعدي من قدام باب الشركة حتى

خرجت سهيلة منهارة في بكاء هستيري، تعض على أناملها من الندم على ما ارتكبته يداها وصنعته بمن فعلوا فيها المعروف، لكن ماذا يفيد الشاه سلخها بعد ذبحها ؟.

قابلها أكرم عند الباب الأمامي للشركة، استغرب بكائها كذلك الصوت العالي الذي سمعه من الداخل يتعالى، ناهرا أمرا، يلقي الملامة على كل من تقع عيناه عليه.

أسرع أكرم إليه وهو يقف بين العاملين، أشار ناحية الباب الذي خرجت منه سهيلة مستفهما: هي مالها دي؟

أدار ظهره وأتجه إلى داخل حجرته، رمى جسده بتعب من إنشداد أعصابه كأوتار العود، لحق به شقيقه وأعاد تكرار استفساره، أجابه أخيرا ببرود: سربت أسرار للمنافسين فطردتها

صدمه هذا التصريح البسيط: سهيلة ؟! أنت متأكد ؟

عادت عصبيته للظهور: أومال هأتبلى عليها مثلا ؟ ما أكيد ما أتهمتهاش غير لما اتأكدت

جلس أمامه: طيب هدي نفسك .. أنا بس ما توقعتش إنها تعمل كدا

تنهد وفرك وجهه بين أصابعه: ولا أنا .. بس أهو دا اللي حصل

– طب وهتعمل إيه دلوقتي ؟

– أبدا .. هأشوف سكرتيرة غيرها وأحاول أعوض الخسارة اللي اتسببت فيها

– وأنت هتلحق تلاقي سكرتيرة جديدة إمتى ؟

هز كتفيه بلا حول: أي سكرتيرة م اللي ماليين الشركة لحد ما ألاقي حد أثق فيه وكويس إن بكره الجمعة أهو يبقى في مهلة أكبر عقبال ما اتصرف

زم أكرم شفتيه بأسف: الله يعينك بصراحة .. أنا هأبقى أشوفلك الموضوع دا، ركز أنت ف شغلك وأنا هأشوفلك سكرتيرة كويسه .. بس صحيح عرفت منين إن هي اللي سربت المعلومات ؟

شرد مدركا هول فعلته بالوثوق فيها إلى حد تجرؤها على الغدر: هي الوحيدة اللي بتعرف أهم الأمور .. وبعدين لما بدأت أشك بقيت أقولها حاجات غلط ومش بأقولها لغيرها واكتشفت إنها بتقولها بالظبط لشركة منافسة

غمزه ضاحكا: أه يا ابن الأروبه –سوري يا ماما– .. لا لا صحيح من عيلة السويفي

أمال أحمد رأسه قليلا وعيونه تلمع بالتسلية: أومال يا بني .. هأدير الشركة إزاي وأحافظ عليها لو ما عملتش كدا .. دا أنا أقعد ف البيت أخرط بصل أحسن

نهض أكرم: ماشي يا عم المدير يلا نروح بقى، لأحسن أنت شكلك اتهديت وأنا هأموت من النعس

وقف أحمد يتناول سلسلة مفاتيحه وهاتفه المحمول ويتأكد من عدم نسيانه لشئ ما، بعد تأكده استدار إلى أخيه رابتا على كتفه حتى يتقدمه، أغلق الباب بعدما ألقى نظرة شاملة نهائية في أرجاء الحجرة.

***

ارتمت مرام وهي تضع يدها على معدتها، تجلس مع إخوتها أمام شاشة التلفاز يشربون القهوة بعد وجبة دسمة من الغداء.

–الله تسلم إيدك يا فريدة .. بجد دي كانت حتت صينية إنما إيــــه .. لــــوز

ضحكت فريدة على طريقتها: بالهنا والشفا

شرعت هند في إغاظة مرام: هههههه أنا يادوب لحقت دوقتها، كان في زي ما تقولي مجاعة أفريقية قاعدة معانا يا فريدة .. خلصت الأكل كله مسافة ما اتحط

تدللت مرام: ما أنا بأروح الجامعة بأحضر محاضرات وأشتغل مع دكتور أكرم ويادوب بألحق أصبر نفسي بسندوتش

كادت فريدة أن تختنق برشفة القهوة التي تناولتها: قال سندوتش قال .. دا مش بعيد لو روحت ألاقي الكافيتريا من غير أكل والناس بيدوروا ع الكائن اللي خلصه كله

تابعت هند: ههههههههه كائن هلامي يتغذى على أي حاجه .. مش بعيد تقوم ف يوم ما تلاقيش أكل تروح وكلانا إحنا

أخرجت لها مرام لسانها: هاهاهاها .. طب أبقي حرصي على نفسك يا شاطرة

دفعت عليها هند الوسادة: ماشي يا مفجوعة

التفتت إليها فريدة بجدية: مرام بجد لو الشغل تعبك بلاش منه .. إنتي مش مضطرة عليه يعني للدرجة دي

أسرعت مرام تبدي رضاها: لا لا أنا مرتاحه كدا وبأخد خبرة ف نفس الوقت

دعمتها فريدة: طيب .. بس لو أضايقتي منه ف يوم سيبيه ولا يهمك

–ما تقلقيش عليا .. هي ماما اتصلت إنهارده يا هند ؟

هند باندهاش: وإنتي بتسأليني أنا ليه ؟

حدقت مرام في فنجانها قائلة بتروي: لا أبدا، أصلك يوم ما بيتصلوا بتبقي مش على بعضك

رفعت هند حاجبيها بتوتر: أنا ؟ أبدا .. عادي يعني

أنهت مرام الجادل معلنة النتيجة النهائية: مش هينزلوا السنة دي كمان صح ؟

نظرت الشقيقتان لبعضهما لا تدريان بما تجيبان على أختهم الثالثة، كيف يصرحون بصدق حديثها دون أن تثور ثائراتها.

تناولت مرام رشفة من قهوتها دون أن تذق لها طعما، وقالت بسخرية: ما تردوش أنا عرفت الإجابة خلاص، نفس الإجابة اللي سمعتها 3 مرات قبل كدا ودي الرابعة .. خلاص اتعودت .. أنا هأدخل أنام بقى، تصبحوا على خير .. وأه على فكرة هأنزل بكره؛ في شغل الدكتور عايزني أخلصه

دخلت مرام غرفتها وتركت إخوتها بلا حول ولا قوة، لا يعلمون كيف يخففون عنها ما تشعر به؛ لأن جميعهم بدون استثناء لديهم ذات الشعور؛ من الفراغ وقلة الحيلة، لكن يختلفن فقط في ردود الأفعال؛ فقد فهموا من حديثها أن والديهم لم يعودوا يثيرون بها أدنى اهتمام ولم تعد مبالية إذا عادوا أو ذهبوا.

لكن لو فتحوا عليها الباب بعد لحظة من دخولها حجرتها لشاهدوا أنهارا وليس مجرد دموع لفتاة منذ كانت في الثانوية ومازالت بضفائرها لم ترى أهلها، تشعر بشعور الأيتام على الرغم من أنها رسميا ليست يتيمة.

***

دقت الباب قبل أن تسمع الإذن، كانت قد فتحت الباب ملقية التحية: صباح الخير يا دكتور

رفع أكرم بصره إليها باسما: صباح النور .. آسف إني نزلتك يوم الجمعة .. بس إنتي عارفه؛ عايز أخلص

أزالت عنه الحرج بابتسامة: لا ولا يهمك يا دكتور .. أنا مبسوطه بشغلي مع حضرتك

تنهد في راحة: طب تمام .. قبل ما نبدأ بأي شغل، عايزك تتصلي بمكاتب التوظيف وتطلبي سكرتيرة

حدقت فيه بفزع: هو أنا ضايقت حضرتك ف حاجه ؟

نظر لها مستغربا حالة فزعها : لا

ثم أردف موضحا: هي مش علشاني دي عشان أخويا .. محتاج سكرتيرة

نفخت براحة: ااه .. طيب ليها مواصفات معينة ؟

بعد تفكير أجابها: أه تكون أمينة .. محترمة .. تهتم كويس بشغلها وأهم حاجه تستحمل الشغل مع أخويا؛ لأحسن دا عامل زي التور المربوط ف ساقية .. وتستحمل عصبيته

أومأت كاتمة ضحكتها: حاضر هأتصل بيهم فورا

توقفت فجأة، لكن .. ألا تناسبه هند ؟، حدثت نفسها بصوت هامس: ما هي ليها ف السكرتاريا ونفسها تشتغل، وبعدين هو هيلاقي زيها فين ؟ .. اتصل بيها اسألها؟ .. هترفض أنا عارفه دماغها زي القفل .. أنا هأدبسها دا أحسن حل

طرقت مكتب أكرم من جديد ودخلت تاركة الباب مفتوح كعادتها، وقفت أمامه مستقيمة العود.

استفسر مستغربا سرعة رجوعها: اتصلتي بيهم ؟

تنحنحت بحرج: بصراحة لا

زاد تعجبه: ليه ؟

هزت كتفيها: أصلي مش محتاجه أتصل بيهم .. أنا عندي واحدة جاهزة

ترك قلمه وأنتبه لحديثها: بجد ؟ مين ؟

– أختي .. هند

كرر: أختك ؟

شرحت بحرج: أيوه .. أختي متخرجة بقالها سنة من إدارة أعمال بتقدير إمتياز .. دا غير الكورسات اللي كانت بتاخدها، أدربت فترة ف مكتب بس سابته لأن نظام الشغل ما عجبهاش

أمسك أكرم بهاتفه: ما شاء الله .. تمام هأكلم أحمد وأحدد معاه معاد

مرام بفرحة: تمام

اتجهت للباب مغادرة الغرفة، صيحة باسمها منعتها وجعلتها تستدير إلى صاحب الصوت بتمهل، عيونها تطلب توضيحا عجز لسانها عن نطقه، لقد شعرت برنة مختلفة لاسمها عكس كل مرة تسمعه من ذات الشخص.

-أيوه يا دكتور

ضاقت عيونه: إنتي ليه بتقفلي الباب وإنتي خارجة بس تسبيه مفتوح لما تدخلي بهدوء شديد فيما عقدت كفيها أجابته: علشان أنا وحضرتك ماينفعش نقعد سوا ف نفس الأوضة والباب مقفول علينا .. الرسول -عليه الصلاة والسلام- قال (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس لها محرم فإن الشيطان ثالثهما)

- صدق رسول الله -صلَّ الله عليه وسلام- .. بس إنتي يعني ..

عجز عن إكمال جملته وشعر بالحرج من فضوله وتدخله في ما لا يعنيه، توصلت بعقلها إلى إتمام الجملة.

بابتسامة متفهمة: علشان لبسي يعني وشعري ما توقعتش إني أعرف أوامر الرسول ؟ .. بس معاك حق إزاي أعرف أوامر الرسول وربنا وما أنفذهاش ؟ .. أنا ممكن ألبس الطرحة زي ما في بنات كتير عامله بس عن عدم إقتناع وراحة، هألبسها بس تنفيذ أوامر مش أكتر مع احترامي أنها أوامر ربنا؛ بس أنا عايزه أنفذها وأنا راضية علشان لما ألبسه ألبسه صح .. يعني ما ألبسوش على كم وأروح أشمره، ولا أبين قصه من شعري، ولا ألبسه على بنطلون ضيق .. إلخ من اللي حضرتك أكيد بتشوفه، فأنا

عندي أفضل من غيره أحسن ما أعمل اللي باقي البنات بيعملوه، بيلبسوه موضة مش أكتر .. عن إذنك

خرجت مرام وتركته يندهش من طريقة تفكيرها، حدث نفسه: وأنا اللي كنت فاكر إنك تافهة زيك زي باقي البنات .. ما أنت كنت فاكر إنها مش هتعمر معاك ومش هتستحمل الشغل معاك هتطفش منك، جات على دي؟ .. شكلك كلك أسرار وهأعرف عنك حاجات أكتر وأكتر .. لما نشوف إيه اللي وراكي يا مرام هانم.

***

-إنتي بتدبسيني يا مرام هانم ولا إيه ؟؟

رفعت مرام قدميها على الطاولة أمامها متابعة بدهشة وهيام: تدبيسه ؟ بقى الشغل مع أحمد السويفي ف مجموعة شركات السويفي دي تدبيسه؟ .. دي تبقى أحلى تدبيسه ف عمرك كله أصلا

صرخت بها هند: أيوه تدبيسه، لما تحددي المعاد معاهم من غير ما أعرف حتى، تبقى تدبيسه .. وكمان سكرتيرة ؟!

نظرت إليها مرام حانقة: ومالها السكرتيرة ؟ هو إنتي هتبقي سكرتيرة أي حد ؟ دا إنتي هتبقي سكرتيرة أحمد السويفي صاحب الشركة ورئيس مجلس إدارة مجموعة السويفي

زفرت هند بحدة: سويفي سويفي .. أنا لا يهمني سويفي ولا بتاع، سويفي على نفسه مش عليا .. ومش هأروح المقابلة

نهضت مرام وتمسكت بكتفي أختها وتقبلهما استرضاء لها: كدا يا هنوده، تكسفيني قدام الدكتور بعدم مرواحك دا ؟

نظرت لها هند بإنتصار: وأنا مالي ؟ .. ما إنتي اللي دبستيني مش أنا اللي حددت المعاد معاه

ضمت مرام شفتيها بخبث: خلاص براحتك .. بس إنتي اللي هيبقى شكلك وحش

نظرت إليها هند بطرف عينها: ويبقى شكلي وحش ليه بقى إن شاء الله ؟

تظاهرت أنها تخرج شئ عالق بين أظافرها: أصل أنا قولتله إني قولتلك وإنك إنتي اللي حددتي المعاد، وطبعا لو ما روحتيش هيقولوا مش ملتزمة بمواعيدها ومش بتتحمل المسئولية

كزت على أسنانها، تكاد تنفجر من الغيظ: كمـــــان يا مـــــرام، إنتي زودتيها أوووي

تدخلت فريدة أخيرا تحاول إمتصاص غضب هند: خلاص يا هند روحي شوفي الشغل يمكن يعجبك

استدارت هند إلى شقيقتها الأخرى شاهقة: إنتي كمان يا فريدة ؟! يعني بعد كل الكورسات والدراسة اللي تعبت فيها .. أبقى سكرتيرة ؟

حاولت فريدة إقناعها بهدوء: ومالها السكرتيرة يعني ؟ مش شغلانه محترمة بردو؟ .. وبعدين ما أنا أهو خريجة طب بيطري وبأشتغل ف مكتبة فين المشكلة يعني

مادام شغل محترم وكويس؟ .. وإنتي جربتي تشتغلي شغلانه بشهادتك وأديكي شوفتي الشغل كان ماشي إزاي .. رشاوي من تحت الطربيزة وما عجبتكيش النظام .. جربي دا يمكن يعجبك، إنتي مش خسرانه حاجه

اقتربت مرام من شقيقتها: أيوه، فريدة معاها حق .. جربي بس

تنهدت هند: طيب لما نشوف أخرتها .. والمعاد إمتى بقى يا ست هانم؟

قالت مرام بتردد وهي تخفي وجهها خلف إحدى الوسائد: إحم إحم .. بكره الصبح الساعة تمانية ونص

لم تستطع إمساك أعصابها أكثر: نعم ياختي .. بكره إيه ؟!

كررت مرام ضاغطة على كل حرف: بكره الصبح

كزت هند على أسنانها: لا لا إنتي بتستهبلي رسمي

ابتأست مرام: ليه بس؟ .. إنتي معاكي (سي في) جاهز علشان لما بتقدمي على شغل إنتي مش هتحتاجي أكتر من كدا

زفرت هند: صبرني يا رب

فريدة ضاحكة: إحنا لينا الجنة بسببك يا مرام

هزت رأسها بفخر: عدوا الجمايل بس

هند بمكر: هأعدها .. بس هأعدها على جتتك يا حبيبتي

– لالالالالا حـــــــــرام

ركضت مرام إلى غرفتها قبل أن تمسكها هند، لكن دائما وأبدا سيظل الطعام نقطة ضعف مرام المعروفة لدى الجميع، إنه أكثر شئ لا تستطيع مقاومته. استغلوا ذلك في إخراجها من حبسها الإنفرادي خلف جدران حجرتها، بدأت بعد ذلك هند تحصي عليها عدد "الجمايل" حتى وصلت تقريبا إلى البليون، أتضح أن لمرام العديد من "الجمايل" التي لا تعدى ولا تحصى لكن هند اكتفت بما أحصته.



الفصل السابع

ترجلت من سيارة الأجرة التي استقلتها أمام شركة السويفي، رفعت بصرها إلى اللوحة المعلقة أعلى البوابة تحمل اسم الشركة منبهرة، كذلك مظهر المبنى من الخارج يحبس الأنفاس؛ اللوحات الزجاجية التي تعكس الإضاءة فتظهره كأنه قد صنع من الماس، دخلت المبنى الضخم تشعر بخوف غير طبيعي، تشعر أن هذه الشركة سوف تكون أحد أسباب أختلاف حياتها كليا، ستقلب حياتها رأسا على عقب دون أن تدري سبب ذلك الظن.

صعدت الدرجات المعدودة أمام الباب ووصلت للاستقبال، بعد تعريف نفسها وسبب حضورها قاموا بإرسالها إلى مكتب رئيس مجلس الإدارة الأستاذ أحمد كي يقابلها شخصيا.

ما كادت تخرج من المصعد في الطابق الأخير من المبنى حيث يوجد مكتبه حتى سمعت صوتا مرتفعا يدل على غضب صاحبه من شدة الصياح.

– اللي يشوف الشغل دا ما يقولش إني بأشغل معايا بروفشنال، يقول إني جايبهم من تحت الكوبري، دا لو أنت بتسمي الزفت دا شغل أصلا

تأتأ الموظف: صـ .. صدقني يا أستاذ أحمد أنا ....

قاطعه بحزم: لا أنا ولا مش أنا .. خد الملف دا وتظبطه قبل ما تجبهولي تاني .. وكل الأخطاء دي مش عايز أشوفها مرة تانية، مفهوم؟

أومأ الموظف بسرعة وقد أوشك أن يغرق في عرقه من فرط خوفه: مفهوم طبعا يا أستاذ أحمد

لوى شفته السفلى ساخرا: طب كويس .. أتفضل على شغلك

اقتربت من باب مكتبه ورأت الموظف يخرج متعثرا في موطئ قدميه، أشفقت على حاله فيما أغتاظت من معاملة صاحب الشركة –الذي يجب عليها العمل لديه– لمن يعملون عنده بهذه الطريقة، "شكلنا مش هنعمر مع بعض يا أستاذ أحمد بيه".. هكذا رددت داخلها.

قبل أن يغلق الباب خلف الموظف المرعوب رأها، كانت شاردة تفكر في العودة من حيث أتت ولكنه وضع حاجزا بينها وبين الهروب.

سألها مستفسرا عن هويتها؛ فهو لم يكن قد رأها من قبل في الشركة، كما أن هذا الطابق لا يصعد إليه إلا الصفوة .. سواء صفوة الموظفين أو العملاء: في حاجه يا آنسة ؟ بتعملي إيه هنا ؟

وقفت أمامه بتحدي، توأد إعجابا طرق نفسها، فلحظة شديدة الهياج وفي الأخرى قمة الهدوء: أنت إزاي تكلم الموظف بالطريقة دي ؟

حدق فيها بدهشة: نعم ؟! .. وإنتي مين أصلا علشان تدخلي ف علاقتي بالموظفين بتوعي ؟

عقدت ذراعيها أمام صدرها: لازم أدخل .. لو هأشتغل معاك

ضاقت عيونه فجأة بإدراك: لتكوني إنتي السكرتيرة الجديدة

صححت: أنا لسه ما بقتش

لوى جانب شفتيه: وأنا لسه ما عملتش الإنترفيو علشان أقرر

هزت رأسها رافضة: مش محتاج لإني ماشيه .. مش ممكن أشتغل مع واحد بيعامل الموظفين بالطريقة دي

تتبع هزة رأسها إلى الطريق الذي سلكه الموظف، أجابها بهدوء: حضرتك حكمتي عليا من غير ما تعرفي الموضوع بالظبط، وأعتقد إن دا مش من حقك ولا إيه ؟

شعرت بالخجل من موقفها وإتهاماتها: أكيد .. بس .. بس .. مهما كان ما كانش ينفع تتكلم معاه بالطريقة دي

ابتسم: إنتي معاكي حق .. ممكن بقى تتفضلي نعمل الإنترفيو ؟

صعقها استسلمه المفاجئ مما شلَّ تفكيرها وحرر لسانها دون تمهل: ماشي

دخلت وقدمت سيرتها الذاتية بينما جلس يقرأه كان يلقي عليها العديد من الأسئلة ليتأكد من ملائمتها للعمل لديه وتنفيذ أوامره، أنبهر بكم الدورات التي التحقت بها والشهادات التي نالتها بتقديرات عالية تؤكد همتها على الرغم من عدم تتخرجها منذ زمن.

رفع إليها بصره: كل دي كورسات لحقتي تاخديها بعد التخرج ؟

– مش كلها بعد التخرج أغلبها أثناء الدراسة

أومأ رأسه تقديرا لمجهوداتها: ما شاء الله .. كنتي بتاخدي كورسات جنب الدراسة وجبتي إمتياز، شكلك بتحبي الدراسة والشغل جدا

– أيوه، مش بأحب أقعد من غير ما استفيد بوقتي .. الوقت بالنسبة لي كنز ولازم اغتنمه

صاح بحماس بينما كفه كان يغلق ملفها ويلقيه على المكتب: تمام أوي .. شكلنا هنعمر مع بعض

أومأت ثم سألته بعملية: هأستلم شغلي من إمتى ؟

–من دلوقتي لو ينفع؛ لإن المكتب بقى له كام يوم من غير سكرتيرة وكله داخل ف بعضه

نهضت واقفة تمسك حقيبتها وتتناول ملفها من فوق المكتب: ماشي مافيش مشكلة .. ممكن توريني مكتبي ؟

لحقها أحمد بالوقوف وقد ضاقت عينيه كعيني الصقر: بس إحنا ما أتفقناش على المرتب ؟

–مش مهم .. أنا عايزه أشتغل علشان الشغل نفسه مش علشان المرتب

غمرته الطمأنينة؛ هكذا لن تفكر بالغدر من أجل حفنة من الجنيهات، لكنه عقد العزم على إعطائها مبلغا أكبر نسبيا مما خصصه لسهيلة من قبل إتقاء لأي طارئ، أشار إلى باب الحجرة ينتظرها حتى تسبقه: طب اتفضلي معايا أوريكي مكتبك

لحقت به في صمت، كانت الحجرة المخصصة لها على بعد خطوتين على يسار باب مكتبه، مما يسهل عليها الاستجابة لنداءه فورا، تركها تستقر وتتعرف على مكتبها فيما ينهي هو أحد الإجتماعات المهمة الذي كان على وشك البدء.

بعدما خرج تنهدت براحة وكأنها كانت تخضع للفحص المجهري والآن أصبحت حرة في فعل ما تشاء، جلست على كرسيها خلف المكتب وشرعت تتأمل تفاصيل حجرتها.

كانت مختلفة عن حجرته وعلى النقيض منها، لا تحمل تداخلات اللون البني ودرجاته، إنما ألوان جديدة تبعث الراحة لمن ينظر إليها، يجوز أنها شعرت كذلك لأنها تحب هذه الألوان وطريقة مزجها معا جذب الإعجاب من أعينها.

الحائط يحمل اللون الأزرق البترولي، يكسر لونه في الحائط الواقع خلف مكتبها ستائر فضية بها لمسات من لون الحائط، لمحت بابا في أقصى ركن توجهت إليه لتجده حماما.

ابتسمت بسعادة، يبدو أنها قد ظلمته حقا، إنه على العكس تماما؛ يهتم براحة العاملين لديه، غسلت وجهها وكفيها ثم عادت تحاول ترتيب الفوضى التي عمت أرجاء مكتبها.

***

طلب منها أكرم الحضور إلى مكتبه فأسرعت مهرولة، استقبلها بضحكته ومزاحه: مرام يظهر إن أختك هتنفع مع أحمد أوووي

ابتسمت مستغربة: إزاي يعني ؟

أكرم وهو مازال يضحك: أول مرة تكلمه هزقته؛ علشان كان بيزعق لموظف عنده

أومأت مؤكدة حديثه دون أن تشك في عدم صدقه: هههههه أه هند مش بتسكت، لو شافت غلط مش بتقدر تحوش نفسها من غير ما تدخل، ما هو علشان كدا سابت الشغل القديم

تمتم بإعجاب: لا جادعة بصراحة

بانت الغيرة على وجه مرام: أه وماله .. عن إذنك يا دكتور، ورايا شغل كتير

خرجت وتركته يضرب أخماسا في أسداس، حدث نفسه متعجبا: مالها البت دي؟ ما هي كانت بتضحك من شوية إيه اللي خلى الـ 111 دول يظهروا دلوقتي، بس شكلها حلو وهي بتضحك

شعرت بالغيظ عندما استشعرت إعجاب أكرم بهند من مجرد الكلام عنها فقط، دون حتى أن يراها، أما هي التي تجلس أمامه باستمرار لم تشعر بربع هذا الاعجاب ناحيتها، كزت على أسنانها غيظا وهمست لنفسها: ماشي يا عم أكرم إما وريتك، طيب

جاء سامر ورأها تتحدث إلى نفسها، ضرب كفا بكف محوقلا: قولت مجنونة ماحدش صدقني

هتفت بعصبية: نعم يا دكتور .. في حاجه ؟

قهقه سامر وردد بغية إثارة حنقها: براحه ليطقلك عرق ولا حاجه .. أنا كنت جاي أشوف أكرم

أدارت ظهرها وأبلغته بجدية شديدة فيما التقطيبة تعلو حاجبيها: الدكتور موجود في مكتبه اتفضل أدخله وسيبني ف حالي

تعجب للحالة التي أصبحت عليها أعصابها: قصدك أسيبك ف جنانك .. ربنا يعنيك يا أكرم ع البلوة اللي عندك دي .. عملت إيه ف دنيتك علشان ربنا يرزقك بواحدة زيها

تركها تكاد تنفجر من كلامه الذي زاد الطين بلة، لقد أصاب جزء حساسا لديها، عضت على شفتيها وحركت كفيها أمام عيونها لتمنع الدموع التي تهدد بالإفصاح عما تحسه حتى نجحت بعد دقيقتين في كتم دموعها، انصرفت تشغل ذهنها في عملها بعيدا عن مشاكل فؤادها.

***

جلست ترتل القرآن أثناء خلو المكتبة من الزبائن ولا يوجد أحد معها تقطع به الوقت، قررت الإستفادة من ذلك بشئ يقربها من الله –عز وجل– حتى جاء شخص يحمل باقة كبيرة من الورود، شديدة الجمال، ناصعة البياض.

أغلقت مصحفها ونهضت تستقبل القادم: أفندم أي خدمة ؟

ذكر العامل اسمها بعد أن نظر في ورقة يحملها بين أصابعه: حضرتك آنسة فريدة ؟

تعجبت: أيوه، في حاجه ؟؟

مد العامل إليها الباقة: دا ورد جايلك

هتفت بتعجب مستنكر: جايلي أنا ؟

أومأ بحفيظة: أيوه يا فندم، ممكن توقعيلي هنا بالاستلام

مضت فريدة وهي مغيبة تسأل نفسها: مين اللي بعتلي الورد دا ؟ وبعدين إنهارده مش عيد ميلادي ولا ذكرى أي مناسبة

بحثت في الورود علها تجد بطاقة من المرسل، وجدت أحدهم فعلا خُطَ فوقه "ورد أبيض حسيته لون قلبك من جوا .. دا طبعا بعد ما تقبلي إعتذاري عن كلامي ليكي .. سامحيني من قلبك عشان يبقى أبيض زي الورد دا .. أبوس إيدك يا شيخة، إحياة عيالك طيب .. مصطفى"

ابتسمت مرغمة من طريقة صياغة الكلام وتخيلها لصاحبه يتمتم بم كُتب على الورقة أمامها .. وجها لوجه.

-مين مصطفى دا ؟ .. ليكون ....

-أيوه هو بشحمه ولحمه

انتفضت فريدة تنظر خلفها: أنت جيت إمتى؟

ضحك: لسه داخل حالا

نفخت لفحة من زفيرها: أه أصلي ما حستش بيك وأنت داخل

مصطفى بمكر: يظهر إن الورد عجبك

أعادت نظرها إلى الباقة: أه حلو شكرا .. مين مش هيعجبه ورد زي دا

استند بمرفقه على الطاولة الفاصلة بينهما: كويس إنه عجبك .. سامحتيني بقى ؟

حدقت به لا تدري كيف تقنعه بصدقها: ما أنا قولتلك من ساعتها إني سامحتك

رأى القلق من عدم تصديقه لها في حدقتيها فأراد أن يطمأنها: طـــايب، زيادة إطمئنان مش أكتر

هزت رأسها مشيرة إلى الباب: وأديك أطمنت، ممكن تمشي بقى ؟

رفع أحد حاجبيه مبديا صدمة مصطنعة: إنتي بتوزعيني ولا إيه ؟

ارتبكت: لا مش قصدي والله أنا بس...

ضحك: إنتي مالك ارتبكتي كدا ليه ؟، أنا كنت بأهزر معاكي .. وبعدين أنا عايز اشتري حاجه

عضت شفتيها: هتشتري إيه ؟ شكلك مش بتاع قرايه

ركز نظره عليها وقال بجدية لم تعهدها: وإنتي عرفتي منين؟

أحمرت خجلا خائفة أن تكون جرحته: لا أبدا، مجرد تخمين

تابع: زي ما خمنتي إني مجنون أو فيا حاجه غلط المرة اللي فاتت ؟

فكر عندما رأى وجنتيها تشتعلان أكثر، إن باستطاعته أن يقلي فوقهما بيضة وتصبح جاهزة خلال ثوانٍ من كثرة ذلك اللهيب الذي يجذبه: لا مش قصدي .. عايز كتاب عن إيه ؟

ابتسم: عن الحب

نظرت له متعجبة من طريقة لفظه للكلمة؛ أقل ما يقال عنها لعوب، ضحكت رغما عنها.

حرك يديه في الهواء: أيوه بقى يا شيخة .. إيه دا، الشمس كانت مغيمة وأنا مش داري

تمالكت نفسها وأطلعته بصرامة: هأشوفلك حالا، ثواني

أوقفها عندما همت بالذهاب إلى الركن الآخر: أقولك، ما تتعبيش نفسك .. أنا فعلا ماليش ف القرايه أوي

زمت شفتيها متزمرة: اللهم طولك يا روح

حدق بها في براءة: إيه عايزاها تطول توصل السقف مثلا ولا إيه ؟

أخفت ابتسامتها: أتفضل أخرج

اعتدل استعدادا للذهاب: ماشي بس تيجي تتغدي معايا

–ما باتغداش مع حد

مدعيا الغباء: يا حرام مسكينه وأنا هاتغدى معاكي عشان ما تاكليش لوحدك

– قصدي مش باتغدى مع واحد

–أومال مع مجموعة ؟

ضربت الأرض بقدمها حنقا: استغفرك يا رب .. لا مع إخواتي .. تسمح تتفضل بقى؟!

بسماجة: اتفضل ع الغدا ؟ .. طبعا طبعا مافيش مانع

كظمت غيظها: غدا إيه .. بأقولك اتفضل أخرج

ثنى شفتيه لأسفل ولمعت عيونه براءة: وأهون عليكي تسيبيني كدا على لحم بطني

دارت بعيدا حتى لا ترى ملامحه وتشعر بالشفقة عليه: روح كُل ف مطعم

شهق فزعا: لوحدي؟

رددت بغضب: مع أهلك صحابك حبيبتك خطيبتك مراتك، مع أي حد، أنا مالي

دنى منها قليلا: أنا يتيم، صحابي ف الشغل، ماعنديش لا حبيبة ولا خطيبة ولا زوجة

تأففت: وأنا أعملك إيه ؟

– أتغدي معايا

– يـــــوووه ما قولنا ما باتغداش مع حد

– طب المرة دي وبس

أخذت حقيبتها مغادرة عندما لمحت اقتراب الحاج عبدالصمد من باب المكتبة ليستلم عنها المناوبة: ولا المرة دي ولا غيرها .. سلام يا حاج عبدالصمد

–سلام يا بنتي

خرج مصطفى راكضا خلفها: يا بنتي إنتي غلبويه كدا ليه ؟ بأقولك هأعزمك ع الغدا ما قولتش هأكلك إنتي

متابعة سيرها والنظر أمامها أجابته: وأنا قولتلك لا .. لا

تنهد بغيظ: ليه؟

كررت: مش بأتغدى مع حد

أعاد سؤاله: ليه؟

حاولت أن تكبح كباح نفسها: علشان أنا لا أعرفك ولا أنت تعرفني

حل معضلتها ببساطة: خلاص بسيطة نتعرف .. أنا مصطفى بهيج ولو سمحتي من غير تريقه

علقت مخفية ضحكتها: أنا أقدر بردو ؟ دا زميل مهنة

بعدم فهم: نعم ؟ مهنة إيه ؟

قلدت شخصية الفيلم: بهيج طير أنت

مصطفى وقد بدأ يفهم: اااه .. أنا افتكرت بهيج بابا مش بهيج الفيلم، بس هو إنتي أصلا.....

أومأت دون تردد: بالظبط، دكتورة بيطرية

تعجب بشدة: وإيه اللي بيشغلك ف مكتبة ؟

بدأت تشعر بتخطيها الحدود التي كانت قد رسمتها لنفسها للتعامل مع الجنس الآخر، تحدثت معه زيادة عن اللازم، عقدت حاجبيها وسارت تنظر أمامها دون منحه أي إجابة، استغرب التحول الذي حدث فجأة بعد أن دب بداخله الأمل في هد موانعها وغزو حصونها.

سألها قلقا: مالك ؟ مش بتردي ليه

أجابته بإيجاز: دي حاجه ما تخصكش، وأنا وصلت عن إذنك

تركته سابقة إياه بضعة خطوات بينما لم يستطع منع نفسه من محاولة معرفة سبب تغيرها معه على حين غرة، لحق بها ووقف أمامها يستوقفها.

زفرت من بين أسنانها محكمة الغلق: ممكن تسيبني أعدي ؟

رفض: مش ممكن

– لو سمحت

هز رأسه: مش قبل ما تقوليلي قلبتي فجأة ليه

صارحته: علشان ماكانش يصح أصلا إني أرد عليك

دُهش لإجابتها: وليه ؟ لأكون جربان مثلا ؟

– ولا جربان ولا حاجه، أنا تربيتي وديني كدا، ومش هأسمح لنفسي أحس بالذنب لمجرد كلمة معاك أنا أقدر استغنى عنها .. ممكن تعديني بقى ؟؟

كان مصدوما؛ فلمجرد إجابتها عليه مرة فقط بكل أدب واحترام شعرت بالذنب، فكر بسخرية في هؤلاء البنات اللاتي كان يعرفهن؛ والتي كانت ترمي إحداهن بنفسها عليه ويحدث بينه وبينها أشياء أكبر من مجرد كلمة ومع ذلك لم تكن تشعر بأدنى إحساس بالذنب أو الندم بل أحيانا كانت تطالبه بالمزيد وتتمسك به أكثر، وهناك من تركته لتذهب إلى غيره كأنه لم يحدث شئ.

أفاق من خياله وتفكيره على صوت فتاة تقول: فريدة هو في حاجه ؟

أسرعت إليها فريدة تسحبها بتوتر: مافيش حاجه يا مرام .. دا واحد كان تايه وبيسألني ع المكان اللي عايزه .. يلا بينا

رافقتها مرام والشك مازال يدور بأعماقها، لم تزحزح عيونها عنه حتى أختفت داخل البناية كأنها تحاول حفظ تفاصيل وجهه: ماشي .. يلا

صعدتا فيما تسمر مكانه يفكر ويحدث نفسه متجها إلى حيث صف سيارته: نوعها إيه يا ترى البت دي .. أنا مش متفائل، هههههههه شكلي هأحصلك يا أبو المكارم وشكلي أنا كمان وقعت ولا حدش سمى عليا

توقفت أفكاره عند اسمها، ردده بينه وبين نفسه متذوقا حلاوة حروفه وسلاسة نطقه، رن تمتمته، فريدة .. وإنها حقا لـ فريدة.

***

أنتهى من إجتماعه، قرر التوجه إلى مكتب سكرتيرته لكي يتأكد من تأقلمها مع الجو الجديد الذي ستعمل به، ويقوم بإعطاءها بعض المهام المطلوبة منها حتى لا يضيع الوقت هباء.

طرق الباب وطرقة خفيفة، لاحظ أنه شبه مفتوح فدلف دون إنتظار الإذن.

حدق في المكتب مصدوما ثم توقف على ظهرها الموجه إليه حيث انشغلت بفحص ملف ضخم لتحدد موقعه الملائم.

أدرك أنها لم تسمع طرقته ولا شعرت بوجوده، نظر في ساعته ليتأكد من طول فترة غيابه، لقد غابة فقط ساعة وبضع ساعة أخرى ليس أكثر، أيكفي هذا الوقت لتخفي كل أكوام الورق والملفات التي بُعثرت على المكتب وافترشت الأرض ؟؛ إلا إذا كانت تملك عصا سحرية أو تتعاون مع أحد الجان.

خاطبها بصوت قوي ثابت: أستاذة هند

رفعت رأسها إليه ثم انتصبت في وقفتها: أيوه يا أستاذ أحمد

مد لها بملف أزرق اللون قائلا بجدية شديدة: الملف يخلص ف أسرع وقت

لم ينتظر التقاطها للملف بنفسها بل ألقاه على أقرب طاولة ليده ثم انصرف، عضت شفتها السفلى تكتم غيظها فليس الإعتراض على أمر صغير إلى تلك الدرجة من شيمها.

أخذت الملف وبدأت العمل عليه بكل همة ونشاط، كان أغلب محتوى الملف ليس من تخصصها ولكنها ثابرت على إنهائه، لقد فهمت نظام وروتين العمل من

الملفات التي رتبتها والأوراق التي أطلعت على محتواها مما سهل عليها مهمة فهم ما يبغيه وما يسعى إليه.

نفخت لفحة من الهواء بقوة، نهضت تعيد ضبط ملابسها بعد إلتصاقها بمقعدها لساعتين متواصلتين دون حراك، أمسكت الملف بكلتا يديها تضغط عليه بقوة من ثم أتجهت إلى غرفة رئيسها تسلمه العمل الذي طلبه.

دقت الباب دقة واحدة قوية ثابتة، أدارت مقبض الباب بعد سماعها الإذن بالولوج، وقفت أمام مكتبه فيما سألها دون أن يهتم بالنظر إليها فقد استغرقه الحديث على الطرف الآخر.

لاحظ صمتها مما جعله يرفع بصره إليها، أشار بأصبعه حتى تتحدث فيما تبغيه، مدت إليه الملف وقالت بإقتضاب: خلصت الملف .. أتفضل

كانت تتلمس نظرة إعجاب أو تقدير لعملها لكن خاب رجاءها وأنهارت خيالاتها، فقد أومأ برأسه متابعا الحديث على الهاتف وأكتفى بأشارة لها تدل على إمكانية ذهابها لتتابع العمل.

أطاعته كاظمة غيظها، فكرت مقطبة الجبين: يظهر إن إنطباعي الأولي عنك كان صح، مش بتقدر الشغل ولا تعب الواحد فيه، دا حتى مافيش كلمة تشجيع واحدة

صدمها الرد على كلامها الذي لم تدرك خروجه عبر فمها: لا بأقدره، بس تقدير مادي، تقدير بالمرتب والحوافز والمكافأت، ما أعتقدش لما أقولك برافو ولا شاطرة هيكسبك حاجه زي لما تبقى الفلوس ف إيديك

كان صوته بارد مثل هبّة هواء قادمة من قارة أنتركتيكا، توترت وعضت لسانها كأنها تلومه على ذلته غير المغفورة، أسرت خوفها وأطلقت العنان للسانها يصلح الجريمة التي أرتكبها، نظرت إليه من فوق كتفها قائلة بهدوء ظاهري: وأعتقد قولت لحضرتك إني ما بأهتمش للفلوس وإن شغلي هنا للخبرة مش أكتر

عقد ذراعيه متابعا معركة قذف الكلمات: يبقى حضرتك أخدتي الخبرة بشغلك، ولا كلام التشجيع هو اللي بيديهالك ؟

كورت كفيها في قبضتين صغيرتين وانصرفت دون أن تعقب على حديثه؛ فلقد انتصر في معركتهما الأولى ولا يعني ذلك أنها نهاية الحرب.

عاد إلى مقعده قبل أن يلمح الملف الموجود فوق الطاولة، تناوله يتفحصه بدقة، ارتسمت بسمة، اتسعت رويدا رويدا حتى ملأت ثنايا وجهه، زاد إعجابه بكفاءتها فما كان يستغرق سهيلة يوم أو يومين لم يستغرق بين كفيها ساعتين أو ثلاث.

قذف الملف إلى مكانه: عرفت تختار يا أكرم .. وأنا اللي قولت هتدبسني ف واحدة تقرفني وتطلع عيني .. طلعت أصيل يا كرومتي

أخذ النية بداخله أن يجعل إعجابه بعملها طي الكتمان، لن يظهر لها أي تقدير أو عرفان؛ فبالنهاية هذا واجبها، يكفيه رؤية وجهها المحمر من الغضب فهو يفضله عن إحمرار الخجل.

تذكر خجلها في أول لقاء بينهما عندما قذفته بالإتهامات جزافا، هز رأسه بقوة: لا لا، الغضب أحلى عليها .. لما نشوف بقى شكلها لما تفقد أعصابها هيبقى عامل إزاي

خرج من أفكاره الخاصة على صوت الرنين المستمر لهاتفه المحمول، أجاب عليه متناسيا ما يخص هند مستغرقا في محادثته لوالديه.

***

أقفلت الباب والتفت لتجد عيون مرام تحولت إلى عيون فهد يترصد فريسته، عاقدة ذراعيها وتهز إحدى ساقيها، ضحكت فريدة عندما تخيلتها أحد ضباط الشرطة يحقق مع متهم من الخارجين عن القانون.

تجاهلت مرام ضحكتها، تصر على الوصول إلى مبتغاها: مين اللي كان بيكلمك تحت البيت دا ؟

هزت كتفيها وتخطتها إلى الداخل: قولتلك واحد تايه وبيسأل على مكان

كزت على نواجذها: متأكدة ؟

بلا مبالاة أجابتها: أيوه

تقدمت منهما هند: أنتوا بتتكلموا عن إيه ؟ مش فاهمة حاجه

أوضحت مرام وهي تلقي بنظرات متخابثة على فريدة: أبدا يا ستي وأنا جايه شوفت فريدة واقفة مع واحد، كان بيبصلها بتركيز أوي، وكان سادد عليها الطريق ولما جيت سابها تطلع معايا، وكنت عايزه أعرف مين هو

التفتت هند إلى فريدة متعجبة: ومين دا يا فريدة ؟

صرخت فيهما: يـــووه أنا مش هأعرف أخلص منكوا غير لما تعرفوا صح ؟!

طيب أنا هأحكيلكم ....

قصت عليهما طريقة معرفتها به وسبب ظهوره في حياتها، كانت تخبرهما بأدق التفاصيل؛ فلم تعتد إخفاء شئ حتى وإن كانت المخطئة، لم يكن مبررها الوحيد في رواية معرفتها بمصطفى فقط للتخلص من إلحاح أختيها بل لتأخذ مشورتهما.

صاحت بها مرام مغتاظة: يا بنت الذينا .. بقى كل دا يجرا معاكي وما تقوليش ؟

أجابتها بهزة ضعيفة من كتفيها: عادي .. ما شوفتهاش حاجه مهمة

قفزت مرام تجلس على الأريكة وتثني ساقيها أسفلها: كل دا ومش مهمة، دا شكل الواد وقع ولا حدش سمى عليه

نظرت إليها هند متعجبة تهويلها للأمر: إنتي بتجيبي الكلام دا منين ؟!

حركت مرام فمها يمينا ويسارا فيما ترددت يديها ذهابا وإياباً: أصل إنتي ما شوفتيش كان بيبصلها إزاي

ارتبكت: كان بيبصلي إزاي يعني ؟، بيبصلي عادي زي ما إنتي وهند وكل الناس بتبصلي

قهقهت مرام لسذاجة أختها الكبرى: إنتي لسه صغيرة ع الكلام دا، مش هتفهمي فيه

عنفتها فريدة بشدة: يا سلام وإنتي اللي كبيرة يعني ؟

صرخت بهما هند كأم تعنف صغارها: بـــس، هنبتدي شغل العيال دا ولا إيه

انتهزت فريدة الفرصة لتغيير محور الحديث: صحيح بمناسبة الشغل عملتي إيه إنهارده ف الشغل الجديد ؟

غمزتها مرام: غيري الموضوع غيري

قذفتها فريدة بوسادة صغيرة من وسادات الأريكة التي تجلس فوقها: اسكتي يا بت

أخفت هند تفاصيل يومها مكتفية بكلمات تقليدية: عادي قبلت الشغل وبدأت فيه

مرام: ما تقوليلها بدأتيه إزاي .. حد يهزق صاحب الشركة اللي رايح يشتغل فيها يا مفتريه ؟؟

تعجبت فريدة فهذا ليس من أخلاق شقيقتها: هزقتيه بجد ؟!

ضحكت ضحكة مكتومة فقد ارتاحت أن هذا أقصى ما تعرفه مرام عن يومها الأول: أعمله إيه طيب ما هو اللي استفزني .. المهم الموضوع عدى على خير، فككوا منه بقى

استأذنت هند أن تذهب وترتاح في غرفتها قليلا، تركوها تذهب فهذا أول يوم تعمل به منذ فترة طويلة وبالتأكيد مازال جسدها لم يعتد على العمل، حمدت هند ربها أن رئيسها سمح لها بالمغادرة مبكرا فقط لأنه اليوم الأول ولم تكن تضع في حسبانها أن تبدأ العمل مباشرة عقب المقابلة.

تسطحت فوق فراشها تحدق في سقف الغرفة، أخذها عقلها إلى ما حدث معها، جدالها مع أحمد، بذلها لأقصى جهودها حتى تثبت جدارتها.

ظهرت أمام عينيها فجأة ابتسامته، الإبتسامة التي ظهرت في البداية ولم تتكرر، عندما أعلن إنتصارها وأنه أخطأ في حق الموظف.

عصرت أفكارها تبغى الوصول إلى ابتسامة أخرى له لكنها لم تجد، نبشت ونبشت بلا فائدة.

شعرت بالإحباط، حركت رأسها يمنة ويسارا، ليس صحيحا ما تفكر به، إذا ضحك أو حتى بكى ما دخلها هي ؟، لكن رغما عنها توقفت أفكارها مجددا؛ تتخيل ملامحه إذا بكى، نهرت نفسها منتفضة وقد قررت الجلوس مع شقيقتيها حتى لا تسرح فيما هو محذور مرة أخرى.

تفاجأت مرام لحقتها شقيقتها الأخرى بعودتها لكنها بررت ذلك أن النوم عصى الإستجابة لندائها حتى استسلمت، اكتفين بذلك كإجابة وعادوا يتابعون مسلسل مرام الكرتوني المفضل "توم وجيري".

***

أشرقت شمس اليوم التالي، تعد بيوم مجهد طويل، مليئ بالعمل وبذل الجهد لجمع الأرزاق.

جلس أكرم خلف مكتبه يقابله صديقه مصطفى على غير العادة منه، استفسر أكرم من صديقه: أنا نفسي أعرف، إيه إصرارك أنك تيجي معايا الجامعة إنهارده ؟

أجابه بهدوء: عايز أرغي معاك شويه يا أخي، الله!

حوقل: وحد قالك إني بأجي هنا عشان أرغي ؟ مش أنت يا ابني قاعد معانا ف نفس البيت ؟ ما نتكلم فيه

مصطفى بتأفف: يـــووه ما أنت بتيجي هلكان وتنام وأنا بأحاول أظبط أموري بعد اللي حصل

زفر أكرم: طيب، أتفضل قول الموضوع اللي عايز تكلمني فيه .. خلصني

التفت مصطفى بكامل جسده يواجه صديقه أثناء الحديث وقد امتلأت جميع خلاياه بالسعادة: قابلت حتت بت بس إيـــه

استغرب: بت ؟ بت مين دي ؟ أنت مش قولت هتركز ف شغلك وهتبطل صياعه بقى

هز رأسه بعنف: لا ما هي مش من النوع دا، أنت فاكر البنت اللي كانت واقفة مع هشام ؟ .. هي دي

زاد عجب أكرم من صديقه: اللي كانت مع هشام ؟ .. وأنت إيه اللي وصلك ليها ؟

– بص يا سيدي أنا هأحكيلك كل حاجه من طقطق لسلامو عليكو

حكى لصديقه كل ما حدث بالتفصيل حتى أنتهى قائلا: بس يا سيدي، وف الآخر جات بنت كدا وطلعت معاها، تقريبا .. أختها

غضب أكرم منه لإخفاءه الأمر حتى وصل إلى تلك المواصيل: دا كله حصل ولسه فاكر تحكيلي كل دا دلوقتي ؟

لوى شفتيه حنقا: ما أنت اللي مشغول أعملك إيه ؟

دخلت عليهم مرام تلقي التحية على أكرم وتخبره بوصولها قبل أن تتجه إلى مكتبها كي تمارس عملها المعتاد.

– صباح الخير يا دكتور أكرم

– صباح النور.. مصطفى أحب أعرفك، سكرتيرتي الآنسة مرام

التفت مصطفى ينظر إلى مرام ويرحب بها بابتسامة عذبة، صاحت دون أن تستطيع إخفاء دهشتها: هو أنت ؟!!

كانت صدمت مصطفى أكبر منها عشرات المرات، لم يكن يتخيل أن يراها هي على وجه الخصوص بهذا المكان وبهذه السرعة: هو إنتي ؟!

حرك أكرم رأسه بينهما بعدم فهم: هو في إيه ؟ .. أنتوا تعرفوا بعض ؟

مرام بسخريتها المعهودة: لا أبدا، أصله كان تايه تحت بيتنا إمبارح .. عن إذنكوا

خرجت من المكتب مبتسمة فيما مصطفى مازال يعاني من أثار الصدمة لا ينبس ببنت شفة، أفاق على مطالبة صديقه له بتوضيحات: أنا مش فاهم حاجه .. تايه تحت بيتها إزاي ؟

انفجر ضاحكا: ما هي دي البنت اللي جات وإحنا ف الشارع وطلعت معاها فريدة

أكرم وقد بدأ الفهم يتسلل إلى عقله: قصدك إن دي أختها ؟

أومأ: تقريبا، دا احتمال كبير بس أنا مش متأكد .. بأقولك إيه أنا هأمشي دلوقتي .. يلا سلام

خرج من مكتب أكرم بسرعة قبل أن يعطيه فرصة حتى يرد السلام. اقترب من مكتب مرام: آنسة مرام

رفعت رأسها: أفندم ؟

سألها مباشرة: هو حضرتك تقربي إيه لفريدة ؟

أدعت الجدية: ودا يخصك ف إيه ؟

رد بلباقة: مجرد سؤال عادي .. أختك مش كدا ؟

أنهت شكوكه: أيوه، أختي

عاد يستجوبها: طيب .. هي مخطوبة، مرتبطة، بتحب، متجوزة ؟

كانت حاول إخفاء ابتسامتها بينما تطيل فترة إنتظاره: ودا بردو مجرد سؤال .. عادي ؟

أجابها بصراحة: أنا معجب بيها وعايز أطمن علشان أقرب منها براحتي

أوشكت على القفز من شدة سعادتها فلقد صدق حدسها: لا مش مرتبطة ولا مخطوبة ولا متجوزة ولا بتحب .. بس بردو مش هتعرف تقرب منها

تعجب : ليه؟

أجابته ببساطة: لإنها مش بتاعت الكلام دا، ولا اللف والدوران .. فريح نفسك

قطب جبينه بحنق: وإنتي ليه عندك إحساس إني بألف وأدور؟

زمت شفتيها ساخرة: هو لما تمشي ورا بنت ف الشارع لحد بيتها، تعزمها ع الغدا، وكمان تجبلها ورد من غير سابق معرفة .. دا ما يدلش إنك بتلف وتدور ؟

أردفت عندما لاحظت حيرته وتشتته: إحنا ما عندناش اللي بيدور ف دماغك دا، تتسلى يومين وبعدين تخلع، عايزها يبقى تتجوزها، لكن شغل حلق حوش وحاوريني يا كيكة دا .. ما نحبوش

خرج أكرم وهم بتوجيه تعليماته إلى مرام عندما صدم من وجود مصطفى، صاح به: أنت يا ابني .. مش كنت مستعجل وقولت إنك ماشي ؟

أومأ ببلاهة: أه أه، ما أنا ماشي أهو .. يلا سلام

رد أكرم السلام كاتما عجبه، عاد بنظره إلى معاونته: مرام .. لما يجي سامر دخليهولي فورا

هزت رأسها: حاضر

بعدما دلف إلى حجرته، رمت القلم الذي كانت تمسكه بين أصابعها ليصطدم بعرض الحائط: أoووف هو الثقيل دا جاي تاني هنا .. ربنا يعدي اليوم دا على خير



الفصل الثامن

اقتربت من مكتب الممرضة المسئولة عن تنظيم المرضى، وقفت أمامها باسمة وفي كفها تعلقت يد طفلها الصغير، رفعت الممرضة الشقراء نظرها إلى ندى، تعرفت عليها فرحبت بها ببشاشة: صباح الخير سيدتي

ردت التحية باللغة الإنجليزية كما تلقتها ثم أضافت بعدما ألقت نظرة عابرة على المرضى المنتظرين: أيوجد أحد بغرفة زوجي ؟

تركت الممرضة سيف بعدما قبلته وأعطته قطعة حلوى، وقفت ونظرة غريبة تشع من عيونها: نعم سيدتي، لديه مريضة الآن بالداخل

لم تفهم النظرة الغامضة فاكتفت بالتراجع إلى أحد المقاعد تخبرها: إذا سأنتظره حتى ينتهي قضت بعض الوقت تداعب ابنها حت سقط نائما فوق فخذيها، تناولت إحدى المجلات من فوق الطاولة، تصفحتها بملل ثم ألقتها تنظر إلى ساعتها، قطبت متضايقة؛ لقد مر أكثر من ساعة دون أن تخرج المريضة، لا يعقل أن تمضي مريضة واحدة كل هذا الوقت، رفعت رأسها فجأة فلمحت ذات النظرة الغامضة بعيون الممرضة الخاصة بزوجها ولكن شابها الشفقة هذه المرة، نهضت مبعدة رأس طفلها على مهل.

قالت للممرضة قبل أن تقترب من باب غرفة الطبيب: سأدخل له الآن وإلا سيضيع موعد طبيب الأسنان الخاص بطفلي

اكتفت بالهزة البسيطة التي حركت كتفي الممرضة كعلامة تشجيعية، طرقت طرقة صغيرة ثم فتحت الباب وطلت برأسها، شهقت بصدمة ودخلت بجسدها كاملا وأغلقت الباب خلفها مجددا.

رفع حاجبيه مستغربا دخولها المفاجئ بينما وقفت الفتاة حمراء الشعر معتدلة بعدما كانت منحنية بشدة فوق كتفه بحيث داعبت خصلات شعرها الغجرية بشرة رقبته، ظلت تنظر إلى الفتاة بنظرات نارية وتلقي عليها حمم بركانية، انتبهت عندما خاطبها آدم: إيه اللي جابك يا ندى ؟

استدارت إليه مقطبة، متى غادر مقعده ووقف بجانبها، حدقت به بنظرة لائمة: بقالي ساعة ونص مستنياك برا عشان تخلص الكشف

نظرت إلى الفتاة مضيفة: بس شكله ما بيخلصش

لمعت عيون حمراء الشعر بتساؤل فقد استشفت من نظرات زوجة الطبيب أنها المعنية بالحديث رغم عدم فهمها له بسبب أختلاف اللغة، أمسك آدم ذراعها غاضبا بينما كرر ما قاله عندما شعر أنها لم تسمعه: ندى .. بأقولك استنيني شوية خلاص قربت أخلص

فتحت فمها لتجيبه عندما قاطعتهما الحمراء: هل هناك أي مشكلة يا آدم ؟

كزت على أسنانها وأمسكت خصرها بقوة قابضة، ثبتت نظراته فوقها يدرس تصرفاتها، كتم ابتسامته عندما دارت وخرجت من الغرفة قائلة بغضب: معاد الدكتور بتاعه فاضل عليه ربع ساعة، لما تبقى تخلص كشف أنت عارف هتلاقينا فين

خطت إلى الخارج غاضبة، قبضت على ذراع ابنها الذي استيقظ وجلس مع مساعدة والده يتسلى معها، بالكاد استطاع متابعة خطواتها الواسعة، فجأة شعرت بيد تلتف حول ذراعها تكبح سيرها.

أحرقته بنظراتها البركانية، أكتفى بتناول كف ابنه الحرة دون نطق كلمة مما أشعل الغيظ داخلها لكنها ألجمت نفسها عن قذف النيران في وجهه.

***

دخلت إلى مكتب رئيسها بعدما طرقت الباب دون مجيب، نظرت إليه بحنق وقد لمحت سماعة الهاتف الأرضي مرفوعة، وضعتها في مكانها وعادت ببصرها إليه، تعجبت من عدم شعوره بدلوفها أو بحركاتها على مقربة منه.

مقطب الجبين، مقوس الظهر، أوشك وجهه على الإلتصاق بشاشة حاسوبه من كثرة التدقيق، جالت بنظرها فوق المكتب تبحث عن نظارتيه، اضطرت إلى رفع عدة ملفات ومستندات قبل العثور عليها أسفل أكوام الورق.

وقفت من الناحية الأخرى حتى توجهه ومدت يده بالنظارة قاطعة المسافة بين حدقتيه والشاشة المضيئة، رفع نظره متفاجئا من وجودها.

حركت النظارة أمامه حتى تفيقه من شروده، التقطها ووضعها فوق عظام أنفه بغطرسة وعاد يتابع ما يفعله دون أن ينبس ببنت شفة، توجهت إلى الباب بينما تزفر بشدة حين أوقفتها كلمة مختصرة شكت في حدوثها: شكرا

التفتت إليه فوجدت حاله كما كان، لا يبدو عليه أنه خرج من صومعته ولو للحظة، غادرت دون تعليق وعادت إلى مكتبها تكمل عملها وتعيد تحويل المكالمة إليه بعدما حاولت عدة مرات من قبل دون جدوى لتكتشف السبب حال دخولها وهو رفع السماعة من موضعها.

***

خرج ما تضمره تجاه زوجها ومريضته في حركاتها العصبية أثناء مساعدة سيف في نزع ملابسه وتبديلها بأخرى تلائم شقاوته في اللعب داخل المنزل، تأفف الطفل متوجعا من يدي أمه التي قست على جلده اللين على حين غفلة، تأسفت غارقة في شرودها.

لم تلحظ خروج ابنها مهللا بإنتهاء محنته المريعة، انطلق إلى حيث جلست جدته حتى تلاعبه وتقضي بعض الوقت معه، لحقت به والدته وجلست معهما بالغرفة بجسدها أما عقلها فقد سافر أميالا عدة بعيدا عما يفعلان.

لم تشعر بانضمام زوجها إليهم إلا عندما سأل حماته مستفسرا عن مكان وجود ياسين، أجابته صابرين بينما تعاون حفيدها في حل الأحجية: راح يستقبل ابن واحد صاحبه عشان هيدرس هنا

أومأ موافقا وأمر الخادمة باحضار الشاي، بعد فترة من تجاهلها لوجوده اعتذرت مغادرة، لحق بها مستغلا انشغال الطفل مع جدته، يجب عليه إنهاء الأمر بينهما قبل أن يشعر أحد ممن في المنزل بالمشكلة فتتضخم.

***

نظرت في ساعتها ثم إلى الهاتف الداخلي، اسندت ذقنها إلى قبضتها، لقد مرت فترة الغداء من ساعتين على الأقل دون أن يضع في فمه غير الماء وبضعة فناجين من المشروبات الساخنة المهلكة بسبب كمية الكافيين التي زادت عن حدها.

ربتت على معدتها، إنها جائعة بل تتضور جوعا، رفعت السماعة أسرعت بطلب وجبتين من أحد المطاعم القريبة قبل أن تتراجع عن قرارها فتسقط صريعة الجوع.

خلال نصف ساعة حضر الغداء؛ ومن يستطيع التأخر على صاحب شركة قابضة كهذه والذي بفرقعة أصبع قد يدُك المطعم فيخر ركاما.

تناولت وجبتها سريعا ثم حملت الأخرى إلى صاحبها، كالعادة طرقت ودخلت دون إجابة، وضعت الحقيبة البلاستيكية فوق طاولة ذات موقع استراتيجي، تطل على الشارع بزحامه

والسماء بصفاءها والشمس بسطوعها، أخرجت الأطباق ورصتها رويدا، اعتدلت حالما أنتهت وتوجهت إلى المكتب تطلب منه التقدم حتى يتناول ما يصلب به بدنه.

نهض وتبعها صامتا فيما يمسك في إحدى يديه ورقة يطالعها، غادرت متحسرة على حاله، مغتاظة من تكبره، لم تلحظ نظراته التي رصدت تحركاتها منذ دخلت حتى انصرفت، رمى أوراقه جانبا وشمر عن ساعديه ملتهما ما أمامه بشهية جمّه أخفت ابتسامته المتخابثة.

***

أمسك كفها وجرها خلفه إلى أقرب حجرة لكي يكتم اعتراضها بأسرع وقت، ما كانت الحجرة إلى حجرة طفلهما سيف، أحكم إغلاق الباب ثم التفت إليها مستفسرا: مالك بقى؟، من ساعة ما جيتيلي المستشفى وإنتي مش مظبوطة

عقدت ذراعيها باحكام: ليه ؟، مالي يعني ؟، بأشد ف شعري مثلا ؟

زفر بحنق: اللهم طولك يا روح .. قولي في إيه على طول من غير لف ودوران .. مالك ؟

هاجمته: مين البت المسلوعة اللي كانت عندك ف المكتب دي ؟

وأد بسمته وسألها مدعيا الغباء: بت مين ؟

فقدت السيطرة على أعصابها وحررت يديها: أم شعر منكوش أحمر وفستان باينه بتاعها من أيام ابتدائي وعيون خضرا

حرر ضحكته الأسيرة: بقى كل دا لمحتيه ف الدقيقتين اللي دخلتيهم قبل ما تجري على برا ؟

هزت رأسها: توه ف الموضوع توه

– مش محتاج أتوه عشان دي مجرد مريضة عندي

– أه صح، عشان كدا قعدت عندك أكتر من ساعة ونص، لا وهي موجودة من قبل ما أجيلك كمان

– كانت جايبالي حالة والدها عشان مش هيقدر يجي وكنت بأفهمها الوضع بس ...

قاطعته مكملة: وطبعا انهارت ف العيط ويا قلب أمها حزنت على أبوها وأنت كراجل جينتل مان روحت طبطبت عليها ومش بعيد تكون أخدتها ف حضنك مش كدا ؟

قهقه على حركتها الأخيرة في وضع كفيها فوق خصرها: هو الكلام كله صح، بس من غير الطبطبة والحضن .. أنا واسيتها بالكلام وأدتلها منديل مش أكتر

– وكانت واقفة فوقيك ليه إن شاء الله ؟

تذكر الوضعية التي كان جالسا بها عندما دخلت عليهما: كنت بأوريها المنحنى ف رسم القلب، حبت تفهم الموضوع باسهاب زيادة

أردف بعد لحظة صمت: وإنتي إيه اللي خلاكي تغيري رأيك وتجيلي ؟ .. مش اتفقنا تستنيني مع سيف ف مكان الإنتظار عند دكتور السنان ؟

لوت شفتيها: سيف كان عايز يشوفك وأصر يقعد معاك شوية قبل المعاد بتاع الدكتور .. فخرجنا بدري وجينا عليك

أضافت تكز على أضراسها: وعشان أشوف اللي شوفته

اقترب منها ولمس خصلات شعرها المحيطة بوجهها: ما أنا قولتلك اللي حصل .. خلاص بقى بلاش تقلبيها زعله على حاجه مش مستاهله

ارتسمت بسمة صغيرة على ثغرها وهزت رأسها بايماءة بسيطة، فجأة شعرت بالبرودة تكتسحها عندما انسحب عنها بطريقة جارحة، تغيرت معالم وجهه اللينة لتصبح أقسى من الصخر، استفسرت بعينها عن سبب تراجعه، أجابها بسخرية: ما تتوهميش أوي كدا، والدتك كانت بتبص علينا من الجنينة

التفتت يمينها فرأت أمامها تستدير عائدة إلى حفيدها تلعب معه بالكرة الملونة، انكمش وجهها من المهانة والألم وحمدت ربها أن الشعر قد غطى تأثرها بحركته الجارحة، حينما نظرت إلى حيث وقف أخيرا كان قد غادر وتركها وحدها، تبكي حالها وتدعو ربها أن يلهمها الصبر.

***

فتحت المكتبة بحماسها المعتاد بداية كل صباح، لا يهمها أن ما درسته خلال الجامعة هو نفس مجال عملها، يكفيها أن الله وفقها في العثور على عمل تحبه، تعلم أنها إذا جدت في

البحث عن وظيفة بشهادتها لكانت عثرت عليها ولو بعد حين، لكنها رغبت في عمل أسهل مما درسته بل لم ترد العمل بتاتا، أكبر أمانيها وأحبها إلى القلب أن تصبح زوجة وأم صالحة لأولادها.

بُهتت من مقابلة عينيها لمزهرية تنتصب في ركن من الطاولة، تحمل داخلها الورود التي بُعثت إليها تعبيرا عن أسف صاحبها عما حدث من سوء تفاهم.

أوضح لها الحاج عبدالصمد عندما دخل إلى المكتبة قبل لحظة ورأى حيرتها: أصلي لاقيت الورد دا إمبارح بعد ما مشيتي وكنتي مستعجلة، فقولت أكيد نسيتيه .. روحت حطيته ف مايه عشان ما يدبلش ويعيش

همهمت بتشتت: أه أه، كتر خيرك يا حاج

خرج الحاج يلقي التحية على أصحاب المحلات المحيطة فيما همست لنفسها بصوت مرتفع ونظرها لا يتزحزح من فوق الورود: هو أنت ورايا ورايا ؟ مش كفايه نمت إمبارح بسببك بالعافية، شكلك هتقرفني، ربنا يستر على أبراج عقلي

غيرت المياه التي تغذي الورود ثم شرعت في عملها، تستقبل الزبائن بابتسامة بشوشة مستبشرة، تناست جميع أفكارها وما يخص حياتها الخاصة لتعطي عملها حقه كاملا غير منقوص.

***

رفعت الأطباق عن المائدة دون أن يمسها أيا منهما، وجع القلب منع المعدة عن تقبل ما يُدفع إليها من طعام، فقد انشغل العقل بمسائل أخرى مستغلا كمية الدماء كاملة دون أن يترك منها البعض للمعدة تُحمل عليه الطعام بعد هضمه، أومأت اليد لرغبة العقل واستسلام المعدة فتركت الملعقة راغمة.

حملت كاسات الشاي إلى زوجها، بعد أن ناولته كأسه، تأملت ملامحه فتنبأت بالنتيجة قبل السؤال؛ لكنه سؤال لا مفر منه: مش كنت قولت هتكلم مديرك تاني ؟ .. هـا إيه الأخبار ؟

هز رأسه بلا حول، لقد أذل نفسه أشد الذل ولكن دون نتيجة، يبدو أنه أصبح الأمل الوحيد للمال بالنسبة له، يضغط عليه بشتى الطرق حتى يرفع رايته البيضاء، هتفت باهتياج: يعني إيه ؟ بردو مش راضي ؟

وضح: مش عارف أعمل إيه تاني، مهما أكلمه مش موافق

تحولت إلى نبرة متوسلة: يا عبدالرحمن أنا كنت قاعدة مع البنات وأنت هنا، كنت ساعات ما بتنزلش بس كان عادي لأني معاهم؛ لكن دلوقتي هما لوحدهم ما ينفعش نسيبهم .. فما بالك بقى ما ننزلهومش كمان ؟

أخفض نظره أرضا بقلة حيلة: أنا أعمل إيه طيب ؟ قوليلي ف إيدي إيه .. دليني

–أنا جيت وسبتهم لما حصلتلك الأزمة بتاعت مرضك وقلبك دي، ما قولنالهمش عليها عشان ما يتخضوش وبعدين ما هانش عليا أسيبك .. خصوصا لما الدكتور قال إنها ممكن تتكرر ف أي وقت، أنا مش قادرة أسيبك بردو عشان كدا

تنهد: لو عايزه تنزلي أنزلي لوحدك، ما تقلقيش عليا

أسندت وجهها إلى كفها: نفسي ومحتارة بردو، بس أنت هنا لوحدك لكن ف مصر الـ3 بنات سوا و ما يتخفش عليهم، دول تربيتي وأنا عارفه سايبه 3 رجاله مش 3 بنات

رفع رأسه فخرا: إنتي هتقوليلي ؟، ربنا يخليهوملنا

ربتت على فخذه: آمين يا أبو البنات

ابتسم سعيدا يفتخر ببناته، لم يشعر أبدا بالضيق في عدم إنجابه للصبية كما يفعل الكثير من الأباء؛ لأنه بعد إيمانه بمشيئة ربه وحكمته في ذلك، كان يحب فتاياته أشد الحب، كان دائم الشكر على نعمة الله عليه بهن، يرى أنهن جائزة أكبر مما يستحق، إنهن نعم السند له.

***

ابتلعه العمل، صبَّ جلَّ تركيزه في الصفقة التي يُعد لها، بسط يده إلى أقصى اليسار حتى يقبض على ورقة يحتاجها، لم ينتبه إلى فنجان الشاي الموضوع على طرف المنضدة إلا عندما سُكب محتواه على قميصه وأكمل نزولا إلى بنطاله.

انتفض واقفا، صرخ نقمة على ما جرى، حاول إبعاد السائل قبل أن يتوغل أكثر، أسرع إلى الحمام الملحق بحجرته، خلع قميصه وألقاه في سلة فارغة تختفي أسفل الحوض.

تفاجئ بانفتاح الباب على حين غرة، حدقت به مصدومة من هول ما رأت، أطلقت صرخة صاخبة ووضعت يديها على عينيها مستديرة، أغلقت الباب بقوة واستندت عليه فاغرة فمها.

ضربت جبينها بباطن كفها غاضبة من نفسها: يعني خلاص حبكت معايا أدخل أغسل وشي دلوقتي ؟!

فركت يديها في تنورتها قبل أن تتجه إلى مكتبها تُعيد دراسة أحد الملفات حتى تُشغل عقلها بعيدا عما رأت.

تصاعد رنين الهاتف، رفعته لتسمع أمر أحمد بالحضور إلى مكتبه فورا واحضار الملف الذي سبق وطلب منها إتمامه، نهضت مرغمة واتجهت إليه وقد عقدت نيتها على إعتبار ما حدث كأنه لم يكن.

وقفت أمامه بهدوء ورزانة كعادتها فيما ألقى عليها نظرات مدققة على غير عادته، لاحظت أنه أرتدى قميص أبيض عوضا عن الكحلي، وقع الأوراق وسلمها إياها حتى تنقلها إلى المسئول عن تنفيذ ما ورد بها.

عندما أوشكت على فتح الباب أوقفها صوته موضحا دون مقدمات: الحمام له بابين، واحد بيفتح على مكتبي والتاني .. على مكتبك، لو أخدتي بالك في دولاب ف الحمام، بأبقى سايب فيه طقمين عشان لو فيه ظرف طارق .. زي إنهارده لما الشاي أدلق على القميص

همهمت بدون وعي: أنا شوفت الباب قبل كدا بس ما عرفتش أنه بيوصل على مكتبك

أومأ متفهما: حصل خير

أضاف ماكرا: ربنا ستر وشوفتيني وأنا بأغير القميص بس ..

نظرت له بعدم فهم، دار حول المكتب ووقف أمامها، لمحت سروالا بلون آخر غير الذي أتى به، شهقت وهرولت من الغرفة بأسرع ما يمكنها فقد وصلها مقصده.

بانت ابتسامة على شفتيه ثم عاد إلى عمله مستمتعا بما تسببه لها من حرج.

***

سلمت الحقيبة المملؤة بالكتب ابتاعتها فتاة في مقتبل العمل حتى تضعها في مكتبتها بعد الزواج، خطيبها يعشق القراءة والكتب فقررت أن تفرحه بشراء أعمال الكتَّاب الذين هوى قراءة ما خطته أيديهم ووضعها في مكتبة طلبتها دون علمه؛ لتحتل مكانا في عشهما.

انتبهت إلى الرجل الذي دلف إلى المكتبة، كان مسترسل اللحية يرتدي جلبابا أبيضا قصيرا يُظهر البنطال أسفله، اقتربت منه تسأله عن بغيته، أجابها ناظرا إلى أحد الأرفاف بعيدا عن وجهها أخبرها باسم الكتاب المرغوب.

أومأت وذهبت تحضره، وضعته أمامه حتى يراه قبل أن تضعه في حقيبة تحمل اسم المكتبة، صدمت مما فعله؛ فقد دفع الكتاب بعيدا كأنه نارا موقدة: استغفر الله استغفر الله

سألته مندهشة: في إيه يا أستاذ ؟

أجابها متابعا الاستغفار، محركا حبيبات المسبحة في يده: إيه الصورة اللي على الكتاب دي ؟

نظرت إلى الكتاب ثم عادت إليه: دا الغلاف

على صوت استغفاره مجددا: دي صورة سافرة، امرأة تطلق شعرها ونظراتها مليئة بالشهوة والحث على الرزيلة .. استغفر الله استغفر الله

علقت ساخرة: وحضرتك لحقت تشوف كل دا من نظرة واحدة، ما شاء الله

أضافت متنهدة: على العموم أنا ممكن ألزق لحضرتك ورقة قص ولزق عليه ومش هيبان الغلاف نهائي .. لو حضرتك مهتم بمحتوى الكتاب نفسه

زم شفتيه: قص ولزق ؟، واللي يشوف معايا الكتاب يقول عليا إيه ؟

رفعت حاجبيها تعجبا: هو حضرتك يهمك الكتاب ومحتواه ولا رأي الناس ف الورقة الملزوقة على وش الكتاب ؟؟

انتفض الرجل ملتفتا يرى صاحب الكف التي وضعت على كتفه: دي الطابعة اللي نازله من الكتاب، لو مش حابب تشتري ياريت تتفضل .. بلاش عطله ع الفاضي

انصرف الرجل دون أن ينطق بحرف، عاد الحاج عبدالصمد بنظره إلى فريدة باسما باعتذار:

معلش يا بنتي، ياما هيمر عليكي منه كتير

نظرت إليه بعدم فهم: بس أنا حليتله المشكلة

بهتت ابتسامته لسذاجتها: يا بنتي واحد طالب الكتاب بالاسم يعني أكيد عارف شكله ومحتواه يبقى يجي هنا ويعمل الحركات دي ليه ؟؟

– يمكن شاف طابعة مختلفة لنفس الكتاب

هز رأسه: لا يا بنتي، أنا شوفته إمبارح ف محل جورج ومش عاجبه العطور اللي بيبعها، وقعد يقول حرام وأنت كافر وكلام مالوش لزوم .. ارجعي شوفي شغلك ما تشغليش بالك بالناس دي .. هما دول اللي بيسيئوا لسمعة الإسلام، يعني لولا إن جورج عارفني من زمان وشاف اللي زي الراجل دا كان قال كل المسلمين كدا .. وسب ولعن فيهم

عضت شفتيها تفكر في كلام الحاج عبدالصمد.

***

دخلت هند إلى مكتب أحمد بعد أن استدعاها عبر الهاتف، مثلت أمامه خلال ثوان معدودة متسائلة: حضرتك طلبتني ؟

ترك ما بيده متفرغا للحديث: أيوه .. إنتي عارفه إن في مهمة كنا اتكلمنا عنها قبل كدا؛ اللي هتساعدني كتير ف إني أعوض خسارتي اللي حصلت .. مدير الشركة الأجنبية جه مصر ودلوقتي هو ف الغردقة وعايزني أروح أقابله هناك

أومأت: بس أنا إيه دخلي ف التفاصيل دي ؟

أوضح: ما أنا عايزك تيجي معايا السفرية دي .. لإنه أكيد هاحتاجك

رفضت بهدوء: آسفة مش هأقدر .. ممكن حضرتك تاخد حد غيري

اندهش لرفضها المباشر حتى دون تفكير: وليه أخد غيرك وإنتي موجودة ؟ .. لا ليه ؟

أخبرته بجدية: عشان ماينفعش أسافر مع حضرتك لوحدي

نظر لها بقوة يستوعب سبب الرفض: أهــــا .. طب مافيش حل تاني ؟

ردت بعملية: خد حد غيري

صرفها مفكرا: روحي إنتي على شغلك دلوقتي وأنا هأتصرف

جلس يفكر في حل للمشكلة حتى خطرت له فكرة ابتسم لها، تناول مفاتيحه وهاتفه ثم خرج من المكتب دون أن يطلع هند على وجهته.

الفصل التاسع

وصل أحمد إلى مكتب أخيه، لمح مساعدته تدرس أثناء تناولها وجبة غداءها البسيطة: السلام عليكم

تركت ما بيدها ناهضة: وعليكم السلام

سألها: أكرم موجود ؟

أومأت: أيوه ف مكتبه، اتفضل

تردد قبل أن يدخل لكن حسم أمره، نظر إلى مرام: آنسة مرام

– نعم

سعل: شكرا جدا؛ لإنك رشحتيلي الآنسة هند للشغل دا، بجد ما أعتقدش إني ممكن ألاقي واحدة ف كفاءتها

اندهشت، لما يوجه لها هذا الحديث عوضا عن أختها لكنها اكتفت بالرد: العفو

تركها أحمد ودلف إلى شقيقه حتى يساعده في إيجاد حل لمشكلته العويصة.

نهض يستقبل شقيقه ويبادره: إزيك يا رجل الأعمال ؟

سأله أحمد مشيرا إلى تلال المراجع أمامه: لسه وراك شغل كتير ؟

هز رأسه: أبدا .. مستني مصطفى بس

طرق مصطفى على الباب طرقة شديدة هزت أرجاء المكتب: مين بيجيب ف سيرتي ؟

تأفف أكرم من أسلوبه: يا ريتني كنت جبت ف سيرة ربع جنيه مخروم

ضحك وأراد إغاظته: أساسا ما بقاش في إربع مخرومة .. يعني ماكانش هيجي أصلا

– طول عمرك غلس .. وهتفضل طول عمرك غلس .. يا غلس

رفع مصطفى حاجبيه ببرود: أديك قولت بنفسك .. أنا غلس

وقف أحمد بينهما مغيرا الموضوع واضعا حد للجدال: بس منك ليه .. على فكرة يا أكرم؛ في سفرية تبع الشغل للغردقة تيجي معايا ؟

صاح مصطفى مانعا الآخر من الرد: أه أجي وهو هيجي .. دي هتبقى أحلى فسحة

كز أكرم على أضراسه: يا غلس، بيقول أكرم أكرم أكرم .. أنت اسمك أكرم ؟

أخرج مصطفى لسانه: أه اسمي أكرم

– ومصطفى دا شَاحتُه ؟

– لا ماما كانت مسمياني أكرم .. وبابا سماني مصطفى

أمسك أكرم رأسه بين كفيه: يا نهار مش فـــــايت، أنا مش هأخلص منك

نفذ صبر أحمد: يعني هتيجي ولا لا يا أكرم ؟

مصطفى: ما أنا قولتلك جاي

تجاهل أكرم تدخل مصطفى: هي هتبقى كام يوم ؟

أطلعه أحمد بعد تفكير: حوالي أسبوع أو عشر أيام

وافق: أوكيه، حتى الواحد يرتاح م الشغل هنا شويه

أيده أحمد معلقا: طب كويس .. أبقى قول للآنسة مرام تجهز نفسها بقى

اندهش أكرم لطلبه: ومال مرام ومال السفرية دي ؟

تنحنح: أصلي محتاج هند ف شغل ضروري هناك، لكن هي مش راضية تسافر عشان ماينفعش تسافر لوحدها .. فقولت أقولك لو هتيجي، وبالمرة تيجي مرام معاها وقتها هتقبل تيجي

قفز مصطفى ضاربا بقبضته جزيئات الهواء: الله، ويا سلام بقى لو فريدة تيجي معاهم .. هتبقى رحلة تجنن

استفسر أحمد عن صاحبة الاسم: فريدة مين ؟

أوضح له أكرم: فريدة أخت هند ومرام

أومأ أحمد موافقا، يكفيه أن ذلك سيجعل هند ترضخ بالمجئ حتى يقبل: ااااه .. ماشي مافيش مشاكل

– مش عارف هتقبل ولا لا بس نجرب .. مـــــــرام

دخلت إليهم مرام مسرعة، تلهث ببقية الطعام بفمها: أيوه

سألها دون مقدمات: تحبي تسافري معانا الغردقة حوالي عشر أيام كدا ؟

صعقت: الغردقة ؟ ليه ؟

أوضح لها الموضوع سريعا: أصل أحمد عنده شغل هناك، والآنسة هند ما رضيتش تسافر معاه لوحدها، وأنا مسافر معاه، فقولنا نسألك إنتي كمان عشان تيجي مع هند

أضاف مصطفى بعجلة: وفريدة كمان

حركت نظراتها بينهم عجبا: مش عارفه .. لما اسأل البنات الأول

أنهى أحمد الحوار: خلاص تمام اسأليهم إنهارده وبكره إن شاء الله تقوليلنا الرد

حركت كتفيها منسحبة: حاضر .. عن إذنكم

قال مصطفى بعد أن أغلقت الباب خلفها: تفتكروا هيقبلوا ؟

ربت أكرم على كتفه: كلها بكره ونعرف.. يلا بينا بقى نروح لأحسن نفسي أخد دش يريحني من الشد اللي ف ضهري

***

منزل آل السويفي مساء، جلس أكرم أمام المسبح يرخي يده على المنضدة بجوار كأس من العصير الطازج فاتحا إحدى تلك الرسائل التي تبعثها إليه الفتاة المجهولة؛ التي يتشوق لمعرفة

شخصيتها ورؤية شكلها، فما يعرفه عنها لا يتجاوز معلومات بديهية؛ أنها تعرفه من الجامعة وأنها طالبة بها، لكن لا يعلم في أي فرقة أو أي كلية، قرأ الرسالة عدة مرات حتى حفظها عن ظهر قلب.

قاطعه صوت هاتفه متعاليا برنين نغمة عادية، ليس لديه الوقت أو البال لاختيار نغمة معينة، أجاب: السلام عليكم

– وعليكم السلام .. ع الأخ الندل اللي ما بيسألش

علم هوية المتصل فلم يهتم بقراءة اسمه قبل الإجابة: هههههه طول عمرك داخله فيا شمال يا ندى

– ما أنت لو بتسأل هأدخل فيك يمين مش شمال

– ويا ترى بتدخلي ف أحمد نفس الداخله دي ؟، ولا دي مخصصة ليا أنا ؟

– أحمد ؟ هو في زي أحمد ؟ .. دا حبيبي

– يا سلام ع الحب اللي ولع ف الدرا .. ربنا يخليهولك ياختي

– آمين يارب

– أومال هتيجوا إمتى صحيح ؟

– مش عارفه .. عشر أيام أو أسبوعين حاجه كدا

– شكلكوا كدا هتيجوا وإحنا ف الغردقة

– أنتوا رايحين الغردقة ؟ .. إمممم، خلاص ممكن نجيلكوا على هناك

– أه أحمد وراه شغل، وأنا ومصطفى هنروح نغير جو

– لا ما تقولش، هو مصطفى كمان جه ؟

– ههههههه إنتي ما تعرفيش ؟ .. مش أضحك عليه الضغوف

صدر صوت من خلف أكرم فيما قبضت يد على كتفه بعنف: ضغوف مين يا كبير الضغوفات .. بقى بتكلم ندى عليا كدا يا واطي .. دا إيه الصحاب دي يا ربي .. بدل ما أصعب عليك وتدافع عني يا تيــت

– ههههههههههههه خلاص يا أكرم أنا هأقفل وأسيب مصطفى يخلص حقه منك

– وأهون عليكي ؟ .. إيش حال إن كنت أخوكي ابن أمك وأبوكي ؟؟

– تستاهل، عشان تبقى تتكلم عن أحمد وحش تاني، حتى مصطفى ما سلمش منك، خليك يمكن تحرم ســـــلام

أغلقت ندى الخط على صوت صراخ أكرم من ضربات مصطفى المنتقمة، عادت إلى غرفة المعيشة حيث جلس والديها يتناقشان في أمر عودتهما وآدم عاد لتوه يُلاعب سيف، كانت ما تزال تضحك متخيلة ما يحدث الآن بين أكرم ومصطفى من مناوشات اعتادت عليها.

تعجبت والدتها من حالها: مالك ميتة على روحك من الضحك كدا ؟

انتبه والدها: كنتي بتكلمي مين يا بنتي عمل فيكي كدا ؟

نظر لها آدم من طرف عينه دون أن يشعرها بنظراته منتظرا إجابتها، تمالكت نفسها وضحكاتها: كنت بأكلم أكرم وفجأة جه مصطفى .. ساعتها أكرم كان بيقولى إن مصطفى دا ضغوف هههه

شاركها والديها الضحك فيما صمت آدم متابعا اللعب مع سيف، أغتاظ من زوجته؛ تضحك من كل قلبها براحة في حين يكاد ينفجر من الغيظ؛ كان دائما يغار من مزاحها وعلاقتها بمصطفى ومازال حتى الوقت الحالي.

علقت والدتها باسمة: وهو أتلم على أخوكي تاني إمتى؟

تناولت رشفة ماء: ولا أعرف .. مالحقتش اسأل على حاجه، سبت مصطفى ياخد حقه من أكرم

لم يعد آدم يستطيع الصمت أكثر: وإنتي مالك فرحانه إنه هياخد حقه أوي كدا ؟ .. مش أكرم دا أخوكي بردو ؟

نظرت له بجدية: أنا بأضحك على شغل العيال بتاعهم، اللي رجعني سنين ورا .. وعشان كان بيتريق على أحمد قبلها

هز كتفيه بلا مبالاة: اااه طيب

سألها والدها ياسين: قولتيله على المعاد اللي احتمال نسافر فيه ؟

أومأت: أه .. بس هيكون عندهم شغل ف الغردقة

والدتها صابرين بشوق: يــــاه بقالي كتير ما روحتش هناك

ابتسمت ابنتها: ما أنا كنت بأفكر نروحلهم على هناك نغير جو بالمرة

وافقها ياسين: فكرة حلوة

أيدتهما صابرين: يـــــاريت

أشار ياسين برأسه: خلاص تمام هأحجز على هناك بقى على طول .. لو لقيت حجز

آدم موجها كلامه لندى: ومصطفى هيكون هناك ؟

تعجبت سؤاله لكنها أجابته بهدوء: أه، أكرم قال هيروح هو ومصطفى يغيروا جو، لكن أحمد هو اللي عنده شغل

دمدم آدم: اااااه قولتيلي

تعجبت: قولت إيه؟

قاطعهم سيف ذاهبا إلى ندى قافزا فوق ساقيها حيث يعشق الجلوس، شعر ياسين بقلق سيف من أسلوب والديه في الحديث وأن هناك جوا مشحونا بينهما: يا عم يا عم، أيوه .. ناس ليها حضن وناس ليها شيٍ يا حمار مش كدا ؟

ضحك سيف: أنت بتبقى حصان يا جدو .. مش حمار

قهقه ياسين: فرقت إيه ياخويا ؟، ما كدا كدا بتركب فوق ضهري

ضحك الجميع حتى آدم نسي ما حدث وشاركهم الضحك، أمرته ندى: يلا قول تصبح على خير عشان معاد النوم جه

انزعج سيف: يـــووه بقى .. كل يوم نوم نوم، مافيش مرة من غير نوم دي

بعثر آدم خصلات شعر الصغير الناعمة: وعايز تكبر إزاي وتبقى قوي من غير نوم ؟

وقف سيف مطأطأ الرأس: طيب أهو، رايح للنوم أهو .. أنا خلاص نمت حتى شوف

اغمض سيف عينيه وأصدر صوت "الشخير" مما جعل الجميع يدخل في نوبة جديدة من الضحك الهستيري نتيجة تصرفه البريء.

حملته ندى بين ذراعيها: يلا يا عم اللمض، لأحسن مش هنخلص منك الليلة دي

سألته جدته صابرين باسمة: مش عايز حاجه يا حبيبي قبل ما تنام ؟

سيف بعد تفكير: أه .. عايز قصر زي اللي كان في التلفثيون دا

أشار بأصبعه الصغير إلى شاشة التلفاز، ابتسم له جده ياسين: قصر مرة واحدة ؟ .. دا أنت طماع أوي

عقد سيف حاجبيه: ماليش دعوة، تيته قالتلي عايز إيه وأنا قولت .. هاتلي بقى اللي أنا عاوزه

عاتبه آدم بهدوء: تيته هتجيبلك منين قصر الساعة دي .. روح نام يا سيف

أوشك سيف على البكاء: لا، أنا عايز القصر تاعي !

استدركت ندى الموقف: تحب يا سيف تجيب أنت القصر لنفسك، ومش واحد بس كتير كمان ؟

مسح دموعه المهددة بالهطول: أه أه عايز

ابتسمت له بحنان: طب أنت لو قريت "قل هو الله أحد" عشر مرات ربنا هيبنيلك قصر كبير أوي وحلو أوي عنده ف الجنة وكل مرة هتقرا فيها هيبنيلك قصر .. ها إيه رأيك ؟ تيجي نقراها دلوقتي ؟

صفق سيف بسعادة: أيـــوه أيـــوه

بدأ الجميع يقرأ سورة الإخلاص المنتشرة بين الأطفال باسم سورة "قل هو الله أحد" في صمت بينما سيف يقرأها بصوته العالي الطفولي، أثناء تلاوة آدم الهامسة تعلق بصره بزوجته مفكرا كيف تكون بهذا الحنان والقدرة على تربية طفل بهذه الطريقة وهي .. زوجة خائنة.

توقف الجميع عن القراءة على صوت سيف يهتف بعد أن أمسك كفي والدته يمنعها عن متابعة ترديد السورة قائلا: لا يا مامي إنتي مش تقري

استغربت وسألته: ليه ؟

خاطبته صابرين زاجرة: أنت مش عايز مامي يبقالها قصر ف الجنة يا سيف ؟

هز رأسه رافضا: لا مش عايز عشان هي كدا هتعيش ف قصر تاني ومش هتعيش معايا، عشان كدا مش عايزها تقرا، أنا هأخليها تعيش معايا ف القصر تاعي أنا !

نظر الجميع لسيف مصدومين أولهم آدم الذي دارت التساؤلات بعقله ألهذه الدرجة تحبها وماذا عني .. ماذا عن والدك ؟ أتخليت عني وفضلتها عليَّ ؟

سأله جده: يعني عايز مامي بس معاك ف القصر بتاعك وأنا وجدتك وباباك لا ؟

أجابه سيف بعقل: لا عايزكم كلكم، أنا بأحبكم كلكم .. بس مامي بأحبها كتير أووي قد الدنيا دي كلها .. وبعدين أنت يا جدو هتقعد مع تيته ف قصر واحد، بس مامي هتبقى معايا أنا

آدم بحزن: ومش بتحبني أنا يا سيف زيها ؟

شعر سيف بحزن والده فانسحب من بين ذراعي أمه وأتجه إليه يضم ساقه بين ذراعيه بقوة: لا يا بابي أنا بأحبك قد السما دي كلها .. بس أنت راجل وعندك شغل، ممكن تقعد لوحدك .. بس مامي مش ليها غيري، يعني لو قعدت بعيد عنها هتبقى لوحدها .. لكن أنت عندك عيانين كتير أوي هيشغلوك

ضحك الجميع على تبريرات سيف لإختيار والدته فقط دونا عن البقية، كانت ندى تنظر إلى آدم وهو يبادلها النظر حتى أسقط عينيه بالنهاية بعيدا عنها، نهض: أنا هأروح أنام .. تصبحوا على خير

تركهم متجها إلى فراشه علَّه يفرّ من تلك الأفكار بالنوم، صعدت ندى تضع سيف في فراشه من ثم ذهبت إلى الغرفة المشتركة بينها وبين آدم، ما إن يشعر بها تشاركه الفراش حتى يتكوم على أحد أطرافه واضعا بينهما وسادة؛ حتى لا يمسها ولو من غير قصد، أغمضت عينيها باكية لهذا الحال، ويغمض هو عينيه غاضا البصر عن هذا الجمال الراقد بجواره.

***

مدت هند قبضتها تتناول حفنة من الفشار فيما تجلس أمام التلفاز تتابعه برفقة شقيقتيها فريدة ومرام: معقول عمل كل دا عشان أسافر معاه ؟

صرحت بهذا التساؤل بعد أن أخبرتهم مرام بما حدثوها به: أه، شوفتي بقى ؟

حدثت هند نفسها بصوت مرتفع: طب وليه ؟؟ ما كان خد أي حد تاني والموضوع ينتهي

مرام: شكله مش بيثق ف حد بسهولة، وزي ما إنتي قولتي .. هو قالك إنها صفقة هتعوض الخسارة اللي حصلتله م السكرتيرة اللي قبلك فأكيد مش حابب يضيعها

هند بشرود: يجوز

أضافت مرام ملتفتة إلى شقيقتها الأخرى بخبث: ولا أستاذ مصطفى دا كمان لما قالي خلي فريدة تيجي معاكوا

نظرت لها فريدة باستغراب: مصطفى ؟، وإيه اللي جاب مصطفى عندك ؟، وإيه دخله ف الموضوع

أدعت مرام عدم التذكر: لهو أنا ما قولتلكيش ؟؟ .. إخص عليا .. بجد إخص

فقدت فريدة أعصابها: بت إنتي، أتكلمي على طول وأنجزي

قهقهت مرام: خلاص ما تعصبيش نفسك .. أصل مصطفى دا طلع صاحب أكرم، كان جه معاه مرة وشوفته

همهمت فريدة: يا سبحان الله !، إيه الصدف العجيبة دي ؟

هتفت مرام معيدة الموضوع لمساره الأصلي: المهم .. قولتوا إيه ؟ هتروحوا ولا لا ؟

هزت هند كتفيها: مش عارفه، بس دا شغلي، وما دام أنتوا رايحين أنا هأروح

صاحت مرام منتفضة من مجلسها: هيـــــه وأنا هأروح أشم نفسي أخيرا أوف

قالت فريدة بجدية وأعادت تركيزها إلى التلفاز: أنا مش رايحه

انتكست مرام مكانها مرة أخرى: ليـــــــــه ؟ ما إحنا كنا كويسين

دون أن تنظر إلى أيٍ منهما: أروح بمناسبة إيه ؟ .. هند هتروح عشان شغلها وإنتي هتروحي عشان ما تبقاش لوحدها، أنا أروح ليه بقى ؟

أخبرتها هند بثقة: وإنتي فاكره إننا هنسيبك لوحدك هنا ؟، أبـــدا رجلي على رجلك .. يا نروح كلنا يا نقعد كلنا

أوشكت مرام على البكاء: يلا بقى يا فريدة، أديكي شوفتي، أهي مش هتروح لو مروحتيش .. وأنا نفسي أتفسح وأغير جو، عشان خاطري وافقي بليــــــز

هتفت فريدة بضيق؛ فلقد أشعرتها بالذنب: يـــووه .. روحوا أنتوا ومالكوش دعوة بيا، أنا مش عيلة صغيرة

وضعت طبقها جانبا ثم أغلقت على نفسها باب حجرتها، مرام لا تفهم مخاوفها، بأي صفة يطالب مصطفى بحضورها، لما أصر على ذلك، ماذا يخطط، لقد أوشكت على الوقوع في شباك حبه وهذه الرحلة قد تحكم حولها القيد وتستسلم ليدي الصياد وهذا آخر ما أرادته.

أتجهت مرام تجلس بجوار هند تستعطفها: علشان خاطري بقى، نروح إحنا

بعد تفكير لدقيقة: وفريدة ؟

هتفت بيأس: ما هي اللي مش عايزه تيجي معانا، أنا هأموت وأسافر

خاطبتها بعقل: بس ما ينفعش يا مرام نسيبها لوحدها

حاولت إقناعها مجددا: يمكن لما تشوفنا خلاص مسافرين وهتبقى لوحدها تغير رأيها

حدقت بها تتأكد من جديتها: تفتكري تغير رأيها ؟

هزت رأسها هبوطا وصعودا بقوة: وإحنا أكيد هنفضل وراها ونزن يعني، مش هنسيبها

همهمت: إمممم .. خلاص ماشي .. ربنا يستر

قبلتها على وجنتها بقوة: هيـــه حبيبتي يا هنوده أمـــووه

دخلت تعد حقيبتها بفرحة فيما هند تفكر في فريدة وكيف تستطيع تركها بمفردها، فإذا أصرت على قرارها ستلغي الأمر نهائيا، في الغد ستقوم بتنبيه أحمد حتى يأخذ إحتياطه فلا يتفاجئ.

كذلك ما سبب اهتمامه بذهابها معه، لما لم يبحث عن غيرها أكثر كفاءة وأعلم منها بأمور الشركة وكيفية تنظيم هذه الصفقات، لم يعترف يوما بكفاءتها، أو يشكر لها همتها فلم الآن يتمسك بها إلى تلك الدرجة ؟؟

***

وقفت في المكتبة خلال اليوم التالي؛ تنظم حسابات الشهر كما علمها الحاج عبدالصمد؛ فقد كان شديد الثقة بها بالإضافة إلى ذلك فإن عيناه لا تتحملان كثرة التدقيق وشدة التركيز كما سبق.

ظهر أمامها مصطفى محييا: صباح الخير

دون أن تنظر إليه سألته: صباح النور .. أي خدمة ؟

أخبرها مباشرة: ليه مش عايزه تيجي معاهم الغردقة ؟

سألته ساخرة: هو أنت لحقت تعرف ؟

اتكأ على المنضدة: أصلي كنت مستني ردك بفروغ الصبر، وأول ما مرام قالت لأكرم ردكوا وعرف إنك رفضتي قالي وأنا جيت عشان أعرف السبب

هزت كتفيها بلا أدنى اهتمام: من غير سبب، أنا مش عايزه أروح وخِلص الموضوع

أكملت عملها تخبره بطريقة غير مباشرة أن الموضوع أنتهى وليس هناك أي مجال للنقاش، أدعى عدم فهمه لحركاتها وعاد يسألها: يعني مصممة إنك مش هتسافري ؟

تأففت: أيـوه مصممة .. ممكن تتفضل بقى ؟

أدعى مصطفى البراءة قائلا بحسرة: يا عيني عليكي يا هند .. والله هتصعبي عليا

لفت اسم هند إنتباهها فخوفها وقلقها على أختيها دائما كان يحتل المرتبة الأولى لديها حتى قبل ذاتها؛ فهي تعتبر نفسها أما لهما قبل أن تكون أخت، سألته بتردد تخشى أن يلمح نبرة القلق في صوتها: ومالها هند ؟ تصعب عليك ليه ؟

ادعى عدم ملاحظته لإنفعالها حتى لا يحيد عن خطته وتابع: أصلها يا حبة عيني هتركز ف الشغل ولا ف أختها الصغيرة الطايشة .. هتاخد بالها من إيه ولا إيه .. المشكلة بقى إنه ف الوقت اللي هي بتدوخ فيه، أختها قاعدة هنا مريحه دماغها وواخده مزاجها أربعة وعشرين قيراط

سألته منزلقة في شِركه بعد أن أشعرها بالذنب: فكرك كدا ؟

ادعى الحزن مخفيا فرحته الداخلية: مرام أختك وإنتي أدرى بيها أكتر من أي حد

ولأنها حقا أعلم بشقيقتها وتصرفاتها المتسرعة، أحست بالقلق والذنب ناحية هند بدأ يتنامى، قررت بتردد: أوووف .. طيب، خلاص هأسافر

كظم غبطته وسألها رافعا حاجبيه بإندهاش: وليه تتعبي نفسك ؟ أرمي كله على أختك

صاحت به بعصبية: يـــووه .. ما خلاص بقى

دنى منها قليلا وقال مهدئا: خلاصين تلاته، هأخاف يعني ولا هأخاف

أفلتت ضحكتها رغما عنها: عايزه أشتغل يا أستاذ

أومأ مبتعدا: خلاص يا أبو سِريع ما تزوقش، أديني ماشي أهو

لم تستطع إمساك ضحكاتها، رأى ضحكتها فيما إعجابه بها يتزايد يوما عقب يوم؛ فقد ضحت براحتها وموقفها فقط من أجل شقيقتها .. لتحمل عنها حمل الأخت الطائشة ومسئوليتها، لم يدري عن طيشها شئ سوى ما استشفه من مقابلتها المرتين الماضيين، خبرته في طيش الفتيات لا يستهان بها.

همس لنفسه أثناء صعوده إلى السيارة: بجد إنتي فريدة .. يا فريدة، هو في حد كدا ف الزمن دا مش بيقول يلا نفسي ؟؟ .. غيرك

***

جلست صابرين تحت شمس الصباح الباكر حيث يعم دفئها دون أي آثار جانبية، اقتربت منها ابنتها لاهثة الأنفاس وارتمت على المقعد المجاور، وضعت يدها على صدرها: قطع نفسي ومش راضي يسبني ارتاح

ابتسمت لها والدتها بحنان: لسه صغير وعنده طاقة .. خليه يلعب

ضحكت: يلعب .. هو أنا قولت حاجه ؟؟ .. بس ما يقطعش نفسي أنا ف اللعب معاه

مدت لها كأس من عصير البرتقال الطازج: اشربي دي هتعوضك شوية عن المجهود اللي عملتيه

تناولته منها عن طيب خاطر واستغرقت في تأملاتها للحديقة ولحظات الاسترخاء حتى أفاقت على خروج اسمها من بين شفتي صابرين القلقة: ندى .. كنت عايزه أكلمك ف حاجه

وضعت كأسها بعد أن أنهت أغلبه وانتبهت لحديث والدتها فيبدو عليها الجديدة وخطورة الأمر: إيه هي يا ماما ؟

رفعت حاجبيها: علاقتك مع مصطفى

تعجبت: مالها ؟

نقرت الأم بأصابعها على الطاولة: أنا ماكنتش بأكلمك عنها قبل كدا رغم إني لاحظت قربكوا من بعض أوي .. لكن ما أدخلتش عشان قولت إنك عاقلة وعارفه مصلحتك كويس بس ...

شجعتها لتكمل: بس إيه ؟

زفرت: لازم تفهمي اللي كان ينفع وأنتوا صغيرين ما ينفعش دلوقتي

عقدت ذراعيها: وإيه اللي فتح الموضوع دا دلوقتي ؟

تنهدت الأم باستسلام؛ فقد لاحظت حركة ابنتها الدفاعية ونبرتها الحانقة: آدم إمبارح ماكانش طبيعي من ساعة ما جيبتي سيرة مصطفى .. ما تنسيش أنه شاف تعاملكوا سوا وفرحتك إمبارح اللي ظهرت بعد ما عرفتي أنه مع أكرم .. حاسبي من الغيرة يا ندى .. الغيرة لو دخلت بين إتنين بالأخص لو شخص كتوم ف مشاعره زي آدم هتلاقي الراحة والاستقرار هربوا

نظرت إلى والدتها تريد إخبارها أن العلاقة بينها وبين آدم ليست كما تتخيل، لم يعد يحبها فكيف سيغار عليها ؟؟، لكنها ألتزمت جانب الصمت واكتفت بإيماءة من رأسها تدل على سماعها لكلام أمها كاملا.

زمت صابرين شفتيها متناولة المجلة من فوق المنضدة تتابع قراءتها، لقد أدت دورها وهمست بالنصيحة في أذن ابنتها والآن حان دورها في الأخذ بالنصيحة أو إلقاءها.

***

الحي الشعبي في المحروسة يحتوي على الباعة الجائلين في الأزقة والحارات، بائع البطاطا الذي تخرج مدخنة عربته كمية من ثاني أكسيد الكربون تزكم الأنوف وتزيد سببا إلى طبقة الأوزون حتى تنسحب رويدا عن محيط الأرض.

ميكانيكي السيارات الذي أفترش الأرض أسفل سيارة نقل يحاول إصلاح العطل الحادث بها.

صاحب محل البقالة يجادل سيدة في إنتقاصها للجبن قبل إعادته فميزان لا يخيب، حلاق الحارة يقف خلف ظهر الزبون يزيل عنه حمل شعره ويلقي على كتفيه أحمال الناس وأخبار طلاق فلان وسجن علان.

وإذا ثنى المرء رقبته للخلف قليلا .. لاحظ الشرفات التي تكاد تلتصق سويا من شدة القرب، حتى أنك تكاد تشعر أنها شقة واحدة اعترض الشارع طريقها.

وقف في إحدى الشرفات شديدة الضيق .. هشام، وقف مستندا إلى سورها يراقب الحركة في الحي الذي ولد وعاش فيه، بعد رؤيته خروج صبي القهوة قائلا: وعندك واحد شاي كشري للمعلم بُرغل

دلف إلى الداخل متمسكا بكوب الشاي الذي لم يشرب سوى ربعه، وجه نظراته الغاضبة إلى صديقه متابعا الحوار الذي كان دائرا بينهما قبل دقائق: أنا مش عارف هو لاقني إزاي، يعني خلاص مصر كلها مالاقش غير المكان دا اللي شوفني فيه ؟

سحب سعد كرسيا يتهالك وجلس فوقه بهدوء: طب هتعمل إيه ؟ هتهرب منه إزاي ؟

جلس أمام صديقه على الكرسي بطريقة معاكسة: أي حاجه فيها سفر برا مصر أكيد هيوصلي

طالبه بالمزيد: طب وبعدين ؟

أشعل سيجارة من علبة السجائر الملقاة فوق المنضدة بلا إهتمام: شكلي هأروح أي محافظة تانية واستنى فترة لحد ما ينسى الموضوع أو يحصل جديد

سعد: تمام .. هتسافر فين بقى ؟

نفث دخان سيجارته وأدارها بين أصبعيه متأملاً: مش عارف .. بس أكيد هأروح مكان أفرفش فيه بالفلوس اللي معايا دي مش هأدفن نفسي يعني هههههه

انضم إليه سعد في نوبة الضحك مظهرا أسنان أكلها السوس: هههه ماشي يا عم بس أبقى افتكرنا

ربت على كتفه: طبعا يا ابني ودي فيها كلام ؟ أنت هتيجي معايا

–ربنا يخليك يا صديقي الصدوق

نظر بعيدا بغل: بس اللي غايظني إنه شافني معاها

تعجب سعد: مع مين ؟

هشام بنفاذ صبر: مع فريدة يا ابني اللي حكيتلك عليها

– ااااه .. طب وهو عرف طريقها منين ؟

لوى هشام شفتيه: يا ابني ما تفتح مخك ما أنا قولتلك شافني معاها قصاد المكتبة بتاعتها، سهل أوي يروح هناك وهيلاقيها

–طب ما يلاقيها .. هي ما تعرفش عنك حاجه، دي تعرف عنك أقل بكتير أوي من اللي هو عارفه، يعني مش هتفيده

صفعه هشام على جبينه: أنت مال مخك ضلم كدا ليه ؟؟ .. مش على كدا .. بس مصطفى دا بتاع بنات .. وخايف تدخل دماغه وياخدها

غمزه سعد: أنت مش قولت إنها محترمة ويدوب بترد على قد السؤال ؟ .. وصاحبك دا بتاع البنات النغشين اللي تجيب م الآخر

هشام بتأني وقد ضاقت عيناه: ما أنا خايف لما يلاقيها معصلجه معاه .. تدخل دماغه أكتر ويحب يلينها .. أنا عارفه

هز كتفيه بلا مبالاة: لو البنت فعلا زي ما قولت، مش هيقدر عليها حتى لو عمل الَلي .. كبر مخك .. خلينا ف السفرية .. هتودينا فين يا برنس ؟

قهقه هشام ونهض ملقيا عُقب سيجارته أرضا ثم دعسها بقوة: المكان اللي يعجبك يا أسطى



الفصل العاشر

قفزت مرام سعيدة بعدول شقيقتها عن رأيها الذي اعتبرته بلا أسباب مقنعة: هيــييـه، يعني جايه معانا يا فيري

مسحت وجهها بباطن كفها: يادي النيله .. مش قولتلك مش بأحب الدلع دا ؟، شكلي هأرجع ف كلامي تاني

تعلقت بذراعها فزعة: لا لا خلاص .. سماح المرة دي أمــووه

ضحكت على تصرفات شقيقتها الصغرى التي لا تنم سوى عن طفولة دائمة ثم استدارت إلى فريدة متسائلة: بس إيه اللي غير رأيك ؟

هزت كتفيها كأن الموضوع لا يحتاج إلى أية شكوك: عادي يا بنتي .. فكرت إني هأقعد من غيركوا، وعشر أيام كتير عليا من غيرك ومن غير جنان الست مرام، وهتوحشوني أوي، فقولت عليا من دا بإيه أروح معاهم أحسن

ضمتها هند باسمة: تنوري

لوت مرام شفتيها بحزن: عشر أيام وحساهم كتير ؟، في ناس ما شافوناش من سنين و ولا فارق معاهم .. إنتي بجد مافيش منك يا فريدة، هتكوني أحن وأجمل أم ف الدنيا

زجرتها هند: وبعدين بقى .. إنتي عايزه تنكدي على نفسك آخر الليل يعني ؟

هزت مرام رأسها: لا ولا نكد ولا يحزنون .. أنا هأدخل أنام

تأبطت هند ذراعها: خديني معاكي ياختي لأحسن مدغدغه ومفاصلي سابت وعنيا راحت

سألتهما فريدة قبل أن تدلف كل واحدة إلى غرفتها: صحيح .. السفر إمتى ؟

رفعت هند عينيها إلى الزاوية اليسرى لأعلى محاولة التذكر بالضبط: هو قال كمان أسبوعين يكون العميل الأجنبي جه من برا

أومأت فريدة: كويس أوي .. يلا تصبحوا على خير

عادت إلى مكانها على المقعد ثم تناولت كتابها الذي تركتها مقلوبا عند الصفحة التي توقفت عندها، استغرقتها القراءة حتى راحت في سبات عميق لم تفق منه سوى على إقامة صلاة الفجر.

***

دق الرقم بعدما أضاف الكود الدولي، استمع للرنين المتواصل وبعد تكرار المحاولة أكثر من مرة أجاب أخيرا، استمع للتحية تخرج من بين أنفاس ضجرة، ردها دون أن ينتبه للهجة الحنق لدى صاحبها؛ فقد انشغل خلده بفتايته الصغار: وعليكم السلام يا أم جلال .. أبو جلال عندك ؟ .. محتاجه ضروري

حاولت إظهار الاهتمام في نبرتها: لا والله يا حاج عبدالرحمن .. خير في حاجه ؟

زفر بانهزام: طب هيرجع قريب ؟

– ما اعتقدش .. أصله سافر المنوفية يبيع حتت الأرض والبيت المهدم اللي ف وسطها، أنت عارف بقى الواد جلال على وش جواز وهيحتاج شقة ف القاهرة

أضافت على عجل: أنت محتاجه ف حاجه ضروري ؟

– أصل البنات مضطرين يسافروا كام يوم الغردقة عشان شغل .. ولو مافيهاش إزعاج كنت عايز جلال أو أبو جلال يروح معاهم؛ عشان ما يقوش بنات لوحديهم

– اااه، معلش بقى يا حاج .. دول مش قبل أسبوع يرجعوا، كان نفسي نساعدك والله

– لا لا مافيش مشاكل، هما مش هيسافروا قبل أسبوعين أصلا

– دا بجد ؟!، أ .. أ .. يـووه، يخيبني نسيت، دا لسه جلال متصل بصاحبه إنهارده عشان يمدله الأجازة اللي أخدها شهر قدام .. عشان الأرض حالتها وحشة وعايزين ينضفوها ويهتموا بيها شويه عشان سعرها يرفع ويلاقولها مشتري

التوت شفتهبسخرية وقد فهم تهربها، حمد ربه على إجرائه المكالمة من مكتبه أثناء الاستراحة، إذا تحدث مع أم جلال أمام زوجته لكانت أوسعته لوما وعتابا؛ لقد نبهته قبل السفر أن هؤلاء الناس لا يترك بعهدتهم شيء، جلال مازال صغيرا بينما والدته هي الأمرة الناهية، تتحكم في زوجها وتحركه على هواها، فلن يسطيعوا تقديم العون لبناتهم عند الحاجه.

ظن أن صلة القرابة وإن كانت بعيدة ستجعل موضعه وموضع بناته مختلف، سيبدون الاهتمام ولو قليلا، لكن يبدو أن العالم اختلف والأولويات تبدلت، وعكس ما يقال فقد صار رابط الدم كالماء.

***

اغلقت الخط مع قريب زوجها متأففة، لقد رفض زواج ابنته لابنها حتى بدون استشارتها، لا لشيء سوى تحججه أن فارق المستوى التعليمي سيخلق بينهما مشاكل بدون آخر.

مصمصت شفتيها ساخرة: مش هو دا بتاع دبلوم صنايع اللي مش عاجبك ؟؟ .. دلوقتي عايز تأمن بناتك عليه.. ياخي دِه دَا، دا خسارة فيك السلام اللي بيقولهولك وكلمة حاج اللي بنناديك بيها .. مش ناقص إلا بناتك كمان اللي ننشغل بيهم

***

قلبت الأوراق وحددت الصفحات التي طلب منها أكرم تصويرها من المراجع؛ حيث تفيده في دراساته العليا بالإضافة إلى تشغيل جهاز الحاسوب لكتابة ما سبق وطلب تجهيزه، كانت الساعة في تمام السابعة والنصف صباحا، أبكرت زيادة عن اللازم على غير عادتها؛ لقد أمضت ليلها تتقلب في الفراش كأنه صنع من جمر، وفور رؤيتها لأشعة الشمس الأولى التي أعلنت بداية نهار حار جديد قفزت تستعد للذهاب إلى جامعتها على أمل إيجاد ما تتلهى به دافعة دوامة أفكارها المحزنة.

لم يأتي سوى قلة قليلة من العاملين في الكلية، فقط من يتطلب منهم العمل ضرورة الحضور المبكر، دخل عامل مكتبة التصوير مصدوما لرؤيتها في تلك الساعة، لكنه ألقى التحية: صباح الخير يا آنسة مرام

استدارت إليه مفزوعة: فرج ؟!، مش تخبط قبل ما تدخل ؟؟ .. خضتني

نظر إليها نظرات أثارت الريبة داخلها: ما عاش اللي يخضك

استفسرت بشك: أنت إيه اللي جابك الساعة دي ؟

اقترب منها على مهل: أبدا .. جبت الورق اللي كان سبهولي دكتور أكرم أصورهوله إمبارح

تراجعت للخلف: تمام .. سيبه عندك ع المكتب وأمشي

اقترب منها أكثر: طب ما تاخديه إنتي من إيدي أحسن يا جميل .. إيه رأيك نفطر سوا ؟

جاهدت لتخفي خلفها عن عينه حتى لا تزداد جرأته: جميل إيه ؟! .. بتتكلم كدا ليه، أنت أتجننت ؟!

أجابها بنبرة اشمئزت منها: أه أتجننت .. مين يبقى قدام لهطت القشطة دي ما يتجننش ؟

صرخت به: ما تحترم نفسك

كان شديد القرب منها عندما قال: هههههه ماشي يا قطة

هجم عليها فجأة، يحاول أن يقربها منه بينما تحاول تدفعه بعيدا عنها بكل قواها، لكنه كان أقوى منها بمراحل، جسده البدين وثقله أودى محاولاتها إلى التهلكة، بدأت تبكي وتتوسل إليه في حين غرق في عالم آخر غير عابئ بها أو ببكائها الذي يلين أقسى القلوب.

ترجته باكية: حرام عليكي أبعد عني .. سبني، دا أنا قد ولادك

ضحك ضحكة مقززة أثارت بها رغبة عمياء في التقيؤ: هو أنا هأنزل بناتي كدا .. باللبس دا، تقول بيه للرايح والجاي تعالى اتفرج عليا ؟؟

عادت محاولاتها المستميتة في دفعه جانبا بينما تصرخ: ربنا ينتقم منك، حسبي الله ونعم الوكيل .. أبعد عني يا حيـــواان .. يا قذر

دخل أكرم في حين صدمه منظر فرج يحاول تقريب مرام إليه حتى يستطيع الوصول إلى فمها وتقبيلها، يمسك بها بقوة فيما تبكي بين يديه محاولة إقصاءه عنها لكن محاولتها تبؤ بالفشل .. غلي الدم في عروقه فهجم على فرج وأبعده عنها ملقيا إياه أرضا، لم يستوعب فرج ما حدث بهذه السرعة، وضع يده على فمه النازف متوجعا.

صاح به مشيرا إلى الباب: أطلع برا مكتبي دلوقتي يا * .. شغلي معاك بعدين .. سمعتني ؟! بأقولك بـــــراا**

خرج سريعا متعثرا في السجادة المفروشة فوق أرضية الغرفة كذلك في خوفه من بطش أكرم خصيصا وهو أحد معلمي الجامعة ونفوذه خارج الحرم، عدا خوفه من ضرباته التي قد تتوالى

بضراوة إذا طالت فترة بقاءه أمام عينيه لمدة أطول؛ قد يبدو ضعيف البنية لكن قوة الغضب هي الغالبة ولن يستطيع الصمود أمامه.

بعد تأكده من مغادرة العامل للمبنى بأكمله، بحث عن مرام بعينيه مقطب الجبين حتى وجدها تجلس على الأرض في ظل طاولة المكتب حيث لم تعد تملك من الأعصاب ما يجعلها تستمر في الوقوف.

ضمت قدميها بشدة مطبقة فوق صدرها تبكي وقد عقدت ذراعيها حول ركبتيها، هذه هي جلستها المفضلة التي تشعرها بالأمان –إحتواء جسدها بين ذراعيها– عندما لا تتوافر أيا من شقيقتيها فريدة أو هند بجوارها، عادة أكتسبتها بعد سفر والديها وإبتعادها عن حضن أمها الدافئ، أشفق عليها ثم جلس بجانبهاساندا ظهره إلى المكتب ممددا ساقيه أمامه وقد عقد أصابعه معا.

سألها محدقا أمامه مباشرة: إيه اللي جابك بدري ؟

صدمت لسماع صوته ونظرت إليه غير مصدقه وجودها ثم عادت للنحيب: كان في ورق حضرتك طلبته مني ضروري يكون على مكتبك الصبح .. وأنا ما كنتش خلصته .. فأخدته معايا وعملته ف البيت .. بس قولت أجي بدري أكتبه ع الكمبيوتر .. وأطبعه قبل ما حضرتك توصل.

أومأ بهدوء: طيب خلاص .. حصل خير

نظرت له ببؤس: لولا إنك جيت .. ماكانش هيبقى خير

عادت تبكي بكل ما تحمله بداخلها من ألم للذكرى من جديد، احتار لا يعلم ماذا يفعل لكي يوقف انسياب دمعها، صدمته دموعها كأنها أساور حديدية ألجمت يديه، لم يكن يتخيل أن يراها في تلك الحالة، دائمة الضحك .. المزاح .. المشاكسة تنهار بهذا الشكل.

حاول التخفيف عنها: المهم إني جيت

بعد فترة سكون: عارف قالي إيه لما قعدت أترجاه يسيبني وإني قد ولاده ؟

أكملت دون إعطاءه فرصة حتى يجيب كأنها تحادث نفسها: قالي إن بناته مش هيسيبهم ينزلوا كدا باللبس دا (زاد نحيبها وبدأ جسدها في التشنج) .. طب أنا ذنبي إيه ؟!، ذنبي إيه إن مافيش أب يجي يقولي مافيش نزول كدا، أب أنا بقالي سنين ما شوفتوش، أب ماعشتش معاه لحظة نجاحي وخوفي من النتيجة والتنسيق .. إني ما أدخلش كلية بأحبها .. ها ؟! .. ذنبي إيــه .. ما ترد عليا

كان منشغلا عن الإجابة بالنظر إليها، نظرة غير نظرته لمرام الطائشة غير المبالية، همس بداخله: دي طلع وراها حزن كبير بتدفنه وتخبيه ورا قناع الاستهتار دا

التفت إليها متناسيا أفكاره: وإنتي ليه تحتاجي حد يوجهك ؟ .. إنتي مش ليكي عقل تعرفي بيه الصح والغلط .. تعرفي بيه إيه اللي يتعمل ؟، طب ما إخواتك مش كدا .. إنتي ليه كدا ؟

دمدمت بضعف: عشان أنا ضعيفة وغبية .. يمكن عملت كدا عشان أحسس أهلي بالذنب ناحيتي .. أقولهم بطريقة مش مباشرة أنهم السبب ف اللي أنا فيه دا .. ههههه بس هما مش هنا ومش شايفين دا .. وبدل ما يكون إنتقام منهم بقى إنتقام من نفسي

ذكرها: وتنتقمي منهم ليه ؟ .. مهما عملوا ما ينفعش تعملي كدا، نسيتي ربنا –سبحانه وتعالى– لما قال "والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين"

– وأنا أهو انتقمت من نفسي ف الآخر

أومأ: ماحصلش حاجه .. فكري بس إن دا حصل عشان تفوقي لنفسك وتعرفي فين غلطك وتصلحيه

تأملت: يعني لسه في فرصة ؟

ابتسم مشجعا: بصي هأقولك جملة هي مبدأي وياريت تخليها مبدأ ليكي إنتي كمان .. "لو ف عمري لحظة يبقى لسه قدامي فرصة"

هزت رأسها متحمسة: ماشي وأنا موافقة

نهض من مكانه ونفض يديه قبل أن يمدها إليها: يلا قومي بقى .. ووريني الضحكة الحلوة وبلاش التكشيرة الوحشة دي .. دا إحنا لسه بنقول يا صبح

جذبها لتقف على قدميها بينما تبتسم: أهو .. كدا حلو؟

بادلها الابتسامة: أيوه كدا يا شيخة .. خلي الواحد يصطبح بحاجه حلوة

دهشت من كلامه الذي قيد أحبالها الصوتية فلم تستطع الرد واكتفت بالنظر إليه، تنحنح محرجا: يلا روحي إنتي دلوقتي .. إنهارده أجازة

حاولت الإعتراض لكنه أقفل جميع أبواب المناقشة بوجهها، رفع أصبعه محذرا: هــا وبعدين ؟ .. إرتاحي إنهارده وأنا هاهريكي شغل بكره لحد ما تقولي حـــراام عليك اعتقني لوجه الله

لم تستطع تمالك نفسها أمام طريقته التمثيلية المبالغ بها، شعر بسعادة داخلية غامرة لنجاحه في إزاحة حزنها بعيدا وإعادة الضحكة إلى وجهها.

***

دلفت مرام إلى المطبخ ثم فتحت الثلاجة وألتقطت تفاحة، سحبت كرسيا من حول طاولة المطبخ الصغيرة ثم جلست عليه تراقب شقيقتها وهي تعد الطعام.

حدثتها فريدة دون أن تلتفت إليها: أخيرا صحيتي ؟ إيه النوم دا كله .. مش عارفه رجعتي بدري ليه وإنتي من استعجالك ما فطرتيش ؟

قضمت من تفاحتها: ما أنا قولتلك، لاقيت مافيش شغل كتير روحت استأذنت وجيت

زجرتها بعدم اقتناع : طب ما كنتي نزلتي على مهلك اتسربعتي ليه ؟

– ماكنتش أعرف إن مافيش شغل كتير .. ع العموم سيبك ما حصلش حاجه

نظرت لها بقوة ولوم: لا حصل .. بس مش هاسأل إيه اللي حصل لحد ما تيجي تحكيلي لوحدك .. أصل دي مش عِشرة يوم يا ست هانم

تنحنحت بحرج: طيب، فريدة .. أنا عايزه أطلب منك طلب

ابتسمت لها فريدة مشجعة: اؤمري يا حبيبتي

أطلعتها بتوتر: أنا عايزه ألبس طقم من هدومك .. لحد أما أجيب كام طقم لنفسي، لأني مش عايزه أنزل بهدومي دي تاني

سعدت فريدة: يعني خلاص ؟ .. هتلبسي الحجاب وتغيري استايل لبسك ؟

انتقلت الفرحة إلى ملامح وقلب مرام عندما رأت فرحة شقيقتها بهذه الخطوة: أيوه خلاص

سألتها مشيرة بسبابتها: يعني مش هترجعي تقولي (دا مش عارفه إيه) وترجع ريما لعادتها القديمة ؟

قبلت مرام ظهر كفها وباطنه: لا يا ستي توبة من دي النوبة

دنت منها فريدة تقبلها: أيوه كدا فرحيني .. لـــوولـوولـي

انضمت إليهم هند ضاحكة بعد أن سمعت أصواتهم: على فكرة مش بتعرفي تزغرطي يا فريدة

أومأت فريدة ضاحكة: ما أنا عارفه، بس من فرحتي

ابتسمت هند: ربنا يزيدك فرحة كمان وكمان .. بس حصل إيه ؟

نقلت إليها الخبر بفرحة حقيقية: مرام خلاص هتتحجب ومش بس كدا.. لا.. هتغير استايل لبسها كمان

هند: يا بركة دعاكي يا أما .. مبروك يا مرمر

مرام بسعادة: الله يبارك فيكي .. أنا لو كنت أعرف أنكوا هتفرحوا أوي كدا كنت أتحجبتلكوا من زمان

فريدة: ما إحنا بنزن عليكي من زمان بس لا حياة لمن تنادي .. وبعدين المفروض تتحجبي عشان دا فرض عليكي .. عشانك مش عشان تفرحينا بس .. أصلا فرحتنا بيكي ما تجيش حاجه جنب فرحة ربنا بيكي يا مرومتي

مازحتها مرام: عارفه .. بس بأضحك معاك كِركِركِركِر .. شربات استايل

ضحكت أختيها على تمثيلها وشاركتهم مرام الضحك فيما تشعر براحة غريبة؛ إنها أتخذت هذه الخطوة، نظرت لإخوتها وهن يخططن من أين سيشترون لها ملابسها، شعرت وقتها بقيمة وجودهن بحياتها وأنها لن تستطيع تعويضهما؛ فلن تجد من يحبها مثلما تفعلان.

نهضت وألقت بجسدها عليهما على حين غرة، ضمتهم حتى سقطوا فوق بعضهن على الأرض لكن لم يهتم أي من هن، بل ضموها وتعالت ضحكاتهم.

شردت مرام مخاطبة ذاتها: قد إيه كنت محتاجه الحضن دا .. من زمان وما كنتش حاسه بقيمة وجوده .. ربنا يخليكوا ليا ونفضل سوا على طول

قررت فريدة أن تذهب فتصلي ركعتين تحمد بهما الله على إجابته لدعاءها بهداية مرام وفعل كل شئ يحبه الله ويقربها إليه، أما هند فقد عقدت نية داخلية أن تقوم بإخراج شئ لله وأن تشتري بعض الملابس الجديدة مع أختها وتخرجها صدقة وحمدا لله على قرار مرام النهائي.

***

طرقت هند باب رئيسها، دلفت تتلقى الأوامر النهائية قبل الإجتماع، صدمها الأمر الأخير والذي دونته في مفكرتها دون أن تنتبه، فجأة رفعت رأسها وحدقت به من خلف عويناتها كأنه يضع أنف أحمر مكور فوق أنفه الأصلي.

كظم ضحكته مرغوما وأدعى الانشغال بترتيب الأوراق التي أمامه، سألته وقد شكت في صحة سمعها: حضرتك قولت آخر حاجه إيه ؟

تنحنح كي يُجلي صوته فيخرج دون بحة الضحك: قولت تجبيلي قميص مناسب عشان أحضر بيه الحفلة بالليل .. صعبة أوي كدا ؟

ازدردت ريقها: بس حضرتك بتسيب كذا قميص ف الحمام

أومأ: مافيش ولا قميص موجود ف الدولاب

رفع إليها نظرة لوم وإشارة إلى التقصير: السكرتيرة اللي قبلك كانت بتفكرني إني أجيب قمصان تانية .. وبتودي دول ع التنضيف

صرت على أسنانها تكتم غيظها، وخرجت الكلمات من بين شفتيها غصبا: حضرتك ما قولتليش إن من مهامي الوظيفية إني أبقى خدامة كمان

حدق بها رافعا حاجبيه: كل دا عشان هتنبهيني أجيب كام قميص نضيف وتتصلي بشركة التنضيف تيجي تاخد الهدوم

أضافت ساخرة: وأروح اشتري قمصان عشان الحفلات

ضرب على المكتب بعنف ووقف خلفه مقطب الجبين: مش معقولة التفاهة دي، كل الهوليلة دي عشان بأقولك روحي اشتريلي قميص ؟؟ .. المفروض أقول الحاجه تتنفذ من غير نقاش، وأكيد يعني لو في وقت بين الإجتماع ومعاد الحفلة كنت روحت البيت غيرت .. لكن جنابك حضرتي إجتماع زي دا قبل كدا وعارف العملاء دول وقد إيه رزلين ونفسهم طويل

أخفض رأسها لا لشيء سوى محاولة تمالك أعصابها، فرؤية وجهه تزيد فوران الدماء بعروقها، استمعت لكلماته النهائية وغادرت حانقة وهي تكيل له الوعيد بينها وبين نفسها.

***

وضعت العلبة التي تحتوي على القميص الجديد فوق مكتبه ثم غادرت تتنبأ بعاصفة هوجاء تقطلع ما أمامها دون تمييز.

لم تنتظر كثيرا حتى اخترق أذنيها الصياح دون حاجه إلى رفع السماعة لكي تهرع إليه، وقفت أمامه بملامح بريئة لا تظهر أي خبث أو لؤم، حدق بها بعيون براقة تلمع بغضب، رفع أمام أعينها القميص الذي اختارته: إيه دا ؟

أجابت بهدوء تحسد عليه: قميص

ضم شفتيه بقوة: حد قالك إني من مشجعين شعبان عبدالرحيم ؟

- لا

بسط القميص أمامها، كان مزركشا بأشكال عجيبة وألوان أعجب، تداخلت درجات من الأزرق مع شطحات من البرتقالي ولمسات من الأحمر أنتهت بخطوط خضراء، سألها بحدة: أومال إيه دا ؟

- حضرتك طلبت أجيبلك قميص وما قولتليش عايز موديله إيه .. فجبتهولك على ذوقي

- ذوق منك ولا انتقام ؟

- انتقام إيه كفى الله الشر ؟؟

لمعت عيونها ونبرتها الملائكية أكدت عدم جدوى الجدال وأنه سيضيع وقتها بلا طائل، زفر زفرة أخرجت ما في جعبته من غيظ وأكتفى بقول: هألبسه بردو .. مش لحاجه غير إنك تحسي بتأنيب الضمير لما الناس تشوفني لابسه

رسمت شهقتها واتساع عينيها البسمة على شفتيه، هكذا قلب المائدة عليها وأشعر بذنب ما سيراه في أعين الناس من سخرية واستهزاء، يعلم أن تعايشها مع الذنب سيكون أكثر من احتمالها ولكن هذا هو عقابه لها.

أخفضت رأسها معتذرة بصمت، لقد أصاب مربط الفرس هذه المرة لكنها لن تعترف بفوزه فالمبارة مازالت في شوطها الأول ولن تنتهي سوى عند إطلاق صافرة فوزها.

***

جاء يوم السفر منذرا بيوم حار من أيام الصيف، من المفترض أن يكون السفر بالطائرة، فكيف يملك أبناء السويفي طائرة خاصة تنقلهم في أي وقت إلى أي مكان خلال مدة أقل من المستغرق بوسيلة النقل العادية، وقتهم دائما من ذهب يجب استثماره على أحسن ما يكون.

فوجئت الفتيات بأن تلك هي وسيلة النقل المتاحة، نقلتهم سيارة خاصة بالشركة من المنزل حتى المطار، اعتقدن أن السيارة ستوصلهن إلى موقف الحافلات.

ترجلن من السيارة وتوجهن إلى إحدى صالات الانتظار في المطار حيث كان البقية في انتظارهم، أعلنت فريدة اعتراضها فور رؤيتهم.

تعجب أحمد: ليه لا ؟

أوضحت فريدة: هند طالعه مع حضرتك ف شغل، ودا شئ طبيعي إنها تسافر على حساب الشغل، لكن أنا ومرام مرافقة زيادة .. ما يصحش نسافر على حساب حضرتك

زم أحمد شفتيه: طب وإيه الحل دلوقتي ؟

أخبرته فريدة بهدوء: هنسافر أنا ومرام ف السوبر جيت ونحصلكم على هناك

صاح بها أكرم مصدوما: سوبر جيت إيه بس ؟، المسافة طويلة جدا .. دي تاخد ساعات، دا غير التعب لكن بالطياره يادوب ساعة

أصرت فريدة: معلش مش هينفع غير كدا

تدخلت هند منضمة إلى صف شقيقتها: وأنتوا لو سافرتوا سوبر جيت أنا هأجي معاكوا .. مش هأسيبكوا تسافروا لوحدكوا

اقترح مصطفى: جرا إيه يا جماعة ما تصلوا ع النبي .. أقولكوا ؟، فريدة ومرام هيدفعوا تمن تذكرة الطيارة وكدا تتحل، التذكرة مش غالية دي 300 جنيه، دا سعرها ف الطيارات العادية

ربت أكرم على كتف صديقه ممتنا: برافو عليك يا درش أديك جيبتها .. كدا كلنا هنسافر سوا من غير ما نقلق عليكوا قولتوا إيه ؟

نظر الجميع إلى فريدة مترقبين قرارها النهائي، كلمتها هي الفيصل في الموضوع، أومأت باستسلام أمام نظرت مرام الراجية: خلاص تمام .. بس مصاريفنا هناك بردو إحنا هندفعها

استنكر مصطفى كلامها بشدة: جرا إيه يا فريدة.. مش معاكوا رجاله ولا إيه ؟ إيه هتدفعوا دي ؟ .. التذكرة وقولنا ماشي .. عمالين نعدي عشان السفرية تمر على خير ومع ذلك بردو مُصِرة تحرقي دم الواحد

نظرت له نظرة ذات معنى ليس بخفي: أيوه إحنا اللي هندفع .. وأنتوا تدفعولنا بصفتكوا إيه ؟

تنحنح مصطفى بحرج: إحم إحم .. هنفضل واقفين كتير، يلا نمشي؟ .. ولا إكمنها طيارة خاصة يعني هتلطعونا بمزاجكوا ؟

أشار أحمد للجميع ببدأ المسير إلى حيث تنتظر الطائرة: يلا بينا

جعلهم صوت فتاة تهتف باسم أكرم يتسمرون ملتفتين إلى صاحبة الصوت؛ حتى يعرفوا هويتها ومن تكون، كان أكرم أشدهم صدمة رغم أنه أكثرهم معرفة بالقادمة.

هتف أكرم مصدوما: باريهان ؟ إنتي بتعملي إيه هنا؟ ورجعتي إمتى ؟

ضحكت باريهان ضحكة رقيقة: لسه واصله، آنطي شافتك بس عشان عارفاك بالشكل بس اتكسفت تسلم عليك ولما قالتلي جيتلك جري

تمتم أكرم من بين أسنانه: حمدالله ع السلامة

لم تنتبه أو لم تهتم باريهان بافتقاد ترحيبه للحرارة المنتظرة: الله يسلمك .. مِس يو أوي

لفت أحمد انتباههم بسأم: حمدالله على سلامتك يا باريهان، مش يلا يا أكرم ولا إيه ؟

هز أكرم رأسه بسرعة: أه جاي أهو

تشبثت باريهان بساعده: خليني أجي معاكوا .. أنت واحشني وكدا كدا الشنط لسه ف المطار يعني مش أزمة

معرفة أكرم بها جعلته يستسلم دون جدال، مادام هناك سفر فلن يستطيع ردع إلحاحها في الذهاب، أزاح قبضتها: طيب هأروح أشوف الموضوع دا، وتعالي عشان تقولي لأهلك

عادت تمسك يده: أوكيه .. يلا بينا

أبلغ أكرم شقيقه: أحمد مش هاتأخر

تأفف أحمد داخليا لكنه أكتفى بقول: بسرعة

كانت عيون مرام الحانقة تلاحقهم بضيق، لقد كانت تتابع أخباره وتعمل لديه منذ فترة ولم تسمع يوما باسم شبيهة الـ "باربي" تلك، حاولت تخمين حقيقة الوضع بينهما، لقد كانت باريهان ترتدي ملابس لا تتناسب مع شخصية أكرم التي تعرفها، ثوب يبرز إنحناءات جسدها بشكل صارخ، لونه أكثر صُراخا من طفل يبكي بعد أن صفعه الطبيب على مؤخرته ليتأكد من أنه على قيد الحياة.

سأل مصطفى السؤال الذي تمنت أن تسأله، أرهفت السمع لتعرف الإجابة: مين دي يا أحمد؟

صرح بلا إهتمام يذكر: دي باريهان منصور .. خطيبة أكرم

شعرت مرام أن أحدهم قد سكب شلالا من الثلج فوق رأسها، صُدم مصطفى: خطيبته؟ .. ودا من إمتى إن شاء الله ؟

نظر إليه أحمد فيما يضع هاتفه المحمول بجيب بنطاله: مش رسمي .. أتكلم مع باباها وأتقدم، بس لسه الخطوبة الرسمي متأجلة لحد ما يرجعوا من السفر؛ عشان كانت ف باريس مع أهلها

– اااااه .. بس شكل أكرم مش مهتم بيها وإلا كان قالي عنها، دا ما جابش سيرتها خالص

– يعني .. سيبك هو واحد عاقل وواعي .. يعرف مصلحته كويس

حدثت مرام نفسها وقد تملكها الإحباط: مصلحته ؟ بقى هي دي مصلحته ؟

خاطب أحمد الجميع: يلا نطلع إحنا لحد ما يجوا

وافقه الجميع وصعدوا تباعا، جلست هند على أريكة انتصبت أمامها منضدة صغيرة حيث أشار لها أحمد بوجود بعض الأعمال يمكن إنهاءها قبل وصولهم إلى الغردقة؛ فيصبح لديها متسعا أكبر من الوقت لكي تنال قسطا من الراحة.

تجاورت الشقيقتان الأخريتان لكن مرام فضلت الجلوس جوار النافذة حتى تراقب وصول أكرم وخطيبته الموقرة بينما جلس مصطفى على الجهة المقابلة حتى تتاح له فرصة مراقبة فريدة.

أنضما إليهم بعد دقائق، أضطر أكرم للجلوس بجانب بريهان وأمامهما جلس مصطفى وحيدا دون مجاور، شرعت باريهان في رواية ما مرت به أثناء تواجدها في باريس بداية من المكان الذي مكثت به مرورا بمن قابلتهم هناك حتى ما أبتاعته من الأسواق الباريسية.

لم يكن يرهف السمع لما تقوله فجلّ ما كان يفكر به هو رد فعل مرام إذا علمت بأنه سيخطب باريهان عما قريب، أفاق لنفسه متسائلا لما يهتم برأيها ويخشى من رد فعلها، هي مجرد طالبة وعاملة تحت يديه ليس أكثر.

كانت شاردة تتطلع من النافذة إلى الهواء العاصف نتيجة تأهب الطائرة للإقلاع، كانت في حالتها الطبيعية ستتلهف إلى إلتهام كل شبر يمرون فوقه، يصعب أن يفصل أحدهم وجهها عن النافذة لكن في شرودها هذا فالأمر يختلف، كانت تفكر أيحب بريهان أم لا ؟

حفزتهم فريدة: يا ريت الكل يقول دعاء السفر

شكرتها هند: كويس إنك فكرتيني، كنت هأنسى

سخرت منها باريهان: دعاء إيه ؟

كتمت مرام ما باستطاعتها من غل: دعاء السفر .. إيه أول مرة تسمعي عنه ؟ .. مع إنك المفروض جايه من سفر

أطلعتها باريهان بعدم اهتمام: بأسافر كتير من غير دعاء السفر دا

نظر مصطفى لفريدة يحثها على قوله: طب قوليه وإحنا نقوله وراكي، عشان أنا مش حافظه

أومأت فريدة موافقة: ماشي .. الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر .. سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين .. وإنا إلى ربنا لمنقلبون .. اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى .. اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده .. اللهم أنت الصاحب في

السفر والخليفة في الأهل .. اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبه المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل.

ردد الجميع الدعاء خلفها، ثم عقب مصطفى: يعني إيه وعثاء يا فريدة ؟

شرحت: وعثاء يعني تعب ومشقة السفر

حرك مصطفى رأسه صعودا وهبوطا: قولتيلي بقى .. منكم نتعلم

كتمت ضحكتها وأدارت رأسها إلى الجهة المعاكسة حتى تتفادى النظر إلى وجهه، لاحظت شرود مرام المشوب بالحزن، وضعت يدها فوق ذراعها متسائلة في قلق: مرام.. فيكي حاجه ؟

حركت مرام رأسها تخرج من عواصف أفكارها: ها ؟، لا مافيش .. بس المنظر من هنا حلو

أيدتها فريدة باسمة: سبحان الله

قبض مصطفى على جمجمته بين كفيه صارخا: يـــووه .. مش عارف أنام، لوك لوك لوك لوك من ساعة ما ركبنا .. صدعت، نفسي أنـــام

ضربه أكرم بالوسادة الصغيرة المخصصة لكل راكب؛ بغية إراحة الرأس فوقها إذا فضل القليل من النوم: خـــــلاص، إيه .. فضيحة واشتغلت يا ربي ؟؟، بالع راديو

صفعه مصطفى بالوسادة في وجهه كما لو كان يغرقه في قالب من الكيك: بقى أنا اللي بالع راديو ؟، باريهان لو سمحتي ممكن تأجلي الكلام دا لحد ما نوصل وبعدين كلي ودانه براحتك .. قصدي كليه كله مش مهم .. بس بعيد عني

ضحكت باريهان بدلال زائد: داكوغ يا مصطفى

لوت مرام شفتيها في عدم تصديق لتلك الرقة، قالت في نفسها بينما أعينها معلقة بها: داكوغ يا بنت بارم ديله .. شكلك مسهوكه كدا ف نفسك وهتتعبيني معاكي، ربنا يستر

استرخت في مقعدها وبسمة تنير وجهها، شعرت أن كلمات مصطفى قد أخذت لها القليل من حقها وشفت بها جزء من ضيقها، لولا أن مصطفى يحب شقيقتها لكانت الآن تقفز لتضمه سعيدة بما فعله لتلك المرفهة من حرج وإن كانت لم تتأثر به.

***

كانت هند قد حجزت في وقتٍ سابق غرفة تضم ثلاثتهن، وأخرى تضم الرجال كما طلب منها أحمد بعد إصرار مصطفى على ذلك، لم يكن من المتوقع قدوم بريهان فكان عليها الإنتظار حتى يتم حجز غرفة من أجلها.

تم الإتفاق على الصعود وأخذ قسط من الراحة ثم يلتقون مجددا في مطعم الفندق حتى يتناولون الغداء سويا، مالت باريهان على أكرم بغنج: كَركَر .. تعالى نتمشى

صاحت بها مرام داخليا: كركر ف عينك، دلعك ماسخ زيك، إنتي بتدلعي شيشة يا وليه .. إيه القرف دا، وأنت ساكتلها ليه يا .. كركر، جاتكوا القرف أنتوا الإتنين .. ماليتوا البلد

استدار أكرم إلى خطيبته مستفسرا: ما تعبتيش ؟ مش هترتاحي ؟

حدقت باريهان بعيونه: وأنا معاك مش بأحس بتعب خالص

هز كتفه بعدم اكتراث: زي ما تحبي، اتفضلي

صعد الجميع إلى غرفهم، ومرام تنظر خلفها على أكرم وباريهان أثناء خروجهما سويا .. إلتفتت إليها فريدة تحثها على التقدم وقبل أن تهمس بكلمة لاحظت نظراتها لأكرم، حدقت بها بعدم تصديق أيعقل أن تحب الفتاة معلمها ؟؟

***

هتفت هند بحماس فيما تستند إلى سور الشرفة مستنشقة الهواء العليل: المنظر م البلكونة يجنن .. أصلا الجو كل على بعضه يجنن

انضمت إليها فريدة: مريح نفسيا

زفرت هند مستمتعة: أوي .. أدي الشغل ولا بلاش

غمزتها فريدة: هههههه ماشي يا عم مكتوبالك

أدعت هند الضيق: قروا بقى

أشارت فريدة بكفها علامة التوقف: لا لو سمحتي .. أنا مش بأقر أنا بأحسد بس

وضعت هند يديها على خصرها: بقى كدا ماشي ماشي

– أه كدا وكدا وكدا .. مرام مالك ساكته ليه ؟

أفاقت مرام على نداء أختها دون أن تسمع ما سبق: هه ؟ .. عادي

توجهت هند إلى حقيبتها وبدأت تفتحها: عايزه أرتب حاجتي بقى

نهضت مرام متجهة إلى باب الغرفة: هأنزل أتمشى شوية وأشم هوا

حثتها فريدة على الذهاب: خلاص أنزلي وأنا هأرتب حاجاتي وحاجاتك

شكرتها بإمتنان: بجد ؟ ميرسي يا فريدة .. سلام

وقفت على الشاطئ قليلا تنظر إلى البحر، أحست براحة كبرى؛ فهواء البحر كأنه نسمة من الجنة تخفف الأوجاع وتكوي الآلام، جلست وضمت ساقيها مستندة فوقها بذقنها، كانت ملامحها هادئة مثل هند وفريدة .. لكنها أقرب للطفولة، ذقنها شبه مدبب وشفاهها رفيعة، عينيها بنية واسعة تنضح بالبراءة، شعر مجعد غجري يؤكد إمتلاكها لنسبة من الجنون فيما شعر فريدة وهند شديد النعومة والإنسيابية، كانت مرام ترتدي الحجاب الآن تُخفي تلك التفاصيل والإختلافات.

شرد بصرها في البحر وعقلها حيث أكرم وباريهان، عادت التساؤلات تُلح على رأسها من جديد، يا ترى أيحبها ؟ أيفكر فيها ؟ يتمناها زوجة له ؟

مستغرقة في أفكارها اصطدمت بها كرة، نظرت إليها ثم على الإتجاه الذي جاءت منه، وجدت شابا يركض ناحيتها فيما يهز رأسه اعتذارا: آسف، بجد آسف

ناولته الكرة متقبلة اعتذاره بابتسامة باهتة: ولا يهمك .. اتفضل

-شكرا .. بس .. تحبي تيجي تلعبي معانا ؟

نظرت له بعدم فهم: أنتوا مين ؟

قدم نفسه إليها: أنا اسمي فريد .. هنا مع صحابي وإنتي ؟

بادلته التعريف: أنا مرام .. مع إخواتي بس هما بيرتاحوا دلوقتي

ابتسم فريد: خلاص تعالي أقعدي معانا، إحنا بنلعب .. بدل ما إنتي لوحدك

في تلك اللحظة .. وقف أكرم بجانبهم، كان يتمشى مع باريهان عندما رأها جالسة، همَّ أن يُكمل طريقه حين وجد فتى يقترب منها ويحادثها، شعر بإختناق وغضب بلا سبب، ترك باريهان تتابع سيرها دون أن يخبرها بشئ؛ فقد كان نظره مصوب على الفتى الذي يقف مع مرام.

سأل ذاته قبل أن يصل إليهما عن نوعِ الحديث الذي جمع بينهما، أنبأه أكرم بلهجة باردة عدائية: هي مش لوحدها يا كابتن

نظرا كليهما لأكرم بعجب، فمن أين ظهر فجأة هكذا من العدم ؟، لوت مرام شفتيها تحدثه في ذهنها: وهانت عليك السنيورة تسيبها وتيجي تشوفني أنا دلوقتي ؟!

ابتسم له فريد: أيوه .. بس شوفتها كانت قاعدة لوحدها

عقد أكرم ذراعيه: وأديني جيت أهو ومابقتش لوحدها

تنحنح محرجا: طيب عن إذنكوا .. أتشرفت بيكي يا مرام، أتمنى أشوفك تاني

أومأت باسمة: إن شاء الله

بعدما سار مبتعدا جلس أكرم بجانبها على الرمال، لعبت أصابعه بحبات الرمل قبل أن يسألها: تعرفيه ؟

أجابته بهدوء: لا لسه متعرفه عليه حالا

– أهـــا

جاءت باريهان وخاطبته مغتاظة: أكرم .. أنت سايبني واقفة وجيت قعدت هنا

ألقت على مرام نظرات تنضح بالكراهية والغيظ، رد دون أن يرفع رأسه إليها: هأقعد شويه ع البحر .. روحي إنتي إرتاحي زي ما كنتي عايزه

استدارت باريهان مبتعدة بغيظ: ماشي زي ما تحب

غادرتهم باريهان وهي تغلي فقد ساءها تركه لها من أجل الجلوس مع مرام، استدارت مرام تنظر إليه متعجبة موقفه: زمانها مضايقه دلوقتي عشان قعدت معايا وسبتها

لم يلقِ بالا لمنطقها: مش مهم

تعجبت: إزاي مش مهم ؟ هي مش دي خطيبتك بردو ولا إيه ؟

استدار إليها مبهوتا: إنتي لحقتي عرفتي ؟

أجابته مترددة: مصطفى سأل أحمد قدمنا وهو قال

أكرم بشرود: أيوه

تجرأت على طرح أحد الأسئلة التي تدور بخاطرها: أنت مش بتحبها ؟

نظر لها أكرم بترقب: هيفرق معاكي ف حاجه ؟

استشعرت الحرج: لا أبدا .. بس أنت قبل كدا كلمتني على لبسي ولو قارنته بلبسها فأنا كنت بألبس محترم جدا

– أنا عمري ما كلمتك على لبسك .. أنا بس كنت باقارن بين تصرفاتك ومظهرك .. لكن باريهان سواء لبس أو تصرفات فالإتنين زي بعض

صعقها اعترافه: طب مادام مش عاجبك .. إيه اللي جابرك ؟

–مش عارف .. كنت بأفكر إن لبسها ممكن مع الوقت أقدر أقنعها تغيره، ما كنتش أعرف تحررها أوي ف التصرفات كمان

سألته وقد دب بين دقات قلبها الأمل: وناوي على إيه ؟

أجابها كأنه يحدث نفسه: هي بتحبني أنا عارف.. بس لسه مش عارف هأعمل إيه

اغتاظت لحديثه الذي لا يوضح نيته في إنهاء ما بينه وبين باريهان جاذبا البساط من أسفل أحلامها لتسقط صريعة رجاءها، هبت واقفة تنفض ما علق في ملابسها من رمال: طب عن إذنك، أنا هأطلع أرتاح شويه قبل الغدا .. وبالمرة أسيبك تفكر برحتك .. سلام

خلفته وراءها وسارت في إتجاه الفندق، هتف بصوت عالٍ: أنا قولت حاجه ضايقتها ؟

حدق في ظهرها وتذكر أول مرة رأها عقب الحادثة التي صارت في مكتبه، لقد أتت اليوم التالي مرتدية الحجاب، توقفت عن إرتداء ما هو ضيق وملفت للأنظار، فحتى وإن إرتدت بنطالا كان يبدو في إتساع تنورة فلا يظهر من ساقيها أي تفصيل.

شعر بأن نظره قد طال فوقها، غض بصره مسرعا ودفنه بين كفيه، تذكر قول رسول الله –صلَّ الله عليه وسلم– عن برديه رفعه "يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى .. وليست لك الآخرة".

عادت أفكاره لبريهان وما المناسب لكي يفعله، يعلم تعلقها بالأشياء وأنها لا تسمح بأحد أن يتركها أو يأخذ ما تريده، لكنها حياته بالنهاية وله مطلق الحرية في الإختيار.

الفصل الحادي عشر

حَلَ وقت الغداء، اجتمعوا جميعا ليتشاركوا الوجبة، وبعد أن طلب كل فرد منهم ما يريد تناوله جلسوا يتلهون بالحديث حتى يحضر الطعام، يتحدثون في أمورٍ شتى.

وجه أحمد أمره إلى معاونته: بكره الصبح الإجتماع الأول الساعة عشرة، بس من تمانية ياريت تكوني ف الريسبشن؛ عشان هنتفق على حاجات ونظبط شوية ورق قبل الإجتماع

أومأت هند طائعة: حاضر

استفسر أكرم من أخيه: هو الشغل هياخد وقت كتير ؟

هز أحمد كتفيه إشارة إلى عدم معرفته تحديدا: يمكن أه ويمكن لا .. حسب ما نقنعه

تدخلت باريهان فضولا: مع مين الصفقة المرة دي يا أحمد ؟

أجابها بلا إهتمام: مع توفيق السلحدار

أنفجر مصطفى ضاحكا: إيه الاسم دا ؟!، دا من أيام خالته نازلي

غمزه أكرم مذكرا: ما بلاش أنت يا بهيج

نظر إلى فريدة وهو يجيب على صديقه: بهيج بهيج .. أنا حبيت اسمه أوي من ساعة ما عرفت إنه زميل مهنة

تساءلت مرام بعدم فهم: بهيج مين ؟ هو مش اسمك مصطفى؟

أوضح لها أكرم: اسمه مصطفى بهيج

قهقهت مرام: بهيج ؟، بهيج يا راجل

نقل أحمد بصره بين مصطفى ومرام معلقا: توأمك أهو يا مصطفى .. نفس العينة.. اتلموا على بعض بقى وريحونا

اشتعل أكرم غضبا، أغاظه أن يربط شقيقه بين مرام ورجل آخر حتى وإن كان صديقه المقرب، تدخل مظهرا حديثه كأنه دعابة: لا يا عم، إحنا عايزين نقضي ع النسل دا .. مش نزوده

ثارت مرام مدافعة: ليه ماله الهزار ؟، دا حتى المصريين معروفين بخفة دمهم .. إنما أنتوا واخدين الجنسية رخامه وخلاص .. نكد

لوت هند شفتيها استهجانا: يا شيخة اتنيلي، بقى إنتي دمك خفيف ؟؟ أومال اللي دمه تقيل يبقى شكله إيه ؟؟

هتفت بها فريدة: لا لا حرام عليكي يا هند .. مرام دمها خفيف فعلا ما تظلمهاش

تعلقت مرام بذراع شقيقتها: أيوه كدا يا ناصفني

تابعت فريدة كلامها: دمك خفيف لدرجة إنه ما بقاش في دم أصلا

انتفضت مبتعدة عنها بغيظ: بقى كدا .. وأنا اللي قولت إنك هتقفي ف صفي

مازحتها فريدة: أنا لو مكانك أقف ف الصف .. يمكن حد يتبرع بشوية دم ولا حاجه يعوض النقص دا

ضحك مصطفى ثم وجه حديثه لفريدة لائما: ما إنتي طلعتي أهو بتحبي تهزري وتاخدي وتدي ف الكلام، أومال على طول مصدره الوش الخشب ليه ؟

نظرت له نظرة ذات معنى: كل حاجه لوقتها .. ومش بأهزر مع أي حد على فكرة

غمزها مغازلا: يا تقيل أنت يا جامد

همت فريدة بالذهاب وقد أثار حديث مصطفى حفيظتها: لو سمحت احترم نفسك، وياريت تكلمني بأسلوب غير دا

أسرع أحمد يصلح ما أفسده حديث مصطفى المتهور: معلش يا آنسة فريدة، هو مصطفى كدا لما بيفتح ف الهزار مش بيقف

نظر إلى أحمد مغتاظا ثم تحول إلى فريدة ببسمة تأسف: قطر بعيد عنك .. آسف، ممكن تقعدي بقى ؟

حثتها مرام حتى تعاود الجلوس: خلاص يا فريدة أقعدي بقى .. قلبك أبيض

جلست مرة أخرى وتابعوا الحديث والمزاح بينما تتابع فريدة نظرات مرام التي تتعثر فوق وجه أكرم كثيرا، واستطاعت ضبط إحدى نظرات أكرم لشقيقتها، شردت مفكرة فيما يحدث ناسية نظراتها فوق أكرم .. لاحظ مصطفى ذلك فشعر بالغيظ يفتك به والغيرة تنهش أعصابه.

طوال الوقت باريهان صامتة لا تتحدث، لا يعجبها الحديث أو يجذبها لأنه غير متمحور عنها وعن جمالها، حتى أكرم لم يعد مهتما بها منذ فترة لكنها لن تتركه ليس حبا به بل حبا في مكانته ومركزه وتمني العديد من زميلاتها في النادي بالحصول على مثيل له؛ استلذت نظرة الحسد في أعينهن، تذكرت عندما أخبرتها إحداهن وجه الشبه بين وبين الممثل الهندي "شاهد كابور" الذي يخطف أنفاس العديد من المعجبات وقلوب الفتيات.

أثناء إندماج الجميع في أفكاره الخاصة أو الحديث الدائر، أتى فريد ملقيا السلام على الجميع ثم وجه كلامه إلى مرام قائلا بابتسامة: إحنا رايحين نتمشى ف الغردقة شويه تحبي تيجي معانا ؟

تدخل أكرم بسرعة قبل أن تجيب مرام: لا مش هينفع، دي أمانة وما ينفعش نسيبها تخرج معاكوا لوحدها .. إحنا شويه وهنقوم كلنا نتمشى .. ما تتعبش نفسك

خاب أمل فريد: طيب .. أشوفك بعدين يا مرام، سلام

بعدما غادر نظر الجميع إلى أكرم خصوصا باريهان وكانت في أشد حالات غضبها؛ بسبب تدخله في حياة أخرى أمام الجميع بهذا الشكل دون أسباب واضحة، فعلاقته بها لا تصل لتلك الدرجة.

ذهب أحمد لكي يجيب على هاتفه تاركا التوتر يكاد يصرخ محطما صفاء الأجواء، وصل الطعام وتم وضع كل طبق أمام طالبه، لكن كل ذلك لم يؤثر في التوتر المحيط.

ضحكت هند لتقليل التوتر: دا طلع اسمه فريد، مش بيفكرك بحاجه يا فريدة ؟

شاركتها مرام الضحك: أه صح تصدقي ماخدتش بالي

زمت فريدة شفتيها: اتريقوا اتريقوا، ماهو أنا اللي استاهل أني ساكتلكوا

غمزتها هند متعمدة إغاظتها: فريد وفريدة ... كابل رائع هههههههه

لكنها لم تنجح سوى في إغاظة مصطفى وبإمتياز: كابل دمه تقيل .. إيه الحكمة يعني إن إتنين يبقوا بنفس الاسم ؟ .. فين التغيير؟

لاحظت مرام غيرته فتمادت أكثر: لا لا دي هتبقى أحلى كتير .. لو نسيت اسمه تفتكر اسمها وتشيل تاء التأنيث وخلصت المشكلة هههه

قطب مصطفى: لا بردو رخمه أوي الحركة دي

عقب أكرم على تأثره بالحديث: ما تقلقش أوي كدا، دا حتى أنت اسمك مافيش منه مؤنث ريح بالك ههههه

ضربت مرام جبهتها بباطن يدها: أوبس، نسيت اسأله عن اسم دلعه يمكن نحل مشكلتك يا فريدة

التفت أكرم إلى مرام بحنق: وإنتي مالك ومال اسم دلعه ؟

أوضحت له: أصل فريدة مش بتحب اسم دلع فيري لإنه شبه مسحوق غسيل المواعين هههههه، فمش عارفين ندلعها .. ففكرت اسأله يمكن يعرف

ضاقت عينا أكرم معلنة الخطر: ليه هو إنتي ناويه تقابليه تاني ولا إيه ؟

نظرت له بجدية: أقابله أو لا .. دي مشكلتي لوحدي وما تخصش حضرتك ف حاجه

غضب أكرم من تصريحها بالحقيقة أمامه بلا تردد: لا يخصني، مادام إنتي عايزه توصلي للي حصل عندي ف المكتب تاني .. يخصني لإني مش كل مرة هأبقى موجود يا .. آنسة

أضاف الكلمة الأخيرة متهكما، جعدت هند جبينها مستفسرة: هو إيه اللي حصل ف المكتب؟

لكزه مصطفى بمرفقه: ما تلم الدور يا عم أكرم .. ما يصحش كدا

نهضت مرام من فوق مقعدها تحاول السيطرة على رغبتها المستمية في البكاء، هتفت به بعصبية شديدة: والله أنا ما طلبتش من حضرتك تدخل ولا تدافع عني

كذلك نهض هو وخاطبها بنفس النبرة: والله لو كنت أعرف إنه عجبك .. كنت سبتكوا تشبعوا ببعض

لم تستطع أن تسيطر على نفسها أكثر، لم تشعر بيدها فيما ترتفع ثم تهوى على وجهه مخلفة أثرا واضحا فوقه ثم ركضت مسرعة إلى حجرتها في حين ألجمته الصدمة لكن فجأة انصرف إلى الخارج مهرولا.

صعدت هند وفريدة خلف مرام، بقيت باريهان جالسة وعلى وجهها ابتسامة سعيدة بما حدث منذ لحظات، عاد أحمد بعدما أنهى إتصاله وتابع مغادرة الجميع للمطعم دون معرفة ما حدث، تعجب وسأل مصطفى: هو حصل إيه ؟

نظر إليه مصطفى رافعا حاجبيه: تصدق إنك رايق، تعالى تعالى أحكيلك؛ لإن أكرم دلوقتي لو روحت وراه هيرد القلم ليا أنا

قطب أحمد نتيجة معرفته لما حدث بدقة: قلم إيه ؟

قهقه مصطفى ناهضا من مقعده، سحبه من ذراعه إلى الخارج: ما أنا بأقولك تعالى أحكيلك

غادرا ليروي له مصطفى ما حدث، تاركين باريهان مع سعادتها تتناول غداءها بشهية لم تكن موجودة عندما كانت الأجواء مملوءة بالمزاح والمرح.

***

كانت ممدة فوق فراشها تخفي رأسها أسفل الوسادة تبكي بحرقة وقد ارتفع صوت نحيبها، جلست هند بجوار قدميها تربت عليها بهدوء وتحاول أن تمتص وجعها، حدثتها بحنان منزعجة من حالتها: خلاص إهدي بقى .. يا فريدة ما تتكلمي، قولي حاجه

لم تجب فريدة وظلت تنظر من أبواب الشرفة المغلقة إلى البحر معقودة الذراعين، توغل في بحار أفكارها غير واعية لمن يتحدث إليها.

وحدت هند ربها وهي تقلب كفيها: أنا هالاقيها منك ولا من اللي مفحوته عياط دي ؟

دق جرس الهاتف الخاص بالحجرة، نهضت هند تجيب عندما لم ترَ بادرة من فريدة بالمناوبة عنها في ذلك حتى، قبل أن ترفع السماعة انتفضت من صراخ مرام: مش عايزه أكلمه، مش عايزه أسمع منه حاجه

هدأتها هند متيقنة من أن المتصل ليس أكرم، يبدو أن شقيقتها نسيت الصفعة التي قد تدفع بأي خيالات عن إتصاله بعيدا: طيب طيب .. إهدي بس

أجابت هند: السلام عليكم .. خير يا أستاذ أحمد

كانت رأس مرام قد خرجت نسبيا من أسفل الوسادة لتستمع إلى الحديث لكنها عاودت دفنها مرة أخرى مكملة النحيب بعدما سمعت أختها تنطق باسم آخر.

استغربت فريدة أن يكون إتصالا من أكرم لكن ما إن علمت أنه أحمد حتى عادت لشرودها ونظرها في إتجاه البحر غير مهتمة بمتابعة الحديث أو معرفة سببه.

ختمت هند حديثها قبل أن تضع السماعة مكانها: طيب.. حاضر.. جايه حالا

عقب إغلاقها الخط وجهت الحديث لكلتا أختيها: أنا مضطرة أنزل عشان في ورق هأظبطه مع الأستاذ أحمد، المعاد أتقدم الصبح ومش عايزني أصحى بدري أوي عشان الشغل، ف هأنزل وأجي

تابعت محدقة في جسد أختها الممدد: تكوني هديتي كدا يا مرمر، هــا !

وأضافت ملتحقة بجوار فريدة: وإنتي فريدة خلي بالك منها

هزت فريدة رأسها صعودا: روحي إنتي شوفي شغلك وماتقلقيش علينا

غادرت هند مطمأنة إلى حكمة فريدة وأنها ستقدر على إفاقة الأخت الصغرى من حالتها، ألقت نظرة شفقة على حال أختها غير مستوعبة كل ما حدث منذ قليل ثم أغلقت الباب خلفها.

اتجهت فريدة إلى السرير بجوار مرام: هتفضلي تعيطي لحد إمتى ؟ .. اللي حصل حصل خلاص وعياطك مش هيحل حاجه

أجابتها وما تزال مخفية وجهها: أومال عايزاني أعمل إيه يعني؟ هــــا؟

عضت فريدة باطن وجنتها وعقدت ذراعيها قبل أن تقول بهدوء: إنتي لما لاقتيه بيتعصب من فريد وحسيتي بشرارة الغيرة زودتيها أكتر، من غير ما تعرفي إنه أصلا مولع مش محتاج ولا نقطة بنزين زيادة

توقفت مرام عن البكاء ورفعت رأسها إلى فريدة، همهمت غير مصدقة: بيغير؟

غمزتها ساخرة: عايزه تقنعيني إنك ما قولتيلوش ما يخصكش بس لمجرد إنك عايزه تسخنيه قدام باريهان عشان يتهور ويقولك بحبك ؟، وإن عصبيتك اللي طلعت فجأة لمجرد إنه أدخل بس مش لإنه ما قالش الكلمة اللي إنتي كنتي تتمني يقولها ؟

جلست مرام قرفصاء فوق سريرها منصتة إلى حديث أختها: وإنتي إيه اللي خلاكي تفكري كدا ؟ و هأستنى منه الكلمة دي ليه ؟

أجابتها ببساطة: عشان إنتي بتحبيه ومستنيه نفس الشعور منه، أومال إنتي ليه أشتغلتي معاه بالرغم إنك مش محتاجه شغل وطول عمرك بتقولي أنا مش هأشتغل أنا هأخلص كلية وأقعد ف البيت، فاكراني عبيطة ومش فاهماكي ؟، أنا فاهمة كل حاجه بس كنت مستنيه إنك إنتي اللي تيجي تحكيلي لكن لما لاقيت إن مافيش فايده حبيت أكلمك أنا يمكن تتشجعي

رمت مرام بنفسها بين أحضان فريدة تبكي: هأقولك على كل حاجه من الأول .. عشان أنا تعبت ومش قادره أخبي أكتر من كدا

هدهدتها فريدة وشجعتها على الحديث: ماحدش قالك خبي .. وأنا عمري ما هأذيكي، أنا خايفه عليكي

بدأت مرام تحكي لفريدة عن مشاعرها لأكرم التي لا تعلم كيف بدأت ولما هو بالأخص لكنها حدثت، وأسباب تقدمها للوظيفة حتى تجعله يشعر بها وتتقرب منه، أخبرتها كذلك أنها تبعث له برسائل وكانت توقع أسفلها باسم "الفتاة المجهولة"؛ كانت تعبر فيها عن كل ما تشعر به تجاهه، لكنه أبدا لم يعلم من تكون ولم يتوقع أنها تلك الفتاة.

حكت لها عما حدث من فرج ورد فعل أكرم وما فعله بذلك الوضيع من ضرب وصولاً لطرده من عمله بوعد بعدم الشكوى عليه لدى الشرطة، وكيف جلس بجانبها يعينها على ما حدث ويرشدها بكل هدوء، حبه الذي يزيد كل يوم في قلبها.

بعدما ختمت مرام قصها، علقت فريدة: يـــاه، كل دا ف قلبك ومخبيه عليا ؟

مرام بخجل: إنتي عارفه أنا بحبك قد إيه بس الموضوع دا ما قدرتش أفاتحك فيه، عشان عارفه إنك هتقوليلي غلط وما ينفعش .. وإني أطلع الموضوع دا من دماغي

لامتها فريدة بنظراتها أكثر من الكلمات: ما دام عارفه إنه غلط ما بعدتيش عن الغلط ليه يا مرام ؟

دفنت وجهها بين كفيها باكية: والله حاولت، حاولت كتير أنساه .. بس ما عرفتش، حاولت أطلعه من دماغي لاقيته بيدخل فيها أكتر، حاولت ما أفكرش فيه .. بردو ما قدرتش، شغلت نفسي بحاجات كتير، ما نفعش .. صدقيني والله حاولت حاولت

– طب ما طلبتيش من ربنا يخرجه من عقلك وتفكيرك ليه ؟

نظرت مرام إلى يديها في صمت، أكملت فريدة: أقولك أنا ليه .. عشان إنتي من جواكي مش عايزه تخرجيه

رفعت نظرها إليها: إنتي على طول فهماني كدا ؟

لاح شبح ابتسامة على ثغرها: مش أختي ؟ وأنا اللي كنت مكبراكي على إيدي .. بس يظهر إني غلطت غلط كبير

ضمتها مرام بقوة باكية: لا لا لا ما غلطيش .. ما تزعليش مني يا فريدة إنتي أغلى حد عندي

دفعتها قليلا لتستطيع رؤية ملامحها: يعني أغلى من أكرم ؟

جلست باستقامة متنهدة: إنتي حاجه وهو حاجه .. بس أيوه إنتي أغلى منه .. ع الأقل أنا عارفه إنك بتحبيني قد إيه .. بس هو مش عارفه إذا كان بيحبني أصلا ولا ..

ربتت على شعرها بحنان: بيحبك

صدمتها الكلمة: قولتي إيه؟

ابتسمت: قولت بيحبك .. أكرم بيحبك يا مرام

سألتها بسعادة: وإنتي عرفتي منين ؟ هو قالك ؟

هزت رأسها: لا ما قاليش بس لما شوفت نظراتك ليه أما وصلنا وكان خارِج مع باريهان عرفت إنك بتحبيه فقررت أتابعه عشان أعرف هو كمان بيحبك ولا لا .. وعرفت إنه بيحبك

نهضت ونسيت كل ما حدث بل وتجمد دمعها على خديها، صارت تقفز في الهواء وتجذب فريدة معها : بيحبني .. يعني بيحبني .. بيحبني

أوقفتها بنظرات صارمة: بس خاطب .. يعني ما ينفعكيش

حزنت ولكن فجأة هتفت بفرحة: بس بيحبني أنا، يبقى مش بيحبها، يبقى أكيد مش هيتجوزها

لوت شفتيها: ليه ؟ ماهو خطبها

أومأت مرام: أيوه خطبها من قبل ما يحبني .. لكن دلوقتي هو بيحبني يبقى هيسيبها أكيد

ثارت على سذاجتها: وإنتي إيش ضمنك إنه هيسيبها ؟ .. طب ليه لحد دلوقتي ما سابهاش ؟، يمكن أصلا مش عارف إذا كان بيحبك ولا لا، مش فاهم مشاعره ناحيتك .. يمكن أنا نفسي غلط وهو مش بيحبك .. ليه تعيشي على حاجه يمكن تحصل ويمكن لا ؟ .. ليه تعيشي على أمل خراب حياة واحدة تانية ؟

انهارت متوجسة: قصدك إيه ؟

أدارات وجهها لتتقابل أعينهما: قصدي إنك تطلعيه من دماغك لإنك لو فضلتي عايشه على حلم إن حياة باريهان تتخرب عشان إنتي تعيشي مبسوطه هتفضلي عايشه مع إحساس بالذنب طول عمرك .. ومش هتتبسطي ف الآخر بردو، فالأحسن .. طلعيه من دماغك

انكست رأسها ودمعاتها تتساقط: مش هأقدر

أمسكتها من ذراعيها وهزتها: لا هتقدري، اعقدي النية على إنك هتنسيه .. هتخلي علاقتك بيه شغل وبس .. علاقة بين دكتور والطالبة بتاعته مش أكتر، وكل ما تحسي إنك ضعفتي افتكري حديث الرسول –صلَّ الله عليه وسلم– "ما ترك عبدُ لله أمرا لا يتركه إلا لله إلا عوضه الله خيرا منه في دينه ودنياه" .. سيبيه عشان ربنا، ولو ليكي نصيب فيه هيجيلك لحد عندك .. أديكي شوفتي فضلتي وراه كتير من رسايل لشغل لأسئلة كل دا ما أداكيش ريق ولا حس بيكي، عمرك فكرتي ليه ؟ .. عشان ربنا مش راضي عن طريقتك، عشان ربنا مش عايزكوا لبعض .. سيبك بقى من البني آدم وروحي للي خلقه .. أدعي وقولي يا رب أرزقني إياه ف الحلال .. في رضاك

ضمتها بقوة: هأعمل كدا وهأرضي ربنا وهأبعد عنه مادام ربنا مش راضي عني كدا، هأعمل كل اللي قولتيه .. ربنا يخليكي ليا يا أحن وأجمل أخت ف الدنيا دي كلها .. بجد يا بخت ولادك بإنك هتكوني أمهم هيكونوا محظوظين أوي

شعرت فريدة أن الحديث أنتهى، فقد اقتنعت شقيقتها، حولت محور الحديث الذي طال: هههههه طب خدي نفسك الأول، وبطلي بكش بقى وأدخلي أغسلي وشك كويس وأتوضي وصلي .. يمكن تعقلي وتبطلي الجنان دا شويه

قبلتها: أمـــووه حاضر، يلا سلامو عليكو بقى، ما أعطلكيش عندي معاد مع ربنا مش عايزه اتأخر

فتحت هند باب الغرفة ودلفت تسمع جملة مرام الأخيرة حركت أصابعها بجانب رأسها في حركة دائرية: يا نهـار، البت مخها لسع، من شويه مفلوقه عياط ودلوقتي بتهزر، لا حول ولا قوة إلا بالله .. يا مثبت العقل والدين يـــا رب

قهقهت فريدة: سيبك منها دلوقتي، المهم خلصتي شغلك ؟

أومأت فيما تجلس على أقرب مقعد: أه خلصته .. صحيح أحمد قالي إننا نجهز كلنا عشان هنخرج نتمشي ونشتري حاجات لو عايزين وإحتمال نتعشى برا

– إمممم طيب، هأروح أغير هدومي بقى

– وأنا هادخل أخد شاور

خرجت مرام من الحمام ودخلته هند، أرتدت إسدالها وبدأت في الصلاة خاشعة تدعو خلال سجودها وتطيل فيه أن يجمعها بحبيب قلبها في أقرب وقت بالحلال.

***

توجهت الفتيات إلى استقبال الفندق حيث ينتظرهن البقيةن وأكرم بعدما هدأ وعلم أنه كذلك قد اخطأ كثيرا وباريهان ملتصقة به، التفتت مرام إلى فريدة في المصعد تسألها: وأنا هأعمل إيه بقى لما أشوفه بعد القلم اللي سكعتهوله دا ؟؟

قهقهت هند مصعوقة: ههههه سكعتهوله؟! .. يخرب بيت ألفاظك يا شيخة

قطبت مرام: أطلعي إنتي منها بس وهي تعمر

أدارت هند ظهرها: ماشي ياختي، قال سكعتهوله قال

أجابتها فريدة: ولا أكن حصل حاجه

حدقت هند بها غير مصدقة: نعم، دا كل المطعم سمع صوت القلم

هزت فريدة كتفيها: بس هو غلط .. تجاوز حدوده، دا مش من حقه

ابتسمت مرام مستمتعة: أيوه .. يستاهل

وصل المصعد وتوجهن حيث كان يقف الجميع، بعد التحية التي خلت من أي إشارة لما حدث وقت الغداء، غادروا الفندق لمشاهدة الغردقة عن قرب.

تجاهلت مرام وجوده ولم تنظر إليه مما جعله يتعجب من تصرفها؛ لقد أخطأت في حقه ومع ذلك هي من تعامله بجفاء.

أثناء التسوق، أمسكت فريدة أحد التماثيل على شكل فيل هندي، وقف مصطفى جوارها وهمس مازحا: إيه .. المهنة وحشتك أوي كدا ؟

وضعت التمثال مكانه: هاهاهاها خفة

– طول عمري .. أول مرة تعرفي ولا إيه ؟

أمسكت تمثال أكبر مهددة: مصطفى، أمشي من وشي، بدل ما أخبطك بالتمثال دا وأخلص

صاح بسعادة: أخيرا سمعت اسمي من الشفايف العسل دي

استدارت بعيدا عنه وسارت غاضبة بعدما قرعته: احترم نفسك يا أستاذ مصطفى، لأحسن والله ما هيحصل خير وساعتها بقى ما تلومش إلا نفسك

أسرع خلفها وقد شعر بغضبها: خلاص خلاص .. آسف، بس بلاش كلمة أستاذ دي لو سمحتي بليـز

ضحكت على تصرفاته الطفوليه: خلاص خلاص، أنت هتعملها على نفسك ولا إيه ؟

غمزها مصطفى: هههههههه ماشي مقبولة منك يا جمـ ....

لم يكمل حيث لاحظ وقوف أحد الأشخاص يتابعهم بغل وحقد واضحين خلف إحدى الشجرات، صرخ هاتفا: هشـــــام .. وديني ما أنا سيبك

أسرع يركض خلفه، عندما سمع أحمد وأكرم هتافه نظروا إلى بعضهم البعض قبل أن يركضوا خلفه قال أحمد للفتيات: خليكوا هنا .. هنرجعلكوا

أكملوا اللحاق بمصطفى بينما الفتيات وقفن معا مستغربين ما حدث، غير مصدقين أن هشام هنا معهم، كيف أتى إلى هنا والأهم لماذا ؟

بعد فترة ليست بقصيرة عاد الثلاثة وهم يلهثون من التعب وكثرة الركض الذي ضاع هباء، لم يستطع أحد كسر الصمت فقط ظلوا ينظرون لبعضهم حتى تحدثت مرام متسائلة: مسكتوه ؟

كانت كلمه واحدة ولكنها كفيلة بزرع التوتر أكثر في الجو المحيط بهم، أجاب أكرم: لا ما لحقناهوش، ضاع ف وسط الزحمة

أضاف أحمد: ماكانش لوحده .. كان معاه واحد تاني

تساءلت هند: طب إيه اللي جابه هنا ؟

نظر مصطفى بأعين مليئة بالشرار لفريدة: قصدك جاي ورا مين

لاحظت فريدة نظراته: قصدك إيه ؟

سألها مصطفى بغيرة لكنها رأتها إتهاما: قصدي إيه اللي بينك وبينه يخليه يجي وراكي لحد هنا ويراقبنا من بعيد ؟

ردت فريدة بهدوء استغرب له الجميع؛ فقد توقعوا رد فعل شبيه برد فعل مرام على كلام أكرم الذي يشبه حديث مصطفى الآن كثيرا: لو كان في حاجه بيني وبينه زي ما بتلمح حضرتك كان زماني دلوقتي معاه وبأتمتع بالفلوس اللي سرقها منك، أخرج معاه زي ما أنا عايزه ومش هيهمني أنت ولا غيرك؛ لإنه مافيش حاجه تثبت إني سرقت حاجه، هأقول إني ما أعرفش إن الفلوس مسروقة وخلاص كدا طلعت منها .. ليه بقى ما تقولش إنه جه وراك أنت ؟ .. ياريت ما تلزقهاش فيا

تعجب: ويجي ورايا أنا ليه ؟

ردت بنفس الهدوء: عشان يعرف حركاتك ويستعد لكل خطوة ممكن تعملها ضده .. مشكلتك إنك فاكر كل الناس أغبيه وأنت الذكي اللي فيهم يا أستاذ مصطفى

ضغطت بشدة على أخر كلمتين نطقت بهما، سارت وتركته يقف بالخلف، لحقت بها أشقتها بينما تضايق من نفسه، هي محقة في كل كلمة، كل ما فعله لم يكسبه إلا جعلها تعيد بناء الحواجز بينهما وأولها كلمة "أستاذ" التي عادت تظهر في الأفق.

وضع أحمد يده فوق كتف مصطفى: يلا نلحقهم عشان ما نتوهش من بعض

أومأ مصطفى: يلا

مازحه أكرم: بس تصدق معاها حق هههههههه

مصطفى بغضب مكتوم: ما المشكلة إن معاها حق !

– هههه يا عيني يا عيني

نظر له مستغربا: إيه ؟

فسر أحمد موقف شقيقه: أصلك أول مرة تقول إن في "بنت" معاها حق

غمزه أكرم: لا ما أصلها كدا مش أي بنت يا أبو حميد

حثوا الخطى حتى وصلوا إلى الفتيات، بريهان كانت تقف بالقرب من الشباب لكن عندما لمحت عدم إفتقادهم لها وأن أحدا لم يسأل عنها أدارت ظهرها لهم وقررت إكمال تسوقها.

***

ميناء رُص بمحازاته عدة سفن، أغلبها للسياحة وتوفير وسيلة نقل لمن أراد ممارسة هواية الغوص أو الصيد، كذلك تنظم دورات لتعليم من أراد مزاولة السباحة والغطس تحت الماء.

كانت تحتل أحد الصفوف سفينة ضخمة خُصصت للحفلات التي تُقام في عرض البحر، سطحها كثير الحركة من استعدادات العاملين بها للحفلة المقامة هذا المساء.

البعض يصف المقاعد وأخرين ينظفون سطحها ليصبح لامعا براقا، فيما البعض أنشغل بتجهيز الموسيقى والأغاني كما الطهاة في المطبخ يجهزون أشهى المقبلات.

أما بغرفة في قاع السفينة كان هشام يقوم بتكسير كل ما تقع عليه عيناه ويداه، يُفرغ ما بداخله من غضب وحقد.

تناول سعد من يده كأسا كان على وشك إلقاءه: يا ابني أهدى شويه، مش كدا .. أعصابك

هشام بصراخ: أهدى ؟؟، شوفت قولتلك هيلف يلف عشان يوقعها، أنا عارف دماغه التيت دي .. مش هيسيبها

دهش سعد وسأله بحنق: بقى أنت كل اللي همك البت دي ومش همك إنه كان خلاص هيمسكنا ؟

أمسك هشام بتلابيب قميصه يصرخ به قائلا: ما اسمهاش بت ! .. ماتتكلمش عنها بالطريقة دي .. دي أحسن وأشرف مني ومنك

بادر سعد بإنزال يد صديقه المعلقة بقميصه: خلاص ما اسمهاش بت، أومال أقول عليها إيه ؟

هتف هشام: ما تقولش حاجه، ماتتكلمش عنها أصلا .. دي أنضف من إن سيرتها تيجي على لسان ناس زينا

زم سعد شفتيه الغليظتين: قولتلي بقى ! .. حبيتها إمتى دي يا هشام ؟

شبح ابتسامة يظهر على شفتيه: مش عارف، دي من النوع اللي من أول ما تشوفها وتسمع منها أول كلمه تلاقيها دخلت قلبك من غير ما تستأذن

سرح متذكرا كل المواقف التي حدثت بينهما وابتسامته تتسع تدريجيا حتى افاق على كلام سعد: بس إحنا لازم نختفي من هنا، أكيد هيقلب علينا الغردقة كلها عشان يوصلنا

بتحدي: ولا هيقدر يوصلنا، سيبك أنت .. المهم يلا نروح نشوف صاحبك دا اللي هتموت وتشوفه .. وأنسى الموضوع بتاع سي درش دا لما نشوف أخرته

فكر هشام بأن مكوثه في قاع سفينة بدلا من سطحها سيوفر له الحماية الكافية، لقد ظن أن مصطفى قد نشر اسمه وليس من المستبعد صورته لدى كل من يعرفهم في كل المحافظات لذلك الحيطة كانت واجبة.

أضاف بشيطانه: أعمل حسابك نرجع بدري عشان نشوف المزز اللي هتيجي إنهارده الحفلة اللي فوق، الواحد يفك عن نفسه بالمناظر اللي تشرح القلب

***

وقفوا أمام الاستقبال حتى يحضر لهم الموظف مفاتيح الغرف، قطع الصامت الغائم فوق المكان صوت طفولي يصرخ: كـــــــرومه

التفت أكرم يرى مصدر الصوت، وجد سيف يركض إليه فاتحا ذراعيه، رفعه وألقاه في الهواء عدة مرات قائلا بسعادة: حبيب كرومه، والله ليك واحشه يا سيفو

سمع صوت أنثوي رقيق يعاتبه: هو لوحده بردو يا أكرم ؟

ترك أكرم الصغير وأتجه لوالدته يضمها بشدة: وحشتيني يا نادو

صار عقل مرام على أتم الاستعداد للطيران، كزت على أسنانها حانقة: يعني أخلص من خطيبته ست باريهان، تطلعلي الحاجة أم الواد ؟، إيه هتطلع متجوز كمان يا أكرم، حرام عليك اللي بتعمله فيا دا يا أخي

اقترب أحمد من زوجين يسلم عليهما بالترتيب: أهلا يا بابا، أزيك يا ماما ؟

ربتت صابرين على وجهه: الحمدلله يا حبيبي

شد والده ياسين على يده: أنت أخبارك إيه يا أبو حميد ؟

تقدم أحمد ليعرف البقية عليهم: ماما صابرين وبابا ياسين ودي أختي ندى ودا ابنها الأستاذ سيف و ... إلا صحيح هو فين آدم ؟

أخبرته ندى: آدم جاله تليفون وبيرد عليه

أومأ أحمد متابعا: دي الآنسة هند سكرتيرتي وأختها الآنسة مرام وأختها الآنسة فريدة، وطبعا درش غني عن التعريف

نظرت ندى بتدقيق إلى وجه هند قائلة بتردد: أنا أعرفك صح ؟ .. لتكوني .. هند! .. هند عبدالرحمن المهدي

هند بدهشة: إيه دا ؟ .. ندى ياسين السويفي! .. إزاي ماخدتش بالي ؟

ضمت الفتاتان بعضهما وسط دهشة الجميع ما عدا فريدة فقد تذكرت الفتاة المرحة ندى التي كانت تأتي لزيارتهم باستمرار، وقد قامت صداقة بينها وبين ندى أكثر من التي كانت بينها وبين هند.

شدت ندى في عناقها: وحشتيني مـوت يا مضروبه

ضربتها هند ضربة خفيفة: هههههههه وإنتي أكتر يا أم لسان طويل، مش هيقصر أبدا

قهقهت ندى: لا بينكمش بالبروره ويتمدد بالحرارة

-هههههhe تصدقي إنك جزمه

نظرت ندى خلف هند ثم هتفت: فريدة !، فارودتي حبيبتي

ضمت فريدة ندى كما فعلت منذ لحظات مع هند: وحشتيني يا بت، وحشتني القاعدة معاكوا يا بنات

التفت ندى لمرام باسمة: إنتي أكيد مش هتفتكريني يا مرام، كنتي لسه ف إبتدائي لما كنا أنا وهند ف إعدادي ومتصاحبين أوي على بعض

تنحنح مصطفى: إحم إحم .. إيه يا نادو هتسبينا كدا مش فاهمين إيه اللي بيحصل وتفضلي ترغي كدا كتير

ضحكت ندى: يا شيخ إتلهي، قال وأنت اللي بتتكلم عن الرغي دا لو شافوا المهنة ف البطاقة هنلاقيها بلياتشو

ضحك مصطفى على مزاحها: مقبولة منك يا نادو

استفسرت صابرين: إيه الحكاية يا ندى .. إنتي تعرفيهم ؟

همت ندى بالحديث عندما قاطعها أكرم قائلا: أنا بأقول نكمل كلامنا ع العشا؛ لإننا كنا بنلف ف الغردقة وواقعين م الجوع وأكيد أنتوا جوعتوا بعد السفرة الطويلة دي

شد سيف يديه حول رقبة أكرم: أه يا كرومة أنا جعان أوي

نبهت ندى طفلها: مش قولنا اسمه أنكل أكرم، إيه كرومه دي ؟

أبعدها أكرم جانبا: مالكيش دخل إنتي، أنا متفق معاه على كدا

أخرج سيف لسانه لها: أيوه إحنا متفقين

ضحكوا على سيف ومفاجأته لهم المستمرة، توجهوا إلى مطعم الفندق ليتناولوا العشاء سويا فيما تحكي ندى قصة معرفتها بالفتيات وسر صداقتها مع هند، لكن والدي أحمد أعتذروا عن ذلك فمن عادة والده أن ينام دون عشاء بناء على أوامر الطبيب وشاركته زوجته تلك العادة.

حث أحمد شقيقته على الحديث: يلا يا ندى، أحكي تعرفيهم منين ؟

غمزته ندى: هههه أنت بقيت منهم ولا إيه يا أبو حميد

نظر لهند معلقا: مش لازم أعرف إنتي تعرفي سكيرتيرتي منين ؟

قطبت ندى فجأة: صحيح إنتي سكرتيرته من إمتى ؟

منع هند من الإجابة: قولي الحكاية وبعدين نقولك إحنا الحكاية

استسلمت ندى وهزت كتفيها: حاضر كل الحكاية إني كنت أعرف هند من إعدادي، كنت داخله إمتحان العربي وبأعيط أوي عشان كان في درس نصوص نسيت أحفظه .. وسمعت الصبح من البنات إنه درس مهم وهيجي منه أكيد جزء تسميع ف الإمتحان، بس يا سيدي قوم إيه بقى ؟ .. قوم تيجي هند تطبطب عليا وتهديني وتقولي أنا هأحفظهولك وكان باقي على الوقت نص ساعة ويبدأ الإمتحان .. بس قعدت حفظتهولي زي الأغنية بالظبط .. وجه فعلا ف الإمتحان وبقينا صحاب من ساعتها جدا

ابتسمت هند للذكرى: إنتي اللي كنتي نبيهة ف حفظتيه بسرعة

بابتسامة هادئة ماتزال تحمل الكثير من الإمتنان والعرفان بالجميل: ومن غيرك ما كنتش هأفوق وكنت هأفضل أعيط لحد ما الإمتحان يبدأ

ركز أحمد نظراته فوق هند: هي هند طول عمرها كدا .. متواضعة

خجلت هند من كلام أحمد أكثر من مدح شقيقته، قاطعهم مصطفى وقد ضاق صبره: ممكن كفايه قصايد الشعر دي ف هند، هي ممتازة أنا عارف بس المهم .. أتعرفتي على فريدة إزاي؟

قهقهت ندى: فريدة دي حكاية .. دي الأخت الكبيرة والأم الحنونة والصديقة الصدوقة .. بجد طول عمري بأحسد هند على فريدة، لما كنت بأزور هند ف البيت اتعرفت على فريدة وبقت صحبتي خصوصا لما كانت تحس بزعلي، هي بتحس بكل اللي حواليها واللي بتحبهم خصوصا على طول بتخفف عن الواحد .. لما كنت ف المستشفى ساعة ما كسرت رجلي وجت هي وهند .. قعدت تكلمني وتضحكني كتير هونت عليا، لكن هند طول عمرها جد بتفكرني بيك يا أحمد نفس الطباع سبحان الله

أحرجت هند من كلامها وتلميحاتها غير المقصودة، نظرت لأحمد لترى رد فعله فوجدته يعمق النظر بها فازداد إحمرار وجنتيها ثم نظرت لأسفل متجنبة نظراته النفاذة.

اتهمها مصطفى: هههههههه يعني دمك خفيف أهو .. تقل الدم دا ليا أنا بس ولا إيه؟ .. منتج خاص لعميل خاص ؟

أوضحت ندى طبيعة فريدة: لا، أصل فريدة مش بتتعامل براحه وتبقى على طبيعتها مع أي حد لازم يكون حد تعرفه أوي، الحادثة دي كانت بعد ما عرفت هند بسنتين أصلا ههههه

شعر مصطفى براحة: ههههههه طب الحمدلله العيب ما طلعش مني

أعاد نظره لفريدة فوجد عيونها تحمل نظرة تذكره بما حدث منذ قليل وأنها لم تنسَ إتهاماته إليها بعد مما جعله يخفض رأسه.

استفسر أكرم عن من يخصه أمرها: وتعرفي مرام زي هند وفريدة كدا ؟

نظرت ندى إلى مرام: لا مرام دي دماغ لوحدها .. تلعب معاها تيجي جري لكن وقت المذاكرة بقى الدنيا بتقوم وما تقعدش .. كانت بتطلع عينينا لما بنقعد نذاكرلها هههههه

علق أكرم فيما عينيه تتجولان فوق قائمة الطعام: أه طول عمرها متعبة

ثبتت مرام نظراها فوق الطاولة ولم ترفعه إليه فيما كانت دماؤها تغلي غيظا، زاد هدوءها من ضيق أكرم؛ فلم يعتد ذلك منها، لا يعلم أنها كنت سترد عليه وبشده لكنها تذكرت الآية التي قد ذكرها بها "والكاظمين الغيظ"، لقد أنجته من نيران غضبها.

جاء آدم معتذرا عن تأخره بأنها حالة كان يتابعها، كانت تريد استشارة سريعة، كرر اعتذاراته: معلش أعذروني، بجد أسف

مازحه مصطفى ضاحكا: خلاص يا عم إيه كل الإعتذرات دي .. عرفنا أنك حد مهم

أجابه آدم بجدية: حقك عليا يا عم

بُهت مصطفى: أنت أخدتها على أعصابك كدا ليه ؟ .. بأهزر معاك يا جدع

أطلعه آدم بعصبية: وأنا ما بأحبش الهزار دا

ثار مصطفى للهجة آدم في الحديث إليه: خلاص يا سيدي مش هنهزر معاك تاني، يعني أنا اللي هأموت على هزارك

– أحسن بردو

عاتبت ندى زوجها: في إيه يا آدم ؟، مش كدا، دا مش أسلوب

ثم تابعت ناظرة إلى مصطفى: معلش هو مش قصده حاجه بس تلاقي الحالة اللي جاتله وترت أعصابه شويه

زادت عصبية آدم: أنا مش طفل صغير يا هانم عشان تدافعي عني .. أنا راجل ملوي هدومي وعارف أنا بأقول إيه كويس

نهض سيف من مكانه وركض مغادرا المطعم بل الفندق بأكمله وهو يبكي من صراخ والده على أمه لحقت به مرام حيث كانت أول من لاحظ مغادرته.

عاد أحمد بنظره إليهما بعد أن أطمأن على ذهاب مرام خلف الصغير، صاح بهما: في إيه مش كدا، لو ناسي يا آدم إننا ف مكان عام .. ياريت ما تنساش إن دا طفل وبيحس بالتوتر وبيخاف من اللي بيحصل حواليه، خصوصا لو شاف أبوه بيزعق لمامته

سقطت رأس آدم بين كتفيه: آسف .. مش هتتكرر تاني

أنطلق أكرم يتبع الصغير بينما نهضت هند متحججة بالذهاب للنوم؛ حتى تستعد لعملها في اليوم التالي ومعها فريدة التي مالت تهمس في أذن ندى: لما تحتاجي تفضفضي وتحكي لحد هتلاقيني موجودة

عبرت ندى عن إمتنانها: ماشي .. بكره نتكلم عشان دلوقتي هأروح أشوف سيف

ابتسمت فريدة متفهمة: وأنا قولتلك ف الوقت اللي يريحك

كان مصطفى يتابع ذلك الحوار الهامس فرغم إنخفاض الصوت إلا أن أذنيه استطاعت إلتقاطه، نظر لفريدة بعتاب يحدثها سرا، ومتى تستمعيني لي ودقات قلبي ؟ متى تتركيني أضع رأسي لأريحه فوق كتفك، متى تسمحين لي أن أشعر بحرارة حبك وحنان ضمك ؟

***

ركضت مرام خلف سيف حتى تقطعت أنفاسها، نادته لعله يتوقف قليلا: سيف .. سيف استنى

توقف سيف ينظر لها من بين دموعه، فرغم كل شئ لم ينسَ ما علمته والدته من آداب احترام الأكبر سنا ومقاما: نعم ؟

نزلت لمستواه وجلست على ركبتيها ثم وضعت يدها على كتفه: أنت زعلان ؟

أومأ بحزن: أيوه

سألته فيما تربت على رأسه بحنان: طب تحب نقعد ع البحر شويه ؟

– ماسي

ابتسمت مرام بشدة: يا خراشي على ماسي دي .. زي العسل

بدأ يبتسم قليلا، جلست على الرمال إلى جواره وظلت تحادثه وتمازحه حتى علت ضحكاته وألقى حزنه بين ملح الماء.

كان أكرم قد خرج للبحث عنه لكنه لم يعثر عليه حتى سمع صوت ضحكه ذهب بإتجاه الصوت ورأها كيف تحادثه وتنسيه حزنه.

شعر أن هناك ما ينقصه منذ توقفت عن الحديث إليه والجدال معه، أحس بالحسد يملئ قلبه تجاه سيف؛ فهو يتمتع بمداعبتها ويرى ضحكتها بكل راحة دون أي تحفظ منها فيما تحاول إثارة غضبه بشتى الطرق وأفظعها.

سألها سيف: إنتي اسمك معناه إيه ؟

أجابه وقد اقترب منهما: معناه المطلب أو الهدف

استغربته: وأنت عرفت منين ؟ .. تقريبا ماحدش يعرف معنى الاسم دا

هز أكرم كتفيه: باقرا عن معاني الأسماء، كل ما أقابل اسم مش عارف معناه بأدور عليه

قبضت على حفنة من الرمال وأدعت أن سؤالها سؤال عرضي ولا يحمل ذرة فضول: ومين بقى أول مرام عرفتها ؟

بحث عن عينيها قبل أن يجيبها: مافيش غيرك

ارتبكت من نظرته التي قابلتها فور رفعها رأسها إليه حتى تتأكد من صدقه، تذكرت كلام فريدة فنهضت من مكانها وأخذت بيد سيف لكي ينهض أيضا.

تزمر الصغير: إيه دا .. إحنا هنرجع الفندق دوقتي ؟

حاولت إرضاءه: معلش بقى يا سيف؛ أنا عايزه أنام أنت معاد نومك جه

تناول منها أكرم مسئولية ابن أخته: ممكن تروحي إنتي وأنا هأخلي بالي منه

هزت رأسها موافقة: طيب، تصبحوا على خير

ابتسم أكرم: وإنتي من أهله

هز سيف يده مودعا: وإنتي من أهل الجنة

توقفت ونظرت إلى سيف مصعوقة: أنت جبتها منين الجملة دي ؟

رفع سيف رأسه بفخر: مامي بتقولهالي على طول .. أتعلمتها من واحدة صحبتها

ضحكت مرام: أكيد صحبتها دي فريدة

تعجب أكرم: أشمعنه ؟

فسرت مرام: هههههه أصل دي الجملة اللي بتقولها فريدة على طول

أكرم: أهـــا

تابعت مرام إبتعادها: يلا عن إذنكوا، سلام يا سيف

ردد سيف وهو يلوح بيده الصغيرة: سلام يا مرام

أنخفض أكرم ليحمل سيف ويرفعه فوق أكتافه: يلا نروح إحنا كمان ننام .. ولا إيه رأيك يا عم سيفو ؟

تمسك سيف بخصلات شعر خاله: يلا

جعد أكرم وجهه متوجعا ورفع نظره قليلا لسيف معاتبا فيما يدفع يده بعيدا عن رأسه: يا بني دا شعري مش زرع الأرض .. خف إيدك شويه يا عم سيف، تلاقي مامتك موصياك عليا

أرخى يده من فوق شعر خاله لتلتف حول عنقه بقوة، تمنى لو كممه أحد قبل أن يرفض تشبث سيف بشعره فقد أصبح يختنق ولا يجد شهيقه منفذا للدخول إلى رئتيه.

***

ضربت كومة الملفات بيدها على الطاولة عدة مرات لتتساوى وتصبح على نفس الاستقامة، راقبها أحمد من خلال فتحة الباب النسيبة باسما، أخفى ابتسامته سريعا ودلف عندما شعر بها على وشك الاستدارة.

التفتت فجأة واصطدمت يديها التي تحمل الملفات بجسده فتناثرت الأورق في الهواء ووقعت كيفما اتفق، زفرت بحدة تتأمل الوريقات الأخيرة وهي تهوى أرضا فقد بذلت بها مجهودا خرافيا حتى تكون بهذا الترتيب.

رفعت رأسها تهاجمه فقابلتها إتهامات عينيه، فغرت فمها وما لبثت أن أغلقته لم يعد بها طاقة للجدال، ركعت في صمت تعيد تنظيم الأوراق فيما تقاوم رغبة ملحة تدفعها إلى البكاء مثل أم

قضت النهار في تلميع المنزل ليأتي الأولاد بأحذيتهم المبللة بالطين يدهسون هنا وهناك حتى يضيع تعبها هباء.

أشفق على حالها وكاد يضرب رأسه عرض الحائط لولا ما تبقى لديه من عقل منعه، ركع إلى جوارها يحاول مساعدتها لكنها اكتفت برفع يدها أمام وجهه تشير له بالتوقف ثم رفعت إليه عينها التي أختفت خلف عدسات زجاجية مستطيلة.

أوجعته قطرات الماء المختلطة بالملح، فقط صمت ووقف فقبل أن يعلق أو يعتذر دخل العميل الذي عُقد من أجله الإجتماع، أسرعت تعيد ترتيب الملفات والأوراق كما كانت وأتخذت مكانها خلف الطاولة تتابع الجدال والمناوشات حتى يتم الوصول إلى أنسب العروض لكلا الطرفين.

***

جلست فريدة برفقة شقيقتها مرام تتجاذبان أطراف الحديث فيما تتناولان الفطور سويا بالشرفة أمام روعة المنظر حيث البحر والرمال.

استفسرت مرام بينما تضع قطعة من جبن داخل الخبز: هي إزاي ندى كدا ؟

رفعت فريدة عينيها فوق فنجان الشاي بدهشة: كدا إزاي ؟

هزت كتفيها فيما تقضم من السندوتش: قصدي يعني غنية وعندها فلوس ومتجوزه دكتور قلب، مع ذلك لبسها واسع ومحجبة وهاديه .. طبعا إلا مع اللي تعرفهم

حدقت بها بقوة: مش كل الأغنيا هتلاقيهم نسخة من باريهان لو دا قصدك، ومش كل الفقرا هتلاقيهم محترمين ولبسهم زي ندى، الحاجات دي مش بسبب المستوى الإجتماعي ولا بسبب الفلوس .. دي حسب التربية والأخلاق والدين

حركت رأسها مؤيدة: صح معاكي حق .. بس أنا لاحظت إن هزارها مع مصطفى ما ينفعش، خصوصا .. آدم شكله بيغير منه موت؛ علشان كدا عمل معاه المشكلة إمبارح اللي مالهاش أي تلاتين لازمه

أومأت: أه خدت بالي .. هي بتتعامل بسلامة نية؛ لإنها عارفه مصطفى من زمن وشكلهم على طول كانوا بيهزروا .. فأكيد مش فجأة هتتحول ناحيته، بس المفروض هو يكون عارف دا كويس

لوت مرام شفتيها: لا الرجاله لما بتغير ما بيفرقش معاه صديق طفولة .. قريب .. غريب، كله ف نظرهم واحد

مازحتها فريدة: يا عم يا عم .. ع الناس العاقلة

اعتدلت في جلستها بغرور: إحم إحم .. أي خدمة يا باشا

بعد فترة من الصمت سألتها فريدة باهتمام: عملتي إيه مع أكرم؟

تنهدت مرام حزينة: كنت هأرجع أحن تاني بس أفتكرت كلامك ف رجعت لعقلي وسيبته ومشيت

ربتت فريدة على ظهر يدها المسطح فوق الطاولة: كويس استمري بقى على كدا

رمقتها مرام بخبث فيما تدعي تأمل كأس العصير بيدها: مصطفى دا شكله واقع خالص .. هزاره مع ندى مش طبيعي

ارتجفت يد فريدة وكادت تسقط فنجان الشاي من بين أصابعها: قصدك إيه ؟

رفعت حاجبيها: إنتي مالك خوفتي كدا ليه ؟ .. في حاجه ؟

ارتبكت أكثر: هيكون في إيه يعني ؟

حدقت مرام بعيونها مباشرة: في زي اللي بيني وبين أكرم .. صح ؟

تنهدت: اديكي قولتي .. زيك .. يعني بردو لازم أبعد

هزت رأسها بتفهم: بس أسلوب مصطفى بيخليكي غصب عنك تعملي العكس

أفرغت ما تبقى من الشاي في جوفها جرعة واحدة: أيوه .. بس هأحاول وهأنجح بعون الله

عقدت فريدة نيتها على عدم الوقع في خطأ أكبر من قدرتها، يكفيها ما دعست فوقه من مبادئ وحدود قد حاوطت نفسها بها، منذ ظهر وهي تفعل عكس ما كانت تفعله مع غيره، خافت أن يكون ذلك دليلا على غضب الله عليها من شئ فعلته ولم يكن لديها ملجأ سوى الدعاء والاستعانة بالصبر.

***

قام أحمد برفقة عميله يوصله إلى سيارته؛ فهناك طائرة بإنتظاره، نفخت مرتاحة فقد أنتهى الأمر أخيرا.

دق هاتفها وجدت نمرة والدها بالخارج، أجابت بسعادة، كان والديها يطمأنان على راحتهم في الغردقة فلم يزوروها من قبل .. استمرت الدردشات عامة ولكن بعد إغلاقها الخط انهارت على أقرب مقعد تنوح وتبكي.

عاد إلى الغرفة التي خُصصت لهم في الفندق حيث قاعة للإجتماعات، وجدها على هذا الحال فسقط على الأرض تحت قدميها يخشى أن يكون سبب هذا النواح.

قرب يديه يريد أن يزيح كفيها من فوق وجهها، يلمس رأسها، يربت على كتفها، يخبرها أنه بجوارها أسفا على ما قاله أو فعله أذاها إلى هذا الحد لكن يده تعلقت في الهواء فلا تحل له ملامستها.

سألها بصوت أجش: حصل إيه ؟

لم تكن قد شعرت بعودته فرفعت إليه بصرها دون النظارات لأول مرة، سألها متوجسا الإيجاب: أنا السبب ؟

ملئ عيونها العجب من فرط اهتمامه بل وتأثره الواضح من نبرات صوته، هزت رأسها نفيا مما أعاد دقات قلبه إلى الهدوء تقريبا وأنتظم تنفسه قبل أن يسأل عن سبب بكاءها.

سقط نظره على الهاتف الساكن فوق ركبتيها، سردت له اشتياقها لوالديها وعدم استطاعتهما المجئ وكذلك لا تقدر هي أو أختيها على السفر قبل إنتهاء مرام من إمتحاناتها التي لن تلبث في البدء.

مد يده إلى جيب سترة بذلته الداخلية وأخرج محرما أسقطه في كفها المفتوح، دون تردد رفعته تمسح بقايا دموعها، ابتسم لها بحنان يحثها على النهوض.

– اغسلي وشك قبل ما نحصلهم ع الغدا عشان ماحدش يحس إن في حاجه

غمزها مضيفا برقة: أنا ناشف شويه أه بس مش لدرجة أعيط البنات الصغيرين

كبحت ابتسامتها مجيبة: بس أنا مش صغيرة للدرجة دي

ألتوى جانب شفتيه بمرارة: بس بيني وبينك حوالي عشر سنين

حدقت به دون فهم مقصده: وفيها إيه ؟

هز كفه منهيا الحوار، اتجهت إلى الحمام فيما كل ما يشغله ما أصابه من لجم وعدم أحقيته في التخفيف عنها بحالة مثل التي مرت بها قبل قليل، كان أسوء شعور أحس به في حياته؛ أن يراها أمام عينيه ولا يستطيع كفكفت دموعها على أقل تقدير.

***

ألتم الشمل حول طاولة كبيرة تتسع لعددهم أجمعين، مستديرة كبيرة نسبيا استوعبتهم جميعا حولها ليتناولوا الغداء سويا بعد إجتماع مرهق ويوم حار، ظهروا كأنهم عائلة واحدة سعيدة قررت قضاء عدة أيام راحة من أعباء الحياة العملية في ظل الشمس والهواء النقي والمناظر البديعة.

كانوا محل إنتباه الدالف والذهاب، اختلفت النظرات إليهم من حسد لتجمعهم وغبطة لدوام العلاقات الأسرية في عصرنا وأخرى تجزم بصلة القرابة بينهم.

أعلن أحمد بهدوء قبل أن يزج ما تحمله الشوكة داخل فمه: أنا مضطر أسافر إنهارده، بس مش هاتأخر كتير .. يومين وراجع

رفعت هند رأسها إليه مندهشة: بس إحنا لسه ما خلصناش إجتماعاتنا مع العميل

أمسك بكأس الماء يرشف منه عدة رشفات: ما تقلقيش هنخلص كل حاجه، كدا كدا هو سافر إنهارده وجاي بكره؛ علشان في شحنة هيستلمها من بورسعيد .. أنا هأجي بعد بكره الصبح وإجتماعنا معاه بعد الضهر

صاحت به والدته بنفاذ صبر: مش كتير عليك كدا يا أحمد ؟، براحه شويه على نفسك ماينفعش كدا .. ما تقوله حاجه يا ياسين

أحمد مقاطعا أمه: أنا مش عيل؛ علشان تقلقي عليا .. دا شغل

ضربت قبضتها بقوة فوق حافة الطاولة تطلب العون من زوجها: ياسين ما تقولك كلمة

ربت زوجها على كتفها بحنان: خلاص يا حبيبتي سيبيه براحته .. هو بنفسه قالك إنه مش عيل .. عقله ف راسه يعرف خلاصه

أخفضت صابرين رأسها محبطة: يعني دا اللي قدرك عليه ربنا ؟

تدخلت ندى تحاول إمتصاص التوتر: يا ماما كلنا عارفين بتحبيه قد إيه وخايفه عليه وعلى صحته .. لكن إنتي كمان عارفه دماغه الناشفه .. ومادام قال مسافر يبقى هيسافر حتى لو كل اللي ف الغردقة قالوا له ما تسافرش .. ف ريح نفسك أنت يا جميل

نهض أحمد: أهي قالتلك اللي فيها .. عن إذنكوا؛ علشان ما اتأخرش

رفع أكرم حاجبيه: أنت لحقت يا ابني ؟

مصطفى بمزاح: سيبه سيبه .. باين عنده معاد مع موزه

طعنة خنجر حادة اخترقت أنسجة قلبها، كاد معها القلب أن يتوقف، قطبت هند حاجبيه مستغربة هذه المشاعر، أحاسيس لأول مرة تستشعرها، لما تثير فكرة تواجده مع أخرى ومقابلته سواها هذا الإنقباض داخلها ؟، ليست معنية بالأمر لأنها لا تتعدى كونها سكرتيرته الشخصية.

لاحظ أحمد ملامح الضيق التي ظهرت بوضوح على وجهها، علم أن تلك السفرة ستكون ناجحة مئة بالمئة بلا شك، لقد طمأنه مصطفى عن غير قصد وانساه التوتر الذي كان يشعر به ولو بشكل مؤقت بل زاده حماسة أيضا.

لكز أكرم صديقه في ذراعه قالبا الطاولة فوق رأسه: أتلهي أنت التاني .. هو إكمن أنت على طول مافيش ف دماغك غير البنات هتبقى كل الناس زيك

استدرك مصطفى موضحا بسرعة أثرت عجب أغلبهم؛ فلقد أختفى غروره وتباهيه بمغامراته الغرامية بلمح البصر: لالالا، والله كان زمان .. أنا حرمت يا بيه .. ما تصدقش يا بيه .. كلها إشاعات مغرضة يا بيه

أحمرت وجنتي فريدة بسبب تركيز نظرات مصطفى عليها كأنه يعنيها بالحديث فقط ونسي أن هناك حوله مستمعين أخرين.

هتف آدم: أحمد.. أنت يا ابني .. مش كنت مستعجل ؟ تنحت كدا ليه ؟

قهقه مصطفى: ليه هو أحمد بيتنح زي البني آدمين الطبيعيين اللي زينا .. العقل الصغير لا يصدق

شاركته ندى تعليقاته على شقيقها الأكبر: هههههههههه أحمد أخويا أه، بس أنت معاك حق بصراحة

نهض أحمد قائلا بجمود: أنا ماشي .. بدل ما أفقد أعصابي وأضيع وقتي

غمزه مصطفى مغيظا: أيوه كدا .. أرجع أحمد اللي أنا أعرفه

ابتسمت صابرين وربتت على وجنته بحنان متناسية عصيانه لها: ترجع بالسلامة، خلي بالك من نفسك

قبل باطن كفها: ما تقلقيش يا ماما

تمتمت هند خجلى: ترجع بالسلامة يا أستاذ أحمد

خصها بنظرة عميقة متفحصة: الله يسلمك .. بس ما تفكروش تسافروا من هنا لمجرد إني مش موجود، اعتبريها فترة راحة

غادر قبل سماع ردها في حين صرخ مصطفى بفزع: مين ؟ مين دول اللي هيسافروا ؟! لا طبعا مافيش حد هيتنقل من هنا

نفخت ندى مستصغرة عقله: وحد قالك إني هأسيب صحابي يمشوا ؟ .. أقعد أنت بس على جنب

أومأ في بلاهة: أقعد وما أقعدش ليه ؟ .. المهم ماحدش يتحرك من هنا

تنحنح آدم محرجا: مصطفى .. أنا آسف، غلطت ف حقك إمبارح وزودتها .. حقك عليا .. أعذرني، كان بقالي أربعة وعشرين ساعة صاحي وفي عملية قعدت فيها ست ساعات قبل السفر لهنا ضغطت على أعصابي خالص .. أنا عارف إن دا مش عذر بس ياريت تسامحني

مصطفى وقد استشعر صدقه: خلاص ولا يهمك يا عم آدم .. المهم إنك تسيبني بقى أهزر معاك براحتي

شعر براحة وكأن أحمال الدنيا قد سقطت عن كتفيه: ههههه خد راحتك ع الأخر يا كبير

وصلت فريدة ومعها شقيقتها مرام حين بدأ آدم يُبدي أسفه ويقدم إعتذاراته، رأت كيف تقبل مصطفى تأسفاته بكل طيبة خاطر، ارتسمت ابتسامة صغيرة على شفتيها رغما عنها.

هتفت ندى منتبهة لوصول الشقيقتان: أخيرا يا هانم منك ليها، إيه كل دا ؟

ضحكت مرام مازحة: أصل العريس واقف ع الباب

قطب أكرم جبينه وسأل حانقا: عريس ؟ عريس إيه ؟

مصطفى: يا عم .. ولا عريس ولا حاجه، ما هما قدامنا أربعة وعشرين ساعة هيجيبوا العريس منين ؟

آدم بمزاح: ما هما لما يشوفوا معاهم الجتت دي أكيد هيطفشوا

زفر أكرم: ف داهيه

أوضحت ندى باسمة: دي جملة بتتقال لما البنت بتتأخر .. عادي يعني يا كرومه

لوى شفتيه: طيب ياختي

أدارت صابرين بصرها في المكان من حولها: هو سيف فين أنا مش شيفاه ؟

اتسعت ابتسامة ندى لذكر صغيرها: بيلعب ف الجنينة برا

ربت ياسين على كف زوجته المجعد: يلا يا صابرين نطلع نرتاح شويه بعد الوجبة الدسمة دي

أومأت موافقة ونهضت معه: يلا .. عن إذنكوا يا جماعة

تقبل الجميع عذرهم وأذنوا لهم بالإنصراف، عاكسهم مصطفى غامزا: أيوه أسحب أنت المُزه وأطلع على فوق وسيبنا إحنا نسقف

نهرته صابرين خجلى: هههه يـووه عليك يا مصطفى .. جاتك إيه

تشبث ياسين بكف زوجته منصرفا: سيبك منه دا فاضي ومش هيسبنا ف حالنا إنهارده

***

أعلن قائد الطائرة عن بدأ التحرك إلى الوجهة المقصودة، زفر براحة بسبب دنو هدفه والوصول إليه.

أرخى رأسه للخلف قليلا حتى استندت فوق وسادة صغيرة، نظر للسقف يتذكر كل المواقف التي جمعته بها وصولا للغيرة التي استشعرها تنضح من عيونها الصغيرة وتعكر صفو وجهها البريء.

اتسعت ابتسامته، لم يكن أبدا ليقدم على خطوة دون دراسة متمحصة يحسب خلالها النتائج ونسبة الأرباح إلى الخسائر، لكنها قلبت حياته رأسا على عقب وغيرت مفاهيم ترسخت داخل عقله بإشارة واحدة منها.

تهدلت عيونه مهمومة لدى تذكره لحظات بكاءها وعجزه عن التربيت فوق كتفها وكفكفت دموعها الندية، للمرة الأولى في حياته يشعر بالشلل وعدم استطاعته لفعل ما تمنى.

استقام في جلسته بإصرار، إن هذه الرحلة ستغير ذلك من الآن وإلى الأبد، ستغتال عجزه وتُحيي قوته .. ستزيد صلحياته وتقتل موانعه.

عادت للاسترخاء وقد جذب إحدى المجلات يتفحصها بذهن غائب، يريد أن يشغل عقله بغيرها ولكن .. هيهات.

***

بعد إبتعادهم قليلا .. في الرواق بينما يقفان جنبا إلى جنب بإنتظار وصول المصعد حتى ينقلهم إلى الطابق الثالث حيث غرفتهم.

إلتفت ياسين إلى زوجته غامزا: تعرفي إن الواد مصطفى أول مرة يقول كلام صح الصح

توقفت ناظرة إليه بعجب: قصدك إيه؟

ارتسمت بسمة خبيثة على ثغره فهمت معناها: ما تيجي

صوبت بصرها أرضا بخجل: أجي فين .. إحنا كبرنا ع الحاجات دي

انتصب في وقفته وضبط هندامه قائلا بثقة وغرور: لمؤاخذه إحنا ما يفرقش معانا أعمار .. بس ما بنحبش نتكلمو عن نفسنا كتير

قهقهت: لا يا شيخ

اقترب من وجهها هامسا بحب: وبعدين مين اللي يشوف القمر دا كله ويقدر يمسك نفسه، ولا يفكر ف عمر .. دا إنتي غلبتي بنتك ندى

لكزته في كتفه: بس الناس بتتفرج علينا

تمسك بيدها والجا إلى المصعد الذي توقف حتى يحمل ضيوف الفندق إلى طابقهم، همس لها أثناء ذلك بصوت لا يسمعه غيرها: طب يلا بقى على أوضتنا، علشان لسه في كلام كتير ماينفعش حد يسمعه غيرك

أحمر وجهها بعد فهمها لما توحيه كلماته، تعلق بصرها بوجهه المجعد الهزيل، عادت بها ذكرياتها إلى جدالها مع والديها .. ترفض الزواج من رجل لمجرد ملائمته لها إجتماعيا وتوفيره إحتياجاتها المختلفة.

لقد رسمت في ذهنها صورة محددة لأميرها المتوج .. من ستتربع على مملكة حياته وعرش قلبه، لكن والديها أبيا لهذه الأحلام أن تتحقق.

ابتسمت بحب عندما نظر لها يحثها على قطع المسافة القصيرة التي تفصلهم عن غرفتهم، لقد جلست معه في أول جلسة منفردة بينهما في بيت والدها قبل خطبتهما، صارحته بمشاعرها .. قلقها .. فزعها، قابل كل ذلك بابتسامة هادئة، أخبرها أنه لن يهدم أحلامها .. سيتفهمها وينفذ منها قدر استطاعته.

راقبت يديه وهي تدفع المفتاح في مكانه حتى ينفتح باب الغرفة، لقد مضى الآن سنوات على حياتها إلى جانبه، لم تندم أبدا على استسلامها لإلحاح والديها بالقبول بل كانت تشكرهم كلما سنحت لها الفرصة، فقد رزقها بزوجٍ ولا في الأحلام.

***

ما زال البقية في المطعم، التفت أكرم إلى صديقه ناهرا بغيظ: يا أخي بطل ثقاله بقى .. كسفتهم

ضحك آدم متخابثا: ولا كسفهم ولا حاجه .. زمانهم بيعملوا بنصيحته دلوقتي

غمزه مصطفى: طب ما أنصحك أنت كمان وتقوم تعمل بنصيحتي يا وحـش

خجلت ندى من كلمات مصطفى: مصطفى أبعد عني .. مالكش فيه أنت الكلام دا

مصطفى مصطنعا الدهشة: الله .. مش أنا أخوكي وخايف عليكي ؟

لوت شفتيها ساخرة: لا يا راجل، ما أهو أكرم قدامك ما نطقش يعني

ضرب أكرم على ظهره بقوة: أكرم دا ف دنيا تانية .. مش معانا على كوكو الأرض أصلا ولا إيه يا أبو المكارم

صاح به غاضبا: يا أخي قولتلك 100 مرة إيدك تقيله

رفع مصطفى حاجبيه: الله .. مش شايفني راجل قدامك ولا باكو بسكوت

أكرم حانقا: لا شايفك باكو رخامه

اصطنع مصطفى التفكير: دا نوع جديد نزل السوق وأنا ما أعرفش ؟

حاول أكرم أن يكتم غيظه: لا يا خفة .. نوع جديد حصري عندك أنت بس

زاد مصطفى من جرعات مزاحه: ليه ؟ هو أنت فاكرني روتانا سينما ؟

شاركتهم مرام المزاح: أوعى تسد ودانك

ابتسم آدم: جديدة دي .. طول عمرها أوعى تغمض عينيك

ندى بسخرية: أصل أنت بقالك زمن مش بتشوف التلفزيون

أوضحت مرام: مع مصطفى لازم ودانك عشان هزاره، لكن صدقني أول ما يقوم يبدأ فقرات البلياتشو هتقلب عينيك وودانك هههههه

تقبل مصطفى مزاحها بأريحيه: أيوه اتريقي ياختي، ماهو أهلك علموكي كدا

تدخلت فريدة ضاحكة: بس ما تنساش فقرة الساحر

قهقهت مرام: أه لما يتقسم نصين

هزت فريدة رأسها: لا لما يدخل الصندوق ويختفي .. بس مش هنرجعه تاني خليه مخفي على طول علشان نخلص

أكرم: هههههههههههه أيوه صح معاكي حق

آدم: ههههههههه دي هتبقى أحلى فقرة

علق مصطفى بحزن: بقى كدا .. ماشي ماشي

ندى: ما أنت اللي جبته لنفسك

أوهمهم مصطفى برغبته في النهوض: يعني أمشي أنا دلوقتي ولا إيه ؟

أسرع آدم يحثها على العودة إلى مكانه: لا خليك يا درش حد يقدر بردو

جلس مكانه مرة أخرى منتشيا: أيوه كدا يا ناصفني

حذره أكرم: هتندم على قرارك دا ف أقرب وقت صدقني

تساءلت ندى: صحيح هي باريهان فين ؟ .. ماشوفتهاش من ساعة ما جت الصبح تسلم علينا

أجابها أكرم بملل: مش عارف .. يمكن راحت تكمل شوبنج

علق مصطفى ساخرا: أنا نفسي أعرف بتلحق تلبس كل الهدوم دي إمتى

شاركه أكرم السخرية: مش مهم تلبسهم .. المهم تجيبهم وتركنهم

لمحت مرام شقيقتها مقبلة عليهم: روحتي فين يا بنتي .. فجأة كدا قومتي من غير ولا كلمة وجيتي

ارتبكت هند لكنها أجابتها بهدوء قدر المستطاع: أبدا، أصل ماما كانت بتكلمني وبتطمن علينا

مرام بملل: اااه .. طيب

ركزت فريدة نظراتها على شقيقتها تحاول سبر أغوارها: ومن إمتى بتكلمي ماما ومش بتخليني أكلمها ؟

هزت هند كتفيها بإرتباك: عادي .. لما سألت عليكوا قولتلها بتاكلوا ف قفلت وقالت هتكلمكوا بعدين

أومأت فريدة والشك مازال بداخلها: قالتلك حاجه يعني ؟

زفرت براحة لنجاتها فقد اتصلت والدتها تطمئن عليها بسبب إغلاقها الخط على نحو مفاجئ: لا عادي .. عاملين إيه وخلي بالكوا من نفسكوا، كدا يعني

تمتمت مرام بسخريتها المعهودة: دا على أساس مستنيين كلمتها دي ؟ لا والله كتر خيرها

حذرتها فريدة: مـرام وبعدين ؟

زفرت بحدة وألقت محرمتها فوق المنضدة منصرفة: ولا بعدين ولا قبلين .. أنا رايحه الجنينة أشوف سيف .. سلام

غادرتهم مرام وقد تعلقت بها عيون أكرم حزنا على حالها، عالما بالخطوط العريضة في علاقتها مع أهلها، كذلك حزنها وحقدها على والديها.

نهض أكرم يلحق بها معتذرا من البقية: هأروح أشم هوا .. عن إذنكوا

وقفت هند معتذرة وقد أمسكت جانب رأسها: وأنا هأطلع ارتاح شويه؛ لأحسن الصداع مسك ف دماغي من ساعة الإجتماع .. والراجل كان رغاي أوي ونَفَسه طويل

أومأ لها مسرعا آدم: طبعا طبعا اتفضلي

شعرت فريدة بالقلق: خدي مسكن .. ماشي ؟

ربتت على كتفها مطمئنة: ما تقلقيش عليا .. هأخد أكيد

انصرفت هند تاركه شقيقتها مع ندى وزوجها ومصطفى، مرت دقيقتان دون حديث، شعرت فريدة بالحرج فنهضت معتذرة: معلش .. أنا كمان هأقوم أتمشى شويه ع البحر عشان واحشني

لحقت بها ندى تحث خطاها: استني يا فريدة أنا جايه معاكي

اعتذر مصطفى من آدم لضرورة الإجابة على الإتصال بخصوص المزرعة، جلس آدم وحيدا، لكنه بعد برهة نهض مقررا اللجوء إلى غرفته حتى يراجع آخر الأبحاث العلمية على حاسوبه المحمول كالمعتاد.

***

سارت إلى جوار صديقتها تفكر في حالها بينما تركل رمال الشاطئ بأطراف حذاءها الخفيف، شردت في الأفق البعيد حيث الشمس تسطع بحدة مرسلة أشعتها الذهبية إلى سائر الأركان.

كان الصمت هو سيد خطواتهما، لا تجرؤ واحدة منهما على قطعه حتى توقفت ندى فجأة عن متابعة التقدم وأشارت إلى فريدة التي نظرت إليها متسائلة: تعالي نقعد هنا عايزه أتكلم معاكي ف حاجه واحكيلك

ابتسمت فريدة وأومأت، استقرت كل منهما في جلستها على أحد المقاعد أسفل مظلة تقيهم حرارة الشمس.

بدأت ندى الحديث قائلة: مش عارفه ابدأ منين ولا منين .. المهم هاكلمك عن علاقتي بآدم لإني مش بارتاح ف الكلام غير معاكي .. حتى هند عمري ما حكيتلها زي ما كنت باحكيلك

– مش مهم تحكي لمين .. الأهم ترتاحي

تنهدت ندى براحة: طيب أنا هابدأ م الأول من ساعة ما اتعرفت على آدم ..

ارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتيها، كانت ترغب في مساعدة صديقتها الصغرى كثيرا فقد أحبتها منذ عرفتها وارتاح قلبها إليها، تمنت أن يُعينها ربها على ردم كهوف الحزن بوجه ندى وإعادة الفرح إلى ملامحها الجميلة.



الفصل الثاني عشر

وقف ينفث أدخنة سيجارته مستندا إلى الجدار الخارجي للفندق، يده الأخرى في جيبه ونظارته الشمسية تخفي عيونه التي كانت تتبع تحركاتها بالمرصاد.

كانت تركض هنا وهناك خلفها أطفال وأمامها صغار، هذا عالمها الذي تنتمي إليه، هؤلاء هم رفاقها، فبرغم إرتفاعها عنهم عدة سنتيمترات إلا أنا قلبها وروحها تشاركهم أعمارهم.

أصابها الركض والحر بالتعب فاستجارت بظل شجرة وارفة تُلقي ظلالها فوق أرجوحة واسعة، جلست إليها تلتقط أنفاسها وتعيد قلبها إلى دقاته المنتظمة.

دعس فوق عُقب سيجارته واتجه إليها، دون حديث جلس إلى جوارها ودفع الأرجوحة للإهتزاز بقدمه الثابتة فوق حشائش الأرض.

سألها بعد أن استمر الصمت وطالت فترة تجاهلها لوجوده: لسه مضايقه ؟

– من إيه ؟

– من أهلك

هزت كتفيها بقلة إهتمام: اتعودت

استدار إليها مغتاظا من طريقتها، تجاهلها له زاد عن حده وتصرفتها معه أثارت حنقه، هتف فيها ثائرا: إيه اللي غيرك فجأة كدا ؟ .. بقيتي باردة ومستفزة .. إيه اللي حصل عشان تتحولي بالشكل دا ؟

رمته بنظرة جليدية ثم نهضت تحدثه ببرود يخفي خلفه ثورة وغيظ: مجنونة بقى تقول إيه

قبض كفيه بشدة، كبح نفسه من الذهاب خلفها وإلقاءها فوق ركبتيه مسددا صفعات متوالية فوق مؤخرتها حتى تصحو إلى نفسها مجددا.

اكتفى بمراقبتها تعود للهو مع سيف وأصدقاءه الجدد، وأخرج لفافة تبغ أخرى وبدأ في التدخين منفثا فيها غضبه العارم.

***

سرحت بنظراتها في ذرات الماء أمامها: آدم أنا عرفته بالصدفة .. كانت واحدة صاحبتي مامتها تعبانه بمرض ف القلب، كنت معاها لما جاتلها جلطه .. أخدناها المستشفى وكان آدم هو اللي استقبل الحالة ومسئول عنها .. كنت بأحس منه بنظرات إعجاب بس طنشتها.

كنت بأروح أقعد مع مامت صاحبتي بالنهار؛ عشان صاحبتي بتشتغل ورئيسها ف الشغل منع عنها الأجازات ورافض الموضوع حتى علشان والدتها .. وهي محتاجه الشغل لإنها بتصرف بيه على علاج مامتها وعلى نفسها .. خصوصا مصاريف المستشفى اللي زادت دي.

المهم يعني هي تقعد معاها بالليل وأنا بالنهار حتى هو كان بيزور مامتها بالنهار؛ مع إني اللي عرفته بعد كدا إن نبطشيته أصلا بالليل بس ما حطتش ف دماغي .. وكان كل ما يحاول يكلمني أصده وأقفل الكلام معاه، بعد كدا جه اليوم اللي هتخرج فيه مامتها وروحت معاها الحسابات عشان ندفع الفلوس، علشان لو فلوسها ما كملتش أكملها أنا بس اكتشفنا إن الدكتور تنازل عن الفلوس بتاعت العملية اللي عملها ودا شال هم كبير من على صاحبتي فقالت إنها لازم تروح تشكره وأخدتني معاها .. وكانت مامتها مستنيانا ف الأوضه بتاعتها، روحنا شكرناه وحسيت إنه بيبصلي بتركيز أوي .. فأضايقت من نظراته .. ما انكرش إن عينه زرقه تجنن ولا شعره كان سايح يهبل ولا جسمه الموزون اللي ما يناسبش دكتور –يعني اللي على طول كلهم بكرش– ولا سنه الصغير اللي عكس خبرته المهنية وحرفيته ف شغله.

قولت لصاحبتي إني هاستناها برا لحد ما تخلص كلام معاه وبعد شويه خرجت ورايا وبصتلي بخبث وقالتلي (يلا بينا يا جامد) .. أنا ما ركزتش معاها؛ عشان متعودة منها على كلام زي دا كتير .. روحت عادي وبعدها مافيش يومين بابا جه وقالي إن في واحد متقدملي وجاي إنهارده .. قولت وماله جهزت نفسي وكله تمام.

أدخل عليهم الصالون ألاقيه هو، آدم .. طبعا اتمسمرت مكاني والصدمة بانت على وشي .. كان فرحان من رد فعلي أوي وكان ماسك روحه بالعافية من الضحك اللي كان نفسه يضحكه .. فوقت وروحت قعدت وفضلوا يتكلموا فترة لحد ما ..

بابا قال: طب نسيبكم إحنا شويه

سابنا ولاقيت آدم جه قعد ع الكرسي اللي جنبي وفجأة لاقتني بأقوله: أنت جبت نمرة بابا منين؟

هو وقتها ماقدرش يمسك روحه أكتر م كدا وفضل يضحك وأنا متغاظه .. بيضحك على إيه العبيط دا ؟ هو أنا قولت نكتة ؟ بس فجأة اتقلب 180 درجة.

جاوبني بكل جدية: أخدته من صاحبتك بعد ما خرجتي وسبتينا آخر يوم ف المستشفى ..

وقتها حسيت إني عايزه أمسك فرقبتها وأقولها أديتهاله ليه .. طب ما قولتليش ليه ؟! .. كأنه عرف بأفكر ف إيه راح قالي: أنا قولتلها ما تجبلكيش سيرة عشان أشوف رد فعلك بنفسي لما تلاقيني هنا

ندى مغتاظة: وعرفته؟

ابتسم آدم: أيوه

– طب أشمعنه أنا؟

آدم بجدية وحنان في ذات الوقت: علشان من ساعة ما شوفتك دخلتي قلبي، ولما حاولت أكلمك وصدتيني عرفت إن دي اللي أقدر أأتمنها على حياتي، حسيت إني مش هأقدر أبعد عنك أكتر من كدا

صدمت من حديثه بشدة ومن كم الرومانسية التي يتحلى بها: بس أنت ما تعرفنيش كويس

اتسعت ابتسامته: ما أنا جيت ودخلت البيت من بابه أهو عشان أعرفك كويس

أردف عندما لم ترد: تحبي تعرفي عني إيه؟

صدمها الموقف ونسيت ما رتبته من أسئلة لمن يتقدم لخطبتها: مش عارفه .. أتكلم أنت

أومأ وبدأ يقص عليها ملخصا عن حياته بهدوء: اسمي آدم الحناوي 28 سنة .. دكتور تخصصي الباطنة خصوصا أمراض القلب وخلافه، مقطوع من شجرة لا أب ولا أم ولا أخوات .. عندي حته أرض ف أسيوط بلدي، بأشتغل ف المستشفى اللي شوفتيني فيها بمرتب 3000 جنيه غير طبعا العمليات

قاطعته بغتة: أنا ما يهمنيش مرتبك

جال ببصره في أنحاء المنزل نظر: واضح .. بس عشان أثبتلك إني أقدر أعيشك ف نفس المستوى تقريبا

أثار حنقها بكلماته، ظنه بها وأن عقلها صغير لتهتم بتلك الهوامش أجج غضبها: أنا لو رضيت بيك ووافقت عليك مش هيهمني حتى لو عشت معاك ف كشك

ابتسامة معجبة لمعت فوق شفتيه: وأنا لو ما كنتش واثق من كدا ما كنتش جيت؛ لإن الفلوس ممكن ف أي لحظه تروح .. وقتها لو كان عندي شك إنك ممكن تسيبيني، أنا ماكنتش تعبت نفسي ولا تعبتك بمجيتي

نظرت إليه بصمت تحاول فهمه وتحليله حتى قاطع تفكيرها متساءلا: وإنتي مش هتكلميني عن نفسك؟

– يعني أنت عايز تقنعني إنك مش عارف كل حاجه عني قبل ما تيجي تتقدم؟

–لا عارف .. بس أحب أسمع منك

– ندى ياسين السويفي عشرين سنة خريجة إعلام مش بأشتغل وعندي أخين أكرم أكبر مني على طول بـ 3 سنين وأحمد أكبر واحد وهو أكبر من أكرم بسنتين .. وماما وبابا أنت عارفهم

تناولت رشفة من كوب العصير أمامها ونظرت لصديقتها مكملة: بعد كدا بدأ يجي كل يوم ونخرج سوا طبعا ف وجود أحمد أو أكرم معانا وبدأنا نجهز بيتنا .. كانت عندي شكوكي ناحيته وقلقانه إنه ما يكونش الصدر الحنين بتاعي؛ لإن من بعد أول مره جه فيها عمره ما قالي كلمة حلوة .. يعني كل كلامنا مقتصر على .. إزيك .. عامله إيه اخبار شغلك .. بتقضي وقتك إزاي .. كدا.

لحد ما جه يوم بابا تعب فيه جدا بسبب مشكلة ف الشغل ودخل العناية المركزة، وقتها لاقيته جنبي باستمرار ما بيسبنيش ولا لحظة .. قاعد ف المستشفى 24 ساعة .. فضل أسبوع كامل ع الحال دا، يهزر معايا علشان أضحك .. يكلمني عشان ينسيني اللي أنا فيه .. يفضل ورايا لحد ما أخلص أكلي عشان ما يحصليش حاجه .. كنت حاسه إن دا فعلا سندي

في الأسبوع دا قربت منه وحبيته بجد أكتر ما حبيته ف الأربع شهور اللي فاتوا بتوع الخطوبة، ولما خرج بابا من المستشفى بعدها بيومين جه وطلب نكتب الكتاب ويكون الفرح بعدها بأسبوعين .. بابا طبعا كان مستني الفرصة دي لإن بعد الأزمة اللي جاتله خاف يحصله حاجه قبل ما أتجوز .. فكان موافق جدا وماما كانت عايزة تخلص من هم الفرح .. عشان تتفرغ لبابا وصحته .. أكرم كان وقتها شغال ف الماجستير بتاعته وأحمد استلم شغل بابا لإن الدكتور منعه إنه يبذل أي مجهود .. فكانت الفترة دي تقيله أوي على قلبي لإني مش عارفه أخرج مع آدم خالص عشان مافيش محرم معانا.

المهم وافقت على كتب الكتاب وكنت هأطير م الفرح، كان الود ودي أتجوزه من دلوقتي .. بعد كتب الكتاب بقينا نخرج ونقعد براحتنا .. بقيت أسمع منه كلام ما تخيلتش إنه ممكن يقولهولي .. وبقيت اتكسف وأقوله خلاص ما تكملش .. مع إني كنت قبل كدا هأموت على كلمة واحدة منهم .. كانت بجد أسعد أيام حياتي من غير مبالغة .. وجه بقى يوم الفرح وكنت هأموت م الخوف وف نفس الوقت الفرحة مش سيعاني .. جه ياخدني من الأوضه في الفندق اللي فيه الفرح وأول ما شافني فضل يبصلي نظرة عمري ما هنساها .. كلها حب وحنية وشوق.

– بجد القمر دا خلاص هيبقى ليا أنا بس؟

خجلت ندى من كلماته فصمتت لكن عبرت وجنتيها وابتسامتها عن مدى سعادتها بأحرفه البسيطة.

آدم بحنان: طب يلا نروح للمعازيم اللي تحت دول؛ عشان أخدك ونطير على شهر العسل

أومأت ندى ذاهبة معه إلى أي مكان مادامت برفقته، انتهى العرس بكل ما فيه من رقص وضجة وانطلق العروسان إلى المطار؛ مسافرين إلى باريس لقضاء شهر العسل الذي كان هدية من والديها فرحة بذلك الابن الذي أنضم إلى عائلتهم حديثا.

في الطائرة ظل آدم يلقي على مسامعها كلمات تذيب القلب ولها بالرغم من بساطتها، تخرج من قلبه فتصل إلى قلبها دون تردد إلى أن وصلوا إلى جناح العرائس في فندق ضخم يقع في أحد أشهر مدن العالم .. باريس.

كان جناحا جماله لم يخطر لهما على بال، قد أعده القائمون على المكان تحت إرشادات والدة العروس ليخرج أجمل ما يكون، تناثرت وريقات الزهور فوق الفراش ووزعت الشموع العطرة في الأركان كما تدلت الزينات من السقف لتحيط الفراش.

آدم متبسما: تحبي تدخلي الحمام إنتي الأول ولا أنا ؟

أجابت ندى بسرعة: لا لا أنا هأدخل الأول

قهقه: ما تخفيش المايه مش هتخلص

سحبت ملابسها من الحقيبة على عجل وهرولت إلى الحمام، وقف آدم يتابعها بنظراته مبتسما من خجلها ورقتها الشديدة.

خرجت بعد دقائق مرتدية قميص نوم زهري يصل إلى ما بعد الركبة ظهره عبارة عن خيوط متشابكة، أرتدت فوقه مأزرا من نفس القماش الحريري الناعم، نظر لها آدم من ثم سحب ملابسه ودخل إلى الحمام.

وقفت أمام النافذة تحاول أن تهدئ من روعها وتلهي نفسها بذلك المنظر البديع للمدينة التي لطالما عشقتها، كانت مستغرقة في تأملاتها فلم تشعر بخروج زوجها من الحمام مرتديا بنطال بيجامته وفقط، اتجه إليها وضمها من الخلف مما أدى إلى إرتعاشها لقربه منها ومن رائحته التي نفذت إلى أنفها مزكمة إياها.

استنشق عبيرها عاشقا: كان نفسي أشم ريحتك دي من زمان

جمع خصلات شعرها على أحد كتفيها واقترب من رقبتها ليشبع أنفه من رائحتها الزكية الفواحة، أغمضت ندى عينيها محاولة إعادة دقات قلبها المجنونة إلى الإنتظام، كلماته فعلت بها الأعاجيب.

وشوش أذنها هائما في بحور عشقها: بحبك يا ندى قلبي

أدارها إليه ناظرا إليها بشغف وحب شديد، فتحت عينيها ببطء ترى تلك النظرات الولهانه في أباريق حبها، رأى نظراتها شديدة الغرام به فضمها إليه بقوة مستمعا إلى نغمات قلبها المجنونة، ابتسم بسعادة واقترب برأسه كما شفتيه وغابا في عناق طويل حتى حملها وسار بها متعلقة برقبته إلى السرير.

توقفت ندى عن الحديث بسبب دخولها في نوبة بكاء هستيري حسرة على تلك الأيام واللحظات التي أشعرتها بحبه، منذ ذلك الوقت توقف كلامه المعسول عن الإنسكاب في أذانها.

حاولت فريدة التخفيف عنها: طيب براحه خدي نفسك .. مش كدا يا ندى

انهارت وزاد نحيبها: تعبانه يا فريدة !، واحشني آدم اللي حبيته، مش عايزه آدم اللي بيحتقرني دا .. اللي لو إيده لمست إيدي بالصدفة يسحبها كأن لدغته عقربة

داعبتها فريدة بخفة علها تهدأ: ما هو تقريبا برج العقرب عامل شغله معاكي

ظهر شبح ابتسامة على وجهها: ما إنتي كمان برج العقرب ياختي ولا نسيتي

ضحكت: لا ما نستش ياختي، ماهو أهلك علموكي كدا أتريقي أتريقي .. بس الحمد لله إنك مش برج الدلو كان زمانه دلوقتي غرقان مش ملدوغ

شاركتها الضحك تاركة بقايا دموعها تجف وحدها: تصدقي صح

حدقت بها بغيظ مصطنع: ومن إمتى أنا بأقول حاجه غلط يعني ؟ .. بس لأغلط فيكي

ابتسمت: طب خليني أكملك

فريدة بجدية: لو مش عايزه نكمل دلوقتي وترتاحي مافيش مشكله .. نكمل بعدين عادي يعني

ندى بجديه مماثلة: لا هأكمل دلوقتي، كدا كدا أفتكرت كل حاجه وما فاضلش كتير أوي

هزت فريدة كتفيها منصاعة: اللي يريحك

أكملت ندى رواية قصتها فيما تحاول مغالبة الدموع التي كانت تريد الخروج من محجرها وتعبر عما يعتمر بداخلها لكنها تعلم أن الدموع لن تفيدها في شئ بل ستسبب لها ألما آخر فوق ألمها.

***

هبطت الطائرة في المدرج المخصص لها، أنهى إجراءاته متعجلا، لقد دب الإصرار أكثر في قلبه وعقله، سينجح في مهمته مهما كانت النتيجة وسيتمها على أكمل وجه.

خرج ووجد سائق وسيارة حديثة في إنتظاره كي يقلوه إلى المكان الذي يرغب، سلم السائق ورقة تحمل العنوان الذي يريد التوجه إليه.

أومأ السائق سريعا وفتح الباب الخلفي خافضا رأسه حتى ركب سيده ثم انطلق مهرولا يستقر في مكانه خلف المقود ويدعس على البنزين بعد أن تم تحديد هدفه.

***

نهض آدم فجأة يتناول بنطاله ويرتديه فيما نظرة مرعبة قد تجسدت في عينيه، مفزوعة من تلك النظرة سألته مترددة بينما تلملم أطراف الغطاء حول جسدها: في إيه يا آدم؟

رمقها بنظرة الشرار يتطاير منها ثم أشار لها على جزء من الفراش قائلا: إيه دا؟

حدقت حيث أشار لا تفهم مقصده: هو إيه اللي إيه دا؟ مش فاهمة حاجه؟ ومش شايفه حاجه

كز على أسنانه محاولا كظم غيظه: ما هو أنا بردو مش شايف حاجه عشان كدا باسألك

فقدت السيطرة على أعصابها فهي لا تعلم عن ماذا يتحدث ولا تعجبها نبرة صوته، نظراته مملؤة باتهامات لا تعرفها ولا تدرك سببها، هتفت بعصبية بينما تنهض مرتدية روبها: مش فاهمه حاجه !.. ما تفهمني

بهدوء ظاهري فقط: مافيش دم ليه؟

تعجبت وقطبت جبينها: دم إيه؟ وليه؟

بدأ يفقد تحكمه في أعصابه: الدم اللي المفروض ينزل ع الملايه .. لو حضرتك فعلا أول مرة تتجوزي وكنتي بنت بنوت

صدمت من مغذى إتهامه: كنت إيه؟

قضت دقيقة كاملة تستوعب حديثه وما يقصده، أجابته بصوت هادر: نعم ؟؟، قصدك إيه يا آدم .. أنت بتطعني ف شرفي

على صوته صائحا: والله اللي شايفه هو اللي يجاوبك يا ست هانم

لم تستطع ندى الإجابة فقد تركها وغادر الغرفة مسرعا بعدما أرتدى كامل ملابسه على عجل، جلست مستندة إلى مقدمة السرير، تبكي إتهاماته التي ليس لها أساسا من الصحة، لا تعلم ما

حدث .. كل ما تعرفه أنها لم تحب غيره ولم يمسك يدها سواه فكيف يتهمها في شئ كهذا ؟ .. في شرفها، كانت تظن أنه سيحميها ويصون عرضها تجده من يتهمها بإهداره ؟؟

مرت عدة ساعات على ذهابه، استحمت وأدت فريضة الظهر فقد كانت تتابع الآذان عن طريق تطبيق وضعته على هاتفها المحمول وذلك كان من ضمن استعدادها للسفر، عاد آدم ودخل قائلا بدون مقدمات ودون النظر إلى وجهها: قومي إلبسي عشان خارجين

أجابته دون النظر إليه هي الأخرى: مش عايزه أخرج

انفعل: أنا قولت هتخرجي يعني هتخرجي

نظرت له: على فين ؟

ردد بنبرة حادة حازمة: هنروح للدكتور عشان أفهم إيه اللي حصل

تعجبت من كلامها، سألته هامسة تُكذب ظنونها: وأروحله ليه ؟

أجابها مبعدا عينه عن الإلتقاء بنظراتها الثاقبة: عشان أعرف دي حالة طبيعية من الحالات اللي بتحصل عادي ولا فعلا خنتيني

اتكأت على مسند الأريكة فيما تنهض من فوقها، وجهت إليه نظرت كأنها قطعة من سجيل، بغضب جم صرخت به: خنتك ؟! ودكتور ؟!، أنت من كل عقلك جاي تاخدني لدكتور يكشف عليا ؟ مش مصدقني لما قولتلك إن أنت أول واحد ف حياتي ؟ إذا كنت حضرتك مش مصدق ف دي مشكلتك وأنت حر فيها لكن أنا مش رايحه لدكاتره

أحس آدم ببعض الذنب فهو يشعر أنه يظلمها في حكمه، ثقته بها أكبر من ذلك لكن رجولته ودماءه الصعيدية الجارية في عروقه تمنعه من فعل عكس ما ينويه الآن، أجابها بهدوء: ولو حضرتك ما جتيش معايا دلوقتي عند الدكتور هاتأكد إنك خنتيني وخايفة تنكشفي

صمتت قليلا تفكر في منطقية حديثه، إذا رفضت ستترسخ الظنون برأسه ويختلق حولها ما لذ وطاب من خيالات وسيناريوهات، وإذا قبلت أهانت نفسها وكسرت كبرياءها أكثر مما فعل بشكه، أجابته أخيرا بهدوء ليس لتظهر أكثر ثقة بل لفقدانها القوة الكافية للإتيان برد فعل أقوى: ماشي يا آدم، هأروح معاك

ارتاح آدم لقرارها فقد زاد شعوره ببراءتها أكثر، زفر مرتاحا، استدار كي يذهب لتبديل ملابسه لكنه توقف عند سماعه كلماتها التالية التي كانت كخنجر مسنون غرس في صدره على حين غفلة: بس لما الدكتور يقولك إن أنت أول واحد يا آدم هتطلقني وهترجعني لأهلي لإني ما اتشرفش بالعيشة مع واحد أتهمني ف شرفي وكمان .. ف ديني

انصرفت عنه ودخلت الحمام، اغلقت خلفها بابه لتفتح باب شلالات الدموع التي بدأت ولم تتوقف حتى الآن.

ربتت فريدة على كتفها بيد ومدت لها محرمة باليد الأخرى: بس في أنواع من غشاء البكارة بيكون من النوع المطاط يا ندى يعني مش بيتقطع وبيفضل كدا، يعني الست تفضل متجوزة سنين ومع ذلك كأنها بكر .. وفي ناس عشان ترتاح بتعمل عملية تفضه بيها

زاد نحيب ندى مفسرة: ما هو المصيبة إن الدكتور قال له الغشاء بتاعي من النوع اللي بيتفض، وإن فعلا كان ليا علاقة سابقة مع واحد

صعقت فريدة: إيـــــه ! إزاي دا ؟

من وسط نحيبها وشهقاتها: مش عارفه .. مش عارفه .. أنا لحد دلوقتي مش عارفه حصل إزاي وإمتى ومع مين .. أنا عمري ما شربت خمرة ولا مخدرات عشان مثلا أقول كنت مش ف واعيي لما حصل دا .. ولا عمري خرجت مع حد مش مُحلل ليا .. حتى مصطفى أنتيم أكرم عمري ما قعدت معاه لوحدنا كان بيبقى معانا حد

مدت لها كوبا من الماء: طب وحصل إيه بعد كدا ؟

عادت ندى بذاكرتها بعد إعلان الطبيب دليل جُرمها وتأكيده أنها أقامت علاقة مع أحد قبلا، كانت الصدمة متملكة من ندى؛ فلم تلحظ خيبة الأمل التي شعر بها آدم ولا نظرته المنكسرة التي حلت محلها أخرى غاضبة رمقها بها طوال طريق العودة إلى الفندق.

جلسوا في جناحهم صامتين كل منهما في أحد أقطاب الغرفة كأنهم إشارات متنافرة، لا ينبس أيا منهما بكلمة واحدة، لم يحاول أحدهما قطع حاجز الصمت القائم؛ فماذا تقول ندى وهي لا تستوعب ما قاله الطبيب، وماذا يقول آدم ليعبر عما يشعر به من غدر جاءه من الإنسانه التي أحبها بشدة أكثر من أي شئ بهذا العالم، وكأن الهاتف لم يتحمل هذا الصمت أكثر فكسره بصوته العالي معلنا عن وصل مكالمة لندى أفاقت ندى من شرودها ونظر آدم إليها

فيما تبحث عن هاتفها بين فتحات الحقيبة وتخرجه مجيبة، مسحت بعض العبرات التي نزلت رغما عنها، أجابت بهدوء: أيوه يا ماما

انتفضت من مكانها فزعة وهي تصرخ: إيـــــه ؟ إنتي بتقولي إيه ؟! إزاي دا حصل؟ .. طيب طيب .. خلاص أنا جايه

أغلقت الخط فلم يستطع آدم منع نفسه عن سؤالها: في إيه ؟

نظرت له والدموع تتجمع في مقلاتيها: بابا جاتله أزمة تاني ونقلوه المستشفى .. لازم أسافر دلوقتي

لما يستطع منع نفسه فبرغم كل شئ مازالت ندى قلبه فاقترب منها وهو يضمها إلى صدره، شدت عليه أكثر متمسكة بقربه منها كأنها تخاف أن يختفي أو يذهب بعيدا: أكيد طبعا هننزل حالا .. بس أهدي

تركها ليحجز على أول طائرة إلى القاهرة ولحسن الحظ يوجد مقاعد فارغة على الطائرة المنطلقة بعد ثلاث ساعات، استعدوا وانطلقوا إلى القاهرة.

ما إن وصلوا حتى ركضت ندى مسرعة إلى والدتها تضمها في محاولة لتطمئنها وتطمئن في ذات الوقت.

خرج والدها من المستشفى وعاد إلى منزله بصحبة الجميع، أقنعته زوجته بضرورة الذهاب إلى غرفته كي يرتاح وصعدت معه تاركة أكرم وأحمد مع ندى وزوجها.

أحمد: ندى ياريت تقعدي إنتي وآدم هنا .. البيت كبير وهيكفينا كلنا

رفعت رأسها المنكس متعجبة: ليه؟

أوضح أكرم: علشان أبوكي وأمك .. مين هيخلي باله منهم؟

أحمد: أنا الشركة ورايا ومشغول فيها على طول

أكرم: وأنا خلاص بأنهي ف الماجستير ماينفعش أقف دلوقتي دي مناقشتها كمان شهرين

تدخل آدم: خلاص ما تحملوش هم أنا وندى هنفضل هنا .. صح يا ندى؟

نظرت له مستغربة قراره لكنها أيدته: أه أه طبعا

بعد أن أصبحوا تحت سقف غرفة واحدة، استدارت إليه: أنت ليه قولت إننا قاعدين؟

أجابها آدم بهدوء بينما أتجه إلى حقيبته يرفعها فوق الفراش حتى يخرج ملابسه ويبدل ما يرتديه إلى شيء أكثر راحة: عشان ما يصحش تسيبي أهلك ف الظروف دي

جلست على مقعد طاولة الزينة نظرها متعلق بجانب وجهه المواجه لها: طب ما أنا هأقعد معاهم بردو بعد الطلاق .. ما طلقتنيش ليه وقعدت هنا معايا

أصابت جسده رعشة لكنه تمالك نفسه وحدثها ببرود أتقن ممارسته لسنوات عد لاحقة: تطلقي بعد جوازك بأسبوعين؟ .. بابكي لو سمع أصلا إن في بيني وبينك زعل الله أعلم هيحصله إيه .. نسيتي كلام الدكتور إنه مش لازم يسمع خبر يضايقه؟

نظرت له بتمعن، ترغب في الوصول إلى ما يثلج قلبها: وأنت يهمك بابا أوي كدا؟

نظر لها آدم مستغربا سؤالها: أكيد طبعا .. بالرغم م اللي عملتيه فيا بس ف الآخر الراجل ما غلطش ف حقي ف حاجه

زفرت: بردو مُصر إني خنتك؟

ثارت أعصابه من جديد لتذكره تصريح الطبيب، نهرها غاضبا: مالوش لازمه الكلام، إحنا هنفضل عايشين سوا لحد ما أخوكي ياخد الماجستير عشان ما نشغلوش بمشاكلنا .. وكمان لما باباكي يخف .. بعدها كل واحد يروح لحاله .. أنا تعبان وعايز أنام، أعتقد السرير واسع يقضيني أنا وإنتي وكل واحد ف جنب .. تصبحي على خير

تركها ونام على أحد جانبي الفراش مديرا ظهره إليها، نامت على الطرف الآخر تحاول أن تكتم دموعها وتستسلم للنوم.

استيقظ آدم من نومه الذي استغرق فيه كأنه لم ينام بهذه الراحه منذ أعوام وشعر برائحة زكية يعرفها تزكم أنفه فتح عينيه ليرى ندى نائمة بين ذراعيه ومطوقة إياه من خصره وقد اسندت رأسها إلى قفصه الصدري، تأمل وجهها .. كانت تشبه الملائكة لكنه تذكر خيانتها له، نهض بسرعة مكتشفا أنه من تسلل للطرف الخاص بها يبحث عن دفئها، استدار متجها إلى الحمام كي يضع رأسه أسفل صنبور المياه عله يفيق من سُكر عشقها.

حثتها فريدة على المتابعة: وحصل إيه بعد كدا؟

قهقهت ندى على لهفة صديقتها الملحوظة: أول مرة أعرف إن عندك فضول زينا

شاركتها فريدة: هههههههه عندي بس على طول بأقول لنفسي وأنا مالي .. إنما إنتي حكايتك دي ماينفعش فيها غير وبعديـــن ؟!

– هههههه ماشي ياستي، ولا قبلين .. فضلنا ع الحال دا شهرين لحد ما أكرم أخد الماجستير ويومها ماما أصرت تعمله حفلة .. إزاي ابنها ياخد شهادة زي شهادة الماجستير من غير ما تعمله حفلة؟ .. المهم يوم الحفلة كنت حاسه إني مش طايقه نفسي، خصوصا إن بابا خلاص خف وكدا آدم هيطلقني

– بعد كل اللي فكره فيكي عايزة تفضلي معاه؟

تنهدت: عذرته .. دا راجل مهما كان، غير إني بأحبه، المهم بقى كل ما أشم الخروف اللي بيشوه ف الجنينة أتعب وأحس أني .. سوري يعني .. هأرجع وأجري ع الحمام .. وبالليل فجأة وإحنا كلنا بنتكلم دوخت .. مصطفى هو اللي لاحظني وآدم كان واقف بعيد بيتكلم مع بابا وناس صحابه .. مصطفى جري عليا ولحقني قبل ما أقع ع الأرض وشالني بسرعة وطلعني على أوضتي .. وزعق ف الخدامين عشان حد يتصل بالدكتور

ضاقت عيون فريدة متشككة: إنتي إيه حكايتك مع مصطفى ؟ .. واخدين على بعض أوي

غمزتها: ههههه بتغيري يا بيضا؟

تمالكت فريدة نفسها: غيرة إيه إنتي التانية ؟؟

– هههههه ع العموم يا ستي ولا حكاية ولا رواية .. كل الموضوع إن أنا كنت على طول مع أخته الصغيرة وكنا شبه بعض ف حاجات كتير .. ولما حصلت الحادثة اللي ماتت فيها أخته مع باباه ومامته اعتبرني تعويض عنها وبقى يشوفني زيها بالظبط

تفهمت الوضع بينهما: ااه .. بس، هو آدم يعرف الكلام دا ؟

– آدم ؟ .. آدم كل ما يسمع اسم مصطفى قدامه يتعصب ويفضل يزعق ولما أحاول أحكيله يادوب أقوله "أصل مصطفى ..." ومن قبل ما اكمل يقولي "يوووه مصطفى مصطفى ربنا يخليهولك" ويسبني ويمشي، وأنا ما بقتش أحط ف دماغي بقى

نصحتها: بس خلي بالك آدم بيغير عليكي من مصطفى

أشارت إلى فؤادها بإبهامها: لو يدخل قلبي مش هيلاقي غيره .. قلبي بيدق باسمه على طول ومش حاسس .. عامل بينه وبيني حاجز .. كل لما أحاول أهده يرجع يبنيه من تاني

اسندت قبضتها إلى وجنتيها: هيـــــح .. فينك يا عم آدم تسمعلك الكلمتين الحلوين دول

– ههههههههه المهم الدكتور جه وكشف عليا وطلعت ...

قاطعتها صارخة: حـــاامل

حدقت بها مندهشة: وإنتي عرفتي منين يا مصيبة؟

تراجعت في جلستها ووضعت ساقا فوق الأخرى منتشية: من الأفلام، مش بتدوخي وبترجعي ونفسك مش رايحه للخروف .. يبقى أكيد حامل .. أومال عندك زُكام ؟؟

أكملت ندى ضاحكة: ماشي يا فَكيكه .. كان نفسي تشوفي صدمة آدم ولما الدكتور نقلني المستشفى عشان يتأكد إن كله تمام وعرف إن عمر الطفل شهرين .. يعني حملت من ليلة الدخلة فما يقدرش يقول إنه مش ابنه

ضربت كفا بكف: يا واد يا قوي، من أول ليلة ؟ ما شاء الله دا إنتي ما صدقتي بقى هههههه

ضربتها بقوة قبضتها على كتفها: ما تتلمي يا بت .. دا جوزي بردو

– هههههه ماشي يا جوزك .. كملي

شردت متذكرة كيف كانت فرحته عند علمه بحملها من قبل أن يخبرهم الطبيب أن عمر الجنين شهرين فقط، معنى ذلك أنه ليس لديه شك وأن شكه بها كان مجرد أمر طارئ خلال لحظة عابرة ذهبت لحالها، قررت أن تبدأ معه من جديد هي وهو وطفلهما فقط. حياة سعيدة مكتملة في نظرها فيكفيها حبيبها وشريك عمرها، وأيضا هدية الله لهما (طفل) يقربهما أكثر لبعضهما.

عندما عادوا إلى المنزل وانفردت مع زوجها في غرفتهما أخبرته عن أمانيها لكن رد فعله صدمها، قال آدم بحزم: ندى مافيش حاجه بينا هتتغير

بعدم فهم: يعني إيه .. مش فاهمة ؟

تنهد: يعني علاقتي أنا وإنتي هتفضل زي ما هي .. الفرق إننا مش هنطلق

لوت فمها ساخرة: وجاي على نفسك أوي كدا ليه .. ما تطلقني وتخلص

نظر إليها آدم نظرة ثاقبة: لو هتديني ابني وهيفضل معايا وتتنازلي عن حضانته؛ أنا ما عنديش مانع أطلقك .. من دلوقتي حتى

نظرت له مصعوقة: وأنت فكرك إني ممكن أسيب ابني ؟!، دا بعينك

أومأ متفهما: عشان كدا بأقولك هنفضل زي ما إحنا وابننا، بينا أنا وإنتي وتحت نظرنا من غير ما حد فينا يتحرم منه

حدقت به غير مصدقة، هل هذا من توقعت أنه سيحلق في أعالِ السماوات من سعادته بقرارها في العودة كما كانوا .. كرامتها أبت عليها أن تتحدث أو تذل نفسها أكثر، قررت أنها لن تحاول استعطافه أو إعادته إلى حبها؛ فإن كان يحبها حقا سيعود وحده وإن لم يكن فهذا قراره وستتحمله ولو ... مجبرة.

ختمت الحديث: ومن ساعتها لحد دلوقتي وإحنا على الحال دا بس بعد ولادتي بكام شهر جاله شغل ف أمريكا، سافرنا وماما وبابا جم ورانا عشان أتعلقوا بسيف أوي .. وكدا كدا أكرم وأحمد كل واحد مشغول بحياته

تعجبت فريدة: يعني عمر ما حصل بينكوا حاجه أو قربتوا من بعض من ساعتها خالص؟

زفرت بقوة: خـــالص بنام ف نفس الأوضة .. على نفس السرير وضهر كل واحد فينا للتاني .. بس آخر فترة حسيت أنه فاض بيا .. بقيت أدخل معاد النوم معاه الأوضة ينام وأنا أصلي واقرأ قرآن بعدين أروح أنام شويه جنب سيف ف أوضته .. دا لو جالي نوم يعني، وبعد ما أصلي الفجر مع سيف أرجع أنام أنا وهو جنب بعض

- هو سيف بيصلي؟ وكمان الفجر؟

ضحكت لدهشتها: أه يا ستي، ولو يوم صليت من غيره أو ما صحيش معايا بيبقى يوم مش فايت

هتفت بسعادة: أربع سنين وكدا ؟، بجد ما شاء الله تربية ولا أحسن، ربنا هيكرمك ما تقلقيش بسبب سيف دا

- آمـين يا رب العالمين

عادت للموضوع الأصلي: ولسه لحد دلوقتي مش عارفه إيه اللي حصل ؟

فهمت مقصدها: والله أنا هتجنن يا فريدة، عقلي هيطير مني .. مش فاكرة أي حاجه توصلني للي حصل

قاطعهم صوت سيف وهو يركض بإتجاههم صارخا فيما مرام تتبعه على مهل: مامي مامي

هتفت مرام فيهما بحنق: بقى الواد مقطع نفسه مامي مامي، وأنتوا قاعدين ترغوا هنا؟

فريدة: حقك على راسنا يا ست مرام

هزت مرام رأسها بتكبر مازح: تقبلته تقبلته

ضمت صغيرها: وحشتك أوي كدا يا سيف؟

سيف متشبثا بها: طبعا يا مامي .. إنتي حبيبتي

تقدم منهم آدم بعد أن أنهى قراءة أحدث المقالات في المجال الطبي: يا سلام يا سلام الحب ولع ف الدرا .. وأنا ماليش كلمة حلوة يا سي سيف ؟

نظرت ندى إليه متسائلة: أومال فين أكرم ؟

هز كتفيه جهلا: مش عارف، أخده مصطفى وخرجوا ولما سألتهم قالوا وراهم مشوار .. قال في حرامي عايزين يمسكوه باين

انتفضت فريدة بفزع: ربنا يستر ما يودوش نفسهم ف داهيه

أصاب مرام أيضا الرعب كشقيقتها: ربنا يحفظهم

ندى بعدم فهم: هو في إيه ؟

نظرت إليها فريدة: هأحكيلك بس الأول نروح ناكل لأحسن العشا خلاص قرب وأنا هفتانه بعيد عنك

ابتسم آدم: القاعدة قدام البحر بتجوع

ابتسمت فريدة ناظرة إلى ندى: والقاعدة مع مراتك بتجوع أكتر .. يلا بينا

أمام مكتب الاستقبال داخل فندق قابلوا باريهان، كانت واقفة تنتظر مفتاح غرفتها لمحتهم فتوجهت لندى بابتسامة منافقة: إزيك يا نادو عامله إيه ؟

كانت ندى تعلم حقيقة مشاعرها وأن لطفها المصطنع من أجل كسب شقيقها ليس حبا فيها: الحمدلله يا باريهان إزيك إنتي؟

هزت باريهان رأسها ناشرة خصلاتها الناعمة في هالة جميلة حولها: نو نو، إحنا مش إتفقنا تقوليلي باري بس وأنا أقولك نادو؟

حدثت مرام نفسها سرا: يا شيخة إتلهي وإنتي عاملة زي الخلة اللي راشق فيها زتونة كدا

ندى بملل: معلش نسيت يا باري

غمزتها باريهان: أيوه كدا .. أومال فين أكرم ؟ ماشوفتوش

أجابتها: خرج مع مصطفى ف مشوار

نظرت لمرام نظرة جانبية حتى تتأكد من سماعها للحوار: أهـا، أصله قالي إنه هيخرجني بالليل .. ع العموم أنا هأطلع أرتاح لحد ما يجي .. تشـاوو

غادرت باريهان دون أن يرد سلامها أحد، صرح سيف مقطبا ببراءة: أنا مش بأحب دي يا مامي

أشار بأصبعه الصغير إلى ظهر باريهان، سعدت مرام بقوله فانحنت إلى مستواه وأمسكت ذقنه ثم طبعت قبلة طويلة على خده الممتلئ: حبيبي أنت يا سيفو، أبقى قول لخالك الكلام دا بقى

لكزتها فريدة في ذراعها وعينيها ترسل إليها حمما تذكرها بما أتفقتا عليه، لاحظت ندى الحركات الجانبية مما جعلها تعلق: ههههه إنتي بتحبيه ولا إيه يا مرومه ؟

خجلت مرام وتأتأت في الرد: أنا؟ أنـ... ا.. ا

ضحكت ندى من إرتباكها: خلاص خلاص، أنا فهمت أصلا من ا ا ا دي

جذب سيف طرف ثوب فريدة حتى تنتبه إليه: إنتي اسمك إيه؟

انخفضت إلى مستواه حتى تجيبه لكن سبقها صوت تعرفه جعل خفقات قلبها تزداد: فريدة

سيف مفكرا كأنه يتذوقه: حلو

نظر مصطفى إلى فريدة معلقا: أنا بأقول كدا بردو

تساءل أكرم: واقفين بتعملوا إيه هنا؟

أجابته شقيقته: كنا هندخل نتعشى دلوقتي

دمدمت مرام محدثة سيف: بأقولك يا سيف ما تشوفلنا اسم دلع لفريدة أحسن مش لاقينلها حاجه خالص

وضع سيف أطراف أصابعه فوق ذقنه وذم شفتيه مفكرا: إممـــــم

داعب خصلات شعر صغيره قائلا بمزاح: بتقولك اسم دلع مش اخترع الذرة يا دكتور سيف

قطب سيف: ما أنا بأفكر أهو

مصطفى: طب فكر يا ابن الدكتور

آدم بمزاح: ماله ابن الدكتور يا ضغوف

عض مصطفى بطانة شفتيه: هي وصلتلك أنت كمان ؟ شكلي كدا هأتعشى بأكرم إنهارده

ضحك أكرم: وأنا مالي، أنت اللي وشك بيقول إنك ضغوف .. مش ذنبي

قاطعهم سيف صارخا بفرح: لاقيتها .. هأقولك يا ديده

قهقه مصطفى: ديده ؟ .. ديده على وزن حديده

ظهر تعبير مشمئز على وجه ندى: تصدق إن دمك تقيل أوي

آدم ناظرا لندى بانتصار: قولت كدا ماحدش صدقني

سيف غاضبا من مصطفى ورفع أصبعه أمامه: ما تتريقش على اسم ديده

أدعى مصطفى الجدية بينما يؤدي تعظيم الضباط قائلا: تمام يا فندم

ثم نظر إلى فريدة مكملا: أنت تُأمر يا قمــر

لاحظ أكرم نظرات فريدة النارية لمصطفى: أنا بأقول ندخل نتعشى، بدل ما في حد كدا عارف نفسه نلاقيه سايح ف دمه

تحسست ندى معدتها: يلا أحسن أنا وفريدة هنموت من الجوع

سيف معدلا بحنق: ديده

ضحكت أمه: خلاص سمتها ديده؟ .. ديده ديده يا سيدي ولا تزعل

أنضمت هند إليهم على طاولة الطعام، انشغل كل فرد منهم في تناول وجبته، لقد كان يوما طويلا مجهدا على أغلبهم، سألت فريدة بقلق: لاقيتوه؟

لكت ندى لقمة صغيرة في فمها: أه صحيح عملتوا إيه؟

استغرب أكرم: وإنتي عرفتي منين؟

ندى: فريدة حكتلي الحكاية وإحنا جاين ع الفندق

توقف مصطفى عن تناول طعامه وحدق في فريدة يحاول أن يستشف سبب قلقها، هل كان عليه هو أم على ذاك المحتال؟

أجاب مصطفى بجدية مترقبا رد فعلها: مالاقينالوش أثر

زفرت بينما ارتخت كتفيها كأن حملا ثقيلا قد سقط من فوقها: الحمدلله

لاحظها مصطفى، فهتف بغضب: شكلك تعرفي مكانه ومخبية علينا؛ عشان ما نمسكش حبيب القلب

رفعت رأسها وأطلقت صوبه نظرات نارية: عن إذنكوا .. هأطلع أصلي العشا عشان ما يروحش عليا

غادرتهم فريدة ولحقت بها هند متججة بنفس عذر شقيقتها، نقل سيف بصره بين وجههم على التوالي قبل أن يستفسر ببراءة شديدة: هي ديده زعلت ليه؟

رفعه آدم فوق قدميه: ما زعلتش ولا حاجه هي بس راحت تصلي .. تيجي نروح نصلي إحنا كمان ؟

سيف بفرحة: يلا

انطلق آدم بصحبة سيف مبعدا إياه عن التوتر؛ لأنه حساس ولديه من التوتر الذي يراه بين والديه ما يكفي ويفيض، وجهت ندى حديثها إلى مصطفى حالما تأكدت من إبتعاد زوجها وطفلها: ماكانش له لازمه الكلام دا يا مصطفى

التفت إليها بعصبية زائدة: يعني ما شوفتيش فرحت إزاي لما عرفت إننا ما لاقنهوش ؟؟

حاولت توضيح موقف فريدة: عشان خافت هي ومرام إنكوا تلاقوه تعملوا فيه حاجه وتروح أنتوا ف داهيه .. يعني خافوا عليكوا أنتوا .. مش عليه

نظر أكرم إلى مرام يتأكد من صحة كلام شقيقته: خوفتي عليا يا مرام ؟

حاولت الثبات أمام نبرته الحانية: باريهان سألت عليك .. ياريت تبقى تشوف خطيبتك كانت عايزاك ف إيه

نهضت منصرفة وتركت نظرات أكرم تلاحقها، لقد ألقت تلك الكلمات عمدا حتى تذكره بأنه ليس خالِ الوفاض كما يظن، هناك أخرى بحياته وطالما هي موجودة فلن تعبر عن مشاعرها أبداً.

ندى لأخيها: معاها حق يا أكرم، ياريت قبل ما تفكر ف مرام .. تقفل كل حاجه قديمة الأول

– ماما وبابا فين؟ مش هيتعشوا؟

مستسلمة لتغيير دفة الحديث أجابته: لا اتعشوا ف أوضتهم؛ بابا مشي كتير إنهارده ع البحر لحد ما تعب وقرر يستريح .. وماما معاه طبعا

عاد أكرم للتركيز على صحنه دون أن يعقل أي كلمة من إجابة شقيقته على سؤال، فقط ردد ببلاهة: طيب

شرد مصطفى في سعادته الخاصة لمعرفته بمدى خوف فريدة عليه، لقد كان غاضبا حين أتى على ذهنه أنها تحب هشام، لكنه تأكد الآن من حبها له وحده .. وبدأ يفكر في طريقة ملائمة لمراضتها دون أن يفسد الأمور معها أكثر من ذلك، فلقد تعب من كثرة الخلاف بينهما.

***

هاتف أحمد والديه يخبرهم عن موعد وصوله، طلب منهم أن يكون الجميع دون استثناء واقفين في بهو الفندق لاستقباله، تعجب والديه لهذا الطلب ولكن لم يملك أيا منهم حق الإعتراض.

وقف الجميع بإنتظاره والحيرة على وجوههم، فإذا خص إخوته استقباله فما شأن أشقاء سكرتيرته، أتضح الأمر كاملا عندما وصل برفقة شخصين طال غيابهما.

هتفت إيمان حالما رأت بناتها الثلاث واقفات أمامها محاولة كبت شهقات دموعها: وحشتوني يا بنات

أسرعت الفتيات للإرتماء في حضن أمهن دون أي تردد أو لحظة تفكير، مجرد رؤيتهن لها أمامهن سالمة معافاة أنساهم إختفاءها عن محور أحداث حياتهم لثلاث سنوات، حتى مرام ركضت لأمها بسعادة، مشتاقة لحنانها وحضنها الدافئ؛ فبالرغم من حنان فريدة عليها لكنها في النهاية (أختها)، أما المرأة التي تبلغ من العمر ما يتعدى الخمسين عاما هي من ولدتها ولا يعوض عن حنانها مخلوق.

انخرط الجميع في البكاء، حتى ندى و صابرين بكوا لبكائهم، أشفق آدم على حال زوجته فمد يده يجذبها إلى صدره كما فعل ياسين مع زوجته، تمسكت به ندى بقوة مما جعله يزفر مرتاحا؛ فقد خشي أن تدفعه وتصده.

ظل سيف ينقل بصره بين من حوله، ينتقل من وجه باكٍ إلى آخر على وشك البكاء وتجمعت الدموع بحدقتيه: هو في إيه ؟!

حمله أكرم بينما قال له مصطفى محاولا إنهاء حالة التراجيديا التي ملأت المكان: في محشي تأكل ولا تحشي؟

خرجت ضحكة من بين الأدمع، أخرج أحمد علبة قطيفة حمراء اللون، لمس الأرض بإحدى ركبتيه فيما الأخرى تقف في مواجهة صدره، فتح العلبة أمام هند المصدومة من فعلته ولا تجد لها مبررا يُعقل: تتجوزيني؟

فغر الجميع فمه دهشة، لقد قرر أحمد أخيرا الزواج لكن ليس بالطريقة التقليدية بل راكعا أمامها يترجى موافقتها أمام من يعرفونه ومن يجهلونه.

وضع عبدالرحمن كفه على كتف صهره المستقبلي: إحنا ما أتفقناش على كدا يا ابني

لم يحرك عينيه عنها: ما أنا عايز أعرف ردها عشان أتقدملها بقلب جامد

ابتسمت إيمان بحنان، رُزقت ابنتها بزوجٍ كأحمد: خلاص سيبه يا عبد الرحمن

ترجع الأب مستسلماً: طيب لما نشوف أخرتها

حثها أحمد على الإجابة: ها ؟ ما ردتيش ليه ؟ مش موافقة ؟

تقدمت فريدة من شقيقتها تقف إلى جوارها تعطيها الدعم الكافي وتوقظها من أحلام يقظتها، لكزتها في ذراعها قائلة بمرح: مش موافقة إزاي ؟ دي هتموت من الفرحة ولا إيه يا عروسة ؟

ضحكت ندى على رد فعل صديقة طفولتها: إنتي متنحة كدا ليه يا هند؟ أول مرة أشوف عروسة بتنح كدا

ابتسمت صابرين: الصدمة بتعمل أكتر من كدا

وقفت مرام على الجانب الآخر من شقيقتها العروس: لا لا كدا كتير .. يا بت فوقي

اتسعت ابتسامة فريدة الماكرة: أنا هأفوقها دلوقتي

اتجهت إلى أحمد، قالت بوله مصطنع: أنا بأقول الخاتم دا عليا يبقى شكله أحلى .. ولا إيه؟

أفاقت من غيبوبتها صارخة: لا !

انفجر الجميع ضاحكا، تركت ندى جانب زوجها ووقفت خلف فريدة تمسك كتفيها محيية: أه يا لئيمة عرفتي تفوقيها

استقامت في وقفتها تعدل من وضع ربطة عنق وهمية: إحم إحم .. تربيتي بقى هههههه

عاد أحمد يُصر على سماع إجابتها: يا هند موافقة ولا إيه ؟ .. أنا ركبي نملت

صاح به مصطفى: ما تجمد ياض شويه

أضاف أكرم: عرتنا يا أخي

مرام: قصدك قتلت الرومانسية يا أخي

همست هند أخيرا بخجل وهمهمة بالكاد استطاع سماعها: موافقة

لم يصدق ما سمعته أذناه فحثها على تكرار موافقتها: إيه؟

اسندت فريدة خدها إلى قبضتها الصغير متنهدة: هيـــــــــح بولوبيف

كان كل من مر بهم يتوقف كي يرى رد فعل العروس، تعالى التصفيق والصفير في المكان تحية للعريس ومباركة له على فوزه بحوريته.

جلسوا في استراحة وعقد الإتفاق على أن يتقدم أحمد لها فور وصلهم القاهرة على حسب العادات المتعارف عليها، تعجبت من عدم إتمامها العمل الذي أتت بسببه؛ فقد حجز لهم أحمد على أول طائرة متجهة إلى القاهرة وهي بعد عدة ساعات حتى يتموا الاستعدادات قبل وصوله مع أهله لطلبها رسميا.

ابتسم أحمد موضحا: أصلي جيت الصبح بدري وخلصت كل شغلي معاه ف بورسعيد، بعدين جيت على هنا مع أهلك بس فاضل حاجات بسيطة هأخلصها وبعدين أحصلكم

تعجبت والدته من استعجاله الأمور: وليه السرعة دي يا ابني؟

أجابها معلقا نظره بهند الخجلى: أنا ضيعت وقت كتير ومش مستعد أضيع أكتر

خجلت أكثر من نظراته المدققة بها تلك النظرات الرمادية التي عشقها وعشقت صاحبها.

سألت مرام والدتها: بس يا ماما إنتي مش قولتي مش هتعرفوا تنزلوا السنة دي كمان ؟

ربت عبدالرحمن على كتف أحمد باسما بإمتنان: أحمد كتر خيره بعد ما أصر إني أنزل معاه مصر قولتله على صاحب الشركة ومنعه عني الأجازات ونزول مصر وإلا هيطالبني بالشرط الجزائي اللي ف العقد، بس الصدف إن أحمد يكون بينه وبين الشركة دي عقد والشرط الجزائي فيها كبير، هدده لو ما سمحليش أنزل إنه هيلغي العقد ويخليه يدفع الشرط الجزائي اللي أصلا أكبر بكتير من الشرط اللي حططهولي

ضاقت نظرات ياسين فوق ابنه: بس المفروض كان أنت اللي تخاف يا أحمد؛ عشان أنت اللي هتلغي ف يبقى أنت اللي هتدفع

ارتفع جانب أحد شفتيه بثقة: لا، ما هو الراجل علشان بيخسر فقبل بأي عقد وخلاص، وأنا كنت حاطط فيه شرط لو أي حد فينا لغى العقد هو ف الحالتين اللي هيدفع لإن الشركة بتاعته كانت بتوقع وأنا خوفت على شغلي بردو

دعت صابرين بأسى: ربنا يفك زنقة كل محتاج

آمنت إيمان خلفها، التفت عبدالرحمن إلى والد أحمد مباركا له فيه: ربنا يحفظ لك ابنك .. نعم التربية ونعم الرجوله

اتسعت ابتسامة ياسين فخرا بولده: ويخليك بناتك، نعم الأخلاق والدين والتربية

انسحبت الشقيقات ليجمعن أغراضهن قبل موعد إقلاع الطائرة فيما جلس البقية يديرون الحديث بينهم مستغلين الفرصة التي أتيحت أمامهم للتعرف على العائلة المقابلة التي سيرتبط اسمها باسم الأخرى.



الفصل الثالث عشر

كان سكان الحي الذي تقطنهن الفتيات الثلاث يعرفوهن جيدا، كانوا يهتمون بهم عن بعد ولا يسمحون لأحد أن يتحدث عنهن بالشر أبدا؛ فقد تربين على أيديهم ويتيقنون حسن أخلاقهم وزينة تربيتهم، فبالرغم من سفر الأب إلى الخارج ولاحق الأم به بعدها إلا أن الفتيات لم تصدر عن إحداهن أي عمل مشين أو تصرف غير لائق.

كن على العكس؛ يساعدن من يحتاج المساعدة .. كانت مرام تذهب لتلك السيدة المسنة (زنوبه)، القاطنة في أول الحي، تجلس معها وتسليها بمزاحها .. تقرأ لها الرسائل التي كانت تأتيها من ابنها المسافر لإكمال تعليمه ومن ثم تزوج واستقر هناك دون التفكير في الأم الوحيدة التي خلفها خلفه، رأت مرام حزن السيدة المكلومة على إنقطاع حتى الرسائل من ابنها المنشغل بحياته الجديدة، نسي التي حملت به تسعة أشهر وحملته وهنا على وهن وفصاله في عامين، قلقت الأم أن يكون أصاب ابنها مكروه، فكرت مرام في كُنه المكروه الذي يُصيب شخص أكبر من العقوق الذي يعتبر ثانِ الكبائر بعد الشرك بالله مباشرة، وجدت حلا تخفف به عن زنوبه حزنها، فكانت تكتب الرسائل وترسلها لها على إنها من ولدها، لم تكن تعلم أن زنوبه تفهم حيلتها تلك فهي كانت تشم رائحة ابنها في الرسائل وتشعر بها بقلبها، هي أمية القراءة وليست أمية القلب، لم تخبر مرام بمعرفتها فقد كانت تستمتع بحب مرام لها وخوفها عليها وعلى حزنها، تداوم على حمدالله لأنه عوضها بتلك الفتاة بعد تخلي ولدها عنها.

هند، الفتاة التي تحب الأطفال والتعليم حبا جما، كانت تحلم أن تكون معلمة في صغرها ولكن ما إن شبت حتى تغيرت أحلامها مثل كثير من الفتيات فتحول حلمها أن تصبح سيدة أعمال مرموقة، ليس فقط لتثبت وجود المرأة ودورها في المجتمع لكن أيضا لتثبت أنها بالرغم من كونها متمسكة بدينها وملابسها المحتشمة ومعاملتها للجنس الآخر فقط في حدود العمل وما يسمح به ربها ستكون ناجحة بل وأكثر من أي امرأة أخرى؛ لأنها نالت نجاح الدنيا بعد نجاح الآخرة.

بدأت تحقق حلم طفولتها بتعليم أولئك الصغار الذين لا يملكون ما يكفيهم من أموال للذهاب إلى المدرسة، فكانت تجتمع بهم مرتين في الأسبوعِ في المنزل المهجور بنهاية الشارعِ الذي تقطنه مُعيدة له الحياة بفضل هؤلاء الأطفال الذين تتفتح عقولهم على يديها، كان ملك أحد الساكنين بالحي وتركه تعلم فيه الأطفال وكانت الفترة التي يتعلمون فيها لا تخلو من اللعب وخصوصا عند قدوم مرام، ولا من ذكر الله وحفظ آياته مع فريدة، فما لم ينكره أحد أن الحياة عادت للمنزل المهجور ليس فقط لوجود الأطفال ولكن لرضى الله عما يحدث داخله ولإن الملائكة تحيط المكان فرِحة لفرَحة الأطفال، أطفال راغبين في التعلم لكن لم يجدوا فرصة وما إن وجدوا أيدي مرام وفريدة وهند وصاحب المنزل تمتد لهم حتى تمسكوا بها كأنها طوق النجاة، نجاة من الجهل.

إنما هل يخلو أي عمل في هذه الحياة من المصاعب؟، لا، فالدنيا إذا خلت من المصاعب أصبحت نعيما وجنة، كيف لا يقف أمامهم مصاعب خصوصا أنه عمل خيري بحت .. فقد

حاولت الشرطة القبض على الفتيات وذلك الرجل الفاضل الذي وهبهم منزله، بحجة أنهم لا يملكون ترخيص لتعليم الأطفال وعليهم الذهاب معهم إلى قسم الشرطة للتحقيق.

وقف جميع السكان ضد الشرطي ومن معه مانعين إياه من أن يقوم بهذا الفعل الدانئ، فكيف يكون مقابل الخير .. الشر ومقابل الحسنة .. السيئة، ظلوا يوضحون له ما حدث حتى أقتنع برأيهم وتركهم بل أيضا ساعدهم في استخراج الرخصة المطلوبة، أجتمع الحي فرحين فلقد أصبح لدى أبنائهم مدرسة يتعلمون فيها دون أن يقف بوجههم أحد، وكل من كان لديه طفل في سن دخول المدرسة ذهب لتلك المدرسة دليلا على مساندته لهم وتأييده لفكرتهم.

بدأت هند كل هذا وكانت صاحبة الفكرة الأساسية؛ فأصبح لها مكانة خاصة في قلوب كل من بالحي من صغيرهم إلى كبيرهم الذي تمنى أن يكون على زمنه من هم مثلها لعله وجد تلك الفرصة ليغير حياته بالعلم، تركت المدرسة لأنها وجدت نفسها لا تقارن بأولئك المتعلمين الذين يعرفون أنسب طريقة لمعاملة الأولاد فقد اعتبرت المدرسة مدرسة حكومية وبدأت الدولة ترسل إليها معلمين مختصين في جميع المجالات كما انشغلت بدراستها وكليتها تبغى النجاح بها.

أما فريدة الفتاة التي لا تختلف عن شقيقتيها بل بالعكس هي من علمتهم كيف يعطون دون مقابل؛ كانت تقول لهم دائما "طوبي للذين يعطون بدون التذكر .. يأخدوا دون أن ينسوا"، فعلى الرغم من أنها التحقت بكلية الطب البيطري إلا أنها لم تبخل بعلمها على الأخرين.

الفقير الذي يعيش على نقل الحمل بعربته "الكارو" يحتاج بشدة لحماره المتهالك، فكان كلما شعر أن حماره على وشك الهلاك يركض مسرعا إليها لتراه وتداويه من مالها الخاص وتهتم به، والمطلقة التي لديها خمسة أطفال تعتاش على تربية الطيور من حمام ودجاج وأوز وبط؛ لتجد ما يسد قوت صغارها بعد هجر زوجها لها ولهم فما إن تمرض واحدة من الطيور تطلب مساعدتها فبالنسبة لها طائر واحد يُحيي أطفالها جميعهم، وعندما تكون حالة الطائر ميئوس من شفائها .. تخبرها بوجوب بقاءه معها اليوم وستحضره في الغد، تحاول معه لكن شدة ضعفه أو مرضه يموت أحياناً، تسرع إلى البائع تحضر طائرا يشبهه وتذهب به إلى السيدة وتخبرها أنه أصبح بخير، تدعو لها السيدة بالصحة وان يعوضها بما يسعدها ويرزقها الجنة ... وغيرهم من حالات كانت تعلم قيمتها وأن علمها مفيد لهم فكان يكفيها اعتراف هؤلاء بدورها والغبطة التي شعرت بها عندما سمعت أحد أطفال تلك المرأة عندما أخبرها أنه يريد أن يصبح طبيبا للحيوانات مثلها .. هنا تتيقن أنها انتصرت لمجالها.

هذه كانت إحدى أسباب حب أهل الحي للفتيات، وعندما علموا بأن هناك من يتقدم لطلب إحدهن هللوا لها ودعوا لها بالخير وتمام الأمور، لما وصل العريس وأهله رأوا الأضواء تنير الحي، وخرج الرجال من دكاكينهم ليروا الشاب الذي سيخطف إحدى أجمل زهور الحي والتي كان يعتبرها كل منهم ابنته.

صعد العريس مع أهله وسط التهليل والزغاريط، جلسوا مع أهل العروس حتى تم الإتفاق على كافة الأمور المتعلقة بالزواج.

تم تحديد ميعاد عقد القران بعدها بأسبوع فهما يعرفان بعضهما جيدا بحكم العمل ولا حاجة إلى خطبة لزيادة التعارف، كذلك رغبة أحمد في وصول هند إلى منزله في أقرب وقت.

استدار أحمد إلى حميه: أنا بأقول يا عمي إن الدخلة تبقى بعد كتب الكتاب بشهر

انتفضت إيمان فزعة: شهر ؟!؟

تساءل أحمد ببراءة: إيه؟ كتير؟

ضحك ياسين على جهل ابنه وصحح له: لا قليل يا ابني

استهجن: قليل ؟! .. دا أنا كنت ناوي على كتب كتاب ودخلة بعد أسبوع على طول

غرقت مرام في نوبة من الضحك بصوت خفيض حاولة كتمها بينما تقف برفقة شقيقتيها خلف الستار يتابعون إجراءات الزواج وإتفاق الأهل: وجاي على نفسك كدا ليه

ضربتها فريدة على كتفها تحثها على الصمت حتى يستطيعون متابعة الحوار بينما سقط قلب هند في قدميها تخشى أن يُلغي والدها كل شيء على حين غرة.

اتسعت ابتسامة ياسين: الواد مستعجل أوي ع الجواز ما شاء الله

زمت إيمان شفتيها: بس كدا مش هنلحق نجهز حاجه

أسرع أحمد يُحل أزمتهم: انا مش عايزكوا تجهزوها .. لما نتجوز كل اللي نفسها فيه تجيبه

استنكر عبدالرحمن قوله بشدة فكأنه طعنه في مقدرته كأب في تلبية احتياجات بناته: ولو يا ابني ما يصحش! الأصول أصول

نادت صابرين على العروس لتحضر وسألتها: هند إنتي موافقة على بعد شهر دا؟ .. ومالكيش دعوة ببابا وماما إحنا هنتصرف معاهم

نظرت هند أرضا بخجل: اللي تشوفوه

هتفت صابرين منتصرة: هههههه يبقى موافقة

توجه ياسين بحديثه إلى والدها: قولت إيه يا عبد الرحمن؟

لمح في عيون ابنته سعادة لم يرها قبلا مما جعله يرضخ سعيدا فما يهمه غير راحتها، عقد النية داخله أن يُلبي احتياجاتها مهما كانت خلال الفترة المتاحة حتى تبقى معززة في منزل زوجها وأمام أهله، أجاب باسما بهدوء: قولت على بركة الله

تعجلهم العريس: يبقى نقرا الفاتحة

جلست هند بجوار والدها ورفعت كفيها أمام وجهها فيما شفتيها تتحرك بهدوء مرددة السورة، تعلقت نظراته بنظراتها عبر المسافات الفاصلة بين أصابعهم، تبسم بغبطة لم يذق لها طعما ألذ من هذه اللحظة فيما رمته هي ببسمة أطاحت بقلبه قبل أن تخفض بصرها أرضا.

أفاقا على صوت ياسين ووالدها يأمنون: آمـــين.

***

بدأت هند في تجهيز نفسها بمساعدة ندى وأختيها، ما كان عليها إلا شراء بعض الملابس بينما تكفل أحمد بالبيت حيث يملك شقة خاصة والآن يُعدها على ذوقه الخاص الذي سيعجب هند كما أخبرته من قبل مهما كان. اتفقوا على أن يقام كتب الكتاب في المنزل بينما العرس سيقام في شقة أهل العريس.

أتى العريس وأهله قبل الموعد المحدد للعقد بيومين، جلسوا جميعا يتناولون الطعام ويتبادلون الحديث معا، بعد الإنتهاء من إرتشاف الشاي والقهوة ترك الجمع أحمد وهند للإنفراد سويا.

جلست هند أمام زوجها خجلى وقد أصرت عيونه على عدم التزحزح من فوق ملامحها الفاتنة لها، ابتسامته التي صارت دائمة لا تفارقه اتسعت: هتفضلي مكسوفة مني كدا ؟ .. دا أنا حتى هأبقى جوزك خلاص

أمالت رأسها بعيدا تخفي اتساع بسمتها، أردف: معلش لو مش بأقدر أزورك وأطول بس عشان مشغول في الشقة وتخليصها

رفعت له رأسها متفهمة: ما تقلقش أنا ماعنديش مشكلة ربنا يعينك

رفع حاجبيه: يعني مش فارق معاكي زيارتي من عدمها ؟

أسرعت تنفي تهمته: لا لا مش قصدي

ضحك على إرتباكها: مالك اتوترتي كدا ليه ؟ أنا بأهزر معاكي

نظرت إليه حانقة وقبل أن تلسعه بسياط لسانها دلف والديهما معلنين إنتهاء جلستهما المنفردة، نهضت هند واتجهت إلى المطبخ طلبا لكأسٍ من الماء يطفئ نار غيظها.

لمحت شقيقتها تعد أطباقا من المسليات فتذكرت أمرا رغبت في محادثتها به: فريدة

رفعت فريدة بصرها باسمة ثم عادت تتابع ما تفعل: أيوه ؟

– أنا حاسه إن علاقة ندى بآدم مش مظبوطة

ارتبكت فريدة واهتزت يدها الحاملة لإبريق الماء فليس من عادتها التحدث عن أسرار غيرها، تفهمت أختها السبب فطمأنتها: ما تقلقيش أنا مش باسأل عشان عايزة أعرف .. ومش مضايقه إن ندى قالتلك وماقالتليش لإن أنا نفسي كنت بأقولك حاجات هي ما تعرفهاش .. أنا باسألك علشان لو تقدري تعمليلها حاجه ياريت تساعديها .. حتى عشان خاطر سيف

ربتت فريدة على خدها مهدئة: ما تقلقيش إن شاء الله هألاقي حل وأساعدها

ضمت هند أختها: أيـووه .. دي ديده اللي أعرفها

شردت فريدة تفكر في حل لمشكلة ندى ولكن كيف تجد الحل والمشكلة نفسها ليست مفقودة ؟.

***

كانت باريهان تجلس في غرفتها تضع طلاء أظافر بلون حديث حين جاءها اتصال، نظرت إلى

هاتفها متأففة لتجد اسم المتصل

"Akram"

التقطت الهاتف بلهفة لكن بأطراف أصابعها حتى لا يضيع تعبها في الطلاء: هالو مونامور

تنهد مجيباً: وعليكم السلام .. إنتي فين يا باريهان ؟

وضعت الهاتف فوق كتفها وعادت تتابع ما كانت تقوم به مجيبة بتأفف: ف الهوم

– طب انا جايلك

اغلق الخط دون أن ينتظر جوابها بينما القت الهاتف وزجاجة الطلاء جانبا ونهضت مسرعة تفتح باب غرفة ملابسها تبحث عن شئ مناسب ترتديه كي تستعد للخروج برفقته، ظنت أنه سيأتي ليصطحبها للسهر معا كالسابق.

صف سيارته أمام باب منزلها يحاول ترتيب الكلام الذي يريد أن يطلعها عليه قبل أن يترجل من السيارة، أخذ نفسا عميقا استعدادا لعصبيتها المعتادة كلما أخبرها أنه يريد التخلي عنها .. وصلت بها الأمور أن قامت في إحدى المرات بالإنتحار أو هكذا أفهمته هي و أمها التي ساعدتها في تلك التمثيلية الرخيصة، لم يستطع أن يتحمل وزر موتها فأكمل معها.

هبطت باريهان الدرج بدلال مرقعقة بكعبي حذاءها درجاته الرخامية، رحبت به: عاش مين شافك يا كركر

بجديه: لازم نتكلم سوا

– طيب هتاخدني فين ؟

نظر حوله ورد بنفس نبرته السابقة: هنا مناسب

انتابها القلق: مالك يا أكرم ؟ واتس رونج ؟

أخذ نفسا عميقاً: اسمعيني للأخر .. باريهان أنا مش هأقدر أكمل معاكي، لفترة فضلت فاكر إن إنتي البنت اللي هتنفعني واللي أتمنتها بس لما قربت منك وعرفتك أكتر عرفت إن إنتي كنتي مجرد غلطة ف حياتي ومش إنتي الشخصية اللي أتمناها تكون مراتي .. وبصراحة أكتر أنا مش بأحبك وبأحب واحدة تانية

سألته بهدوء غير متوقع: مرام مش كدا؟

دُهش: عرفتي منين؟

لوت شفتيها ساخرة: من لهفتك وغيرتك عليها م الولد اللي قبلته ف الغردقة .. ولما سبتني وروحتلها عشان تقعد معاها .. ومن نظراتك ليها

كأن عبأ كبيرا سقط عن كاهله: طب كويس إنك عارفه .. أتمنالك حياة سعيدة مع إنسان تاني أحسن مني ويستاهلك

رسمت ابتسامة زائفة على شفتيها المصبوغتين: وأنا كمان بأتمنالك السعادة .. مع مرام

انصرف أكرم سعيدا أن الموضوع أنتهى بطريقة سلسلة، تنهد فقد كانت مهمته أسهل مما توقع، لكن لو أنتظر بضع لحظات أخرى لعلم ما تدبره له، خرجت والدتها من الغرفة المجاورة وقد استمعت لكل حرف: بقى هتسيبيه يروح من إيدك يا مجنونة ؟

سألتها باريهان شاردة: مين دا؟

صاحت بها والدتها غاضبة: أكرم .. هو في غيره؟

التفتت إليها: بقى كنتي بتتصنتي عليا يا مامي

زفرت والدتها بحدة: عشان خايفة عليكي

لوت شفتها متخابثة: ما تقلقيش على بنتك .. مش باري اللي واحد زي أكرم دا هو اللي يسيبها كدا

انتبهت إلى لهجتها التي يشوبها الإنتقام: وهتعملي إيه؟

باريهان: دونت وري مام ! .. أنا هأعرف اتصرف معاه كويس .. أنا اللي كل الولاد نفسهم بس ف إشاره مني .. أكرم يسبني وعشان مين ؟؛ عشان حتت بت مفعوصة أدوس عليها بصباع رجلي الصغير ؟ .. والله ما أنا رحماكي يا مرام وهأجيبك تترجاني عشان السنيورة بتاعتك يا أكرم باشا .. يا أنا يا أنتوا.



الفصل الرابع عشر

عُلقت الزينات والمصابيح الملونة، بدأت الدفوف تدق وعازف المزمار يتلوى بمزماره أمام باب بناية العروس فيما تجمع الرجال في حلقة يتراقصون ويهللون، ينشرون المرح والبهجة وخبر تمام العقد وتحول لقب هند من آنسة إلى مدام، كان كل من العروسين في قمة غبطته فقد طال إنتظار هذا اليوم حتى عيل صبرهم، لم يتبقَ سوى القليل حتى تصبح ملكة متوجة في مملكتها، عدة أيام تفصلها عن زفتها إلى زوجها ليبدأ حياة هانئة سوياً.

همس أكرم بالقرب من مرام: عقبالك

التفتت إليه بحدة وعقبت: عقبالك أنت بقى، أنت اللي خاطب مش أنا

هم أن يقول شيئا لكن قدوم سامر عرقله: عقبالك يا بطل

صافحه أكرم: عقبالك أنت كمان يا عم

نظر سامر إلى مرام الواقفة بجواره قائلاً: يمكن أقرب مما تتصور

لاحظ أكرم نظرات سامر لها فضغط على يده التي ما يزال يمسكها حتى تأوه وبدأ يسحبها متذمراً: ما براحه شويه يا أخي .. مش كدا

ضربه أكرم على كتفه بقوة معتذراً: معلش يا سمورة من فرحتي يا أخي

وقف مصطفى يراقب فريدة وتنقلها بين المدعوين، ابتسم سرا متمنيا اللحظة التي يحل فيها مكان أحمد وتكون هي إلى جواره، لاحظ فريدة تقترب من آدم ثم تهمس له بشئ ما من ثم ينسحبان باتجاه المطبخ.

هم يلحق بهما لكن أوقفه عبدالرحمن طالبا بخجل: مصطفى يا ابني .. ممكن تنزل صناديق الحاجة الساقعة تحت وتوزعها .. كان نفسي أنا اللي أعملها، بس أنت عارف السن له أحكامه

ابتسم له بينما عينيه لم تتزحزح من فوق الباب المؤدي للمطبخ: ربنا يديك الصحة وطولة العمر يا عمي

ربت على كفته: الله يخليك يا ابني ويرزقك ببنت الحلال

تنهد مصطفى متيما: آمين يا رب، أدعي بضمير أوي يا عم عبدالرحمن

قهقه عبدالرحمن لرد فعله: شكلك مستعجل أوي

غمزه مصطفى باسما: لو هتبقى زي بنتك كدا ما استعجلش ليه؟

حثه عبدالرحمن عائدا إلى ضيوفه: الله يكرمك .. يلا أنزل بقى زمان الناس ماتوا من العطش

هز رأسه وحمل الصناديق هابطا الدرج يفرقها على كل من يقابله، ويتلقى المباركات نيابة عن العروسين ويستمع إلى الدعوات بأن يرزقه بعروس تليق به.

***

انتبهت لوقوفه بمفرده في أحد الأركان يتابع تحركات زوجته عبر أرجاء المنزل تعاونها مع مرام على خدمة الضيوف، قررت استغلال الفرصة المتاحة أمامها فقد لا تتكرر، اقتربت منه وطلبت الحديث إليه على إنفراد بعيدا عن ضجة الحفل.

وافقها ولحق بها متعجباً، ليس هناك أمر خاص بينه وبينها حتى تطلب منه الحديث والمنفرد أيضاً.

استفسر منها آدم بقلق: خير يا فريدة، في حاجه ؟

دخلت فريدة في صلب الموضوع مباشرة: ما دام ندى قالتلك إنها ما خانتكش يبقى فعلا ما خانتكش

توتر وارتبك في وقفته: هي إزاي تكلمك ف حاجه زي كدا ؟

عقدت ذراعيها وزمت شفتيها: فضلت خمس سنين ساكتة مش كفايه ؟ يعني تموت مظلومة وكمان مقهورة ؟

زفر بحدة وكز على نواجذه: طب عايزه إيه مني دلوقتي ؟

فريدة: أنا عارفه إن ماليش حق أدخل بس لما أشوفكوا أنتوا الإتنين بتحبوا بعض وبتبصوا لبعض كأنكوا بتسرقوا مش كأنكوا متجوزين مش هأقدر أسكت

بحزن: أديكي عرفتي الحكاية أنا ذنبي إيه؟

أسرعت مستغلة لينه: ذنبك إنك كَدِبت الإنسانة اللي قلبك حبها، إزاي متخيل واحدة زي ندى بأخلاقها ولبسها وتدينها ممكن تخونك ؟ .. مش بس كدا، لا تعمل واحدة من الكبائر اللي هي الزنا، نسيت قول الله سبحانه وتعالى "إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم" .. عايز تبقى من الملعونين يا آدم ؟

تساقطت دمعات من عينيه رغما عنه، لقد أشعرته كلمات فريدة بالذنب وفداحة خطأه في حق زوجته: طب إيه تفسيرك للي حصل ؟

تبسمت: مش مهم التفسير .. التفسير هتعرفه لما ربك يأمر بكدا، بس مهما كان أنت ما عندكش دليل .. لا شوفتها مرة تجاوزت مع واحد ولا شوفتها وهي مع واحد تاني صح ؟ ولا يكون في حد ف دماغك مثلا ؟ يمكن مصطفى؟

هز رأسه بقوة مسرعاً: لا لا لا، أنا أه بأغير من مصطفى بس لإنه بيقدر يضحكها ويدخل على قلبها الفرحة أكتر مني .. ولإنه كان معاها ويعرفها من قبل ما أعرفها وأنا عارف إنه بيحبها زي أخته مش أكتر

تنهدت براحة: خلاص يبقى تفضها سيرة، أحرق القديم وابدأ سجل من أول وجديد .. يكون الأساس بينكوا الثقة والحب ودا يكفي كبداية ليكوا، وصدقني مع الوقت هتنسى اللي حصل

.. وكفايه عليكوا يا سيدي سيف باشا إنه يكون سبب ف إنكوا تظبطوا حياتكم م الأول تاني .. حرام دا طفل وبدأ يتعقد بسبب طريقتكوا مع بعض

اقتنع بكلامها: ماشي بس.. بس .. مش هأقدر ابدأ أنا

اتسعت بسمتها: مش مهم .. هي هتبدأ، المهم إنك ما تصدهاش

قال بسعادة أفتقدها منذ زمن: ماشي أوعدك

– ههههه طب تمام، روح أنت بقى وأنا هأخرج الجاتو دا لأحسن الناس تقول علينا بخله ولا حاجه .. يرضيك؟

قهقه: لا ما يرضنيش .. تحبي أساعدك ؟

هزت رأسها بقوة: لا لا، مش صعبة للدرجة دي .. روح شوف مراتك وابنك أهم

تركها آدم تجهز الأطباق وتضع بها قطع الحلوى كي تقدمها للضيوف، دخل عليها مصطفى وقد امتلأت عيونه بنظرة غريبة لم ترها في عينيه قبلاً.

تعجبت: بتبصلي كدا ليه؟

– إنتي إزاي كدا؟

قطبت جبينها لكنها استمرت فيما تفعله متساءلة: كدا إزاي يعني ؟

– بتصلحي بينه وبين مراته وإنتي ما تعرفهوش .. وندى يادوب من كام يوم بس رجعتي تشوفيها

حملت إحدى الصواني وهمت تغادر المطبخ لكن عند أعتاب بابه التفت إليه باسمة بهدوء يشوبه الجدية: مش شرط تعرف حد عشان تساعده .. كفايه إن ف إيدك تساعده عشان ما تتأخرش

هذه الفتاة هي التي تمناها وانتظرها عمره بأكمله، حلم به في نومه ويقظته، تكون ذات عقل راجح وقلب صافٍ، قلب ينافس القطن في بياضه والذهب في بريقه، تجذبه من قيعان المستنقعات إلى قمة السمو ليتمتعا سويا بقرب الله ورضاه.

***

استأذن أحمد من والد هند بأن يخطفها ساعتين بعيدا احتفالا بعقد زواجهم، وافق عبدالرحمن على طلبه لكن على وعد بعدم التأخر وطول الغياب.

دخلت هند إلى غرفتها تبحث عن شال ملائم يقيها لسعة برد الليل بالأخص وقت العودة، كانت الأرض لا تكاد تحملها من شدة سرورها، تتمنى لو أنها حلقت في طبقات السماء السبع.

دنت باريهان من ندى وعيونها مليئة بالكره والمكر، لقد دعاها أحمد دون علمه بأن شقيقه قد أنهى أي رابط بينهما وعليها استغلال الفرصة: هي الأوضة اللي دخلتها دي أوضتها ؟

تتبعت ندى نظراتها التي لاحقت هند ثم عادت تنظر إليها متعجبة: أيوه بس بتسألي ليه؟

هزت كتفيها بلا مبالاة وعادت تسأل: عادي مجرد سؤال .. واللي جنبها دي أوضة مين ؟

استدارت إليها بالكامل تحاول أن تستشف ما تخطط له: في إيه يا باريهان ؟ إيه الأسئلة الغريبة دي ؟

– عادي يا نادو .. بأتعرف ع البيت وأتسلى مش أكتر فيها إيه؟

ضربت كفا على كف متحسرة على عقلها الذي فقدته في مكان ما قبل الحضور، انصرفت وتركتها مقررة عدم إعارتها اهتماما أكثر من ذلك، اتجهت باريهان إلى الغرفة المجاورة لغرفة هند.

فتحت الباب ودخلت تتلفت حولها علها تجد غرضا يدل على هوية صاحبة الغرفة من الشقيقتين المتبقيتين، دخلت عليها مرام متفاجئة وجودها بحجرتها: إنتي بتعملي إيه ف أوضتي ؟

أخفت لمعة النصر التي برقت بعينيها والتفتت إلى مرام بهدوء: كنت عايزه أظبط الميك آب بتاعي

أشارت لها على باب يقع بين الغرفة ومجاورتها: عندك الحمام روحي ظبطي فيه براحتك

ارتدت رداء البراءة متسائلة: وإنتي أضايقتي كدا ليه يا مرام .. ليكون في سبب تاني ضايقك مني غير دا وأنا ما أعرفش

عقدت مرام ذراعيها أمام صدرها وقد أخرجت غيظها في عضعضة بطانة خدها: هيكون إيه السبب يعني ؟

حاولت استفزازها قدر المستطاع: مثلا .. إن أكرم خطبني أنا وهيتجوزني أنا وإنتي قاعدة تتفرجي علينا من غير ما تقدري تعملي حاجه

شدت قبضتها وقالت من بين أسنانها: والله دي حياتكوا وأنتوا أحرار فيها، دا شئ ما يخصنيش

سعدت باريهان حالما أدركت جهل مرام بإنفصال أكرم عنها، قررت استغلال الفرصة وإثارتها أكثر: هارد لاك ليكي يا بيبي .. أدي أخرت اللي تتحدى باري

حرك سبابتها عليها صعودا وهبوطاً: إنها تقعد ف صفوف المتفرجين مش أكتر

لوت شفتيها ساخرة: ههههه ليه هو ماتش كورة؟

– لا جـوااز يا روحي جـواز .. ويكون ف علمك أكرم عمره ما هيبصلك، طول ما أنا قدام عينيه .. شوفي الفرق اللي بيني وبينك يا حلوة وإنتي تعرفي أنا فين وإنتي فين

تركتها باريهان تكاد تميز من الغيظ، كان الغضب يملأ خلاياها، تساقطت عدة دمعات رغما عنها تبعها المزيد من الأنهار التي شقت طريقها عبر وجنتيها.

انهارت فوق طرف الفراش تخفي وجهها خلف كفيها، لامت نفسها فلو استمعت لنصيحة شقيقتها وابتعدت عن طريق أكرم نهائيا وأخفت مشاعرها عن الأعين المتربصة بمهارة؛ ما كانت باريهان لتتصيد لها لحظة تهبط فيها بسياط سمومها فوق ظهرها، تجلدها بمشاعرها وعشقها لمن كُتب لغيرها.

***

لحقت فريدة بندى التي دخلت إلى غرفة هند بعد خروجها مع أحمد حتى تصلح لابنها ملابسه، اصطدم سيف ركضا إلى الخارج بساقي فريدة، تمتم اعتذارا لم تتبين حرفه فاكتفت بالابتسام له.

أمسك بذراع ندى تستبقيها وأغلقت الباب خلفها، نظرت لها ندى متسائلة عن السبب، اقتربت تهمس لها: عايزاكي بقى يا وزة لما تروحي البيت، تسبقي جوزك على أوضتكوا .. تلبسيلك كدا حاجه شفتشي وتحطي شويه م الأحمر على شوية م الأبيض .. وبرفان من اللي هو وتجهزي الأوضة لقدوم شهريار الملك الهمام

انفجرت ندى ضاحكة لطريقة حديثها: يخرب ... يا مصيبة، إيه كل دا ؟

فريدة: لزوم الليلة يا جميل .. إنتي نسيتي ؟، إنهارده الخميس .. ليلة اللعب والتهييس

رفعت حاجبيها مصدومة: أومال لو كنتي متجوزة كنتي قولتي إيه ؟

لوت جانب شفتيها مستنكرة: كنت عملت، هو أنا هأقضيها لوكلوك لوكلوك قبل الجواز وبعد الجواز ؟! .. دي خيبه إيه دي

غمزتها: شكلك أصلا بؤ ومش هتعملي حاجه

– بؤ ولا ودن .. سيبك مني وركزي في نفسك ياختي، أعملي اللي قولتلك عليه

شاب ملامحها الشجن: أفرضي بقى رفضني زي كل مرة، وقتها مش عارفه أنا ممكن أعمل إيه .. مش بعيد أحدفه بفازة ولا حاجه

طمأنتها باسمة بمكر: لا ما تقلقيش مش هيرفضك

ضيقت ندى زوايا عيونها: ليه؟ إنتي كلمتيه ف حاجه؟

لكزتها في كتفها مغتاظة: يا بت خليكي واثقة ف نفسك.. كل الحكاية إنه لما شاف الحلاوة والجمال دا كله قدامه ماقدرش يقاوم، وفضل يرمي نظرات بس البعيدة جِبــلة ومش حاسه، والحلو فاضله تاكه ويسلم ويقول حرمت يا بيه حرمت يا باشا

قهقهت: يا خرابي عليكي، بس فكرك كدا ؟

– جربي وأهي محاولة يا رب تصيب

تنهدت بقوة: ياريت يا فريدة .. يا ريت، لأحسن وحشني حضنه

اسندت ذقنها إلى قبضتها المتكورة ثم بدأت تحرك رموشها بطريقة سريعة مضحكة، تنهدت: هيـــح الحب ولع في الزعل يا فخري

تناولت ندى وسادة من فوق السرير وقذفتها ضاحكة: أنا هأقتلك إنتي وفخري بتاعك دا يا حبة عيني

فتحت والدة فريدة على حين غرة ووجدتهم يتقاذفون الوسائد، رفعت حاجبيها مصدومة من التصرفات الطفولية التي توقف سيف عن فعلها غالباً، وجهت حديثها إلى ندى: ندى جوزك دايخ بيدور عليكي برا عشان تروحوا، وإنتي هنا قاعدة تلعبي بالمخدات ؟؟

وقفت أمام المرآة تعدل وضعية هندامها: معلش يا طنط أصل بنتك دي بتخرج الواحد عن شعوره

دفعتها إلى الباب تحثها على الذهاب: روحي بيتكوا وإنتي هتلاقي كل الشعور هناك

تنهدت متيمة: يا ريت يا ديده

وقفت فريدة خلفها وقد وضعت يديها فوق خصرها: مش من شويه كنت هتقتليني أنا وفخري دلوقتي بقيت ديده ؟

اقترب يحمل سيف بين ذراعيه وقد ارتخت رأسه فوق كتف والده، رافقه مصطفى يبحث عن ندى معه، استمعا إلى نهاية الحديث بين الفتاتين، رفع مصطفى حاجبيه حانقاً: فخري مين دا إن شاء الله ؟ .. هو أنا أخلص من هشام .. يطلعلي فريد .. ودلوقتي فخري

استفزته فريدة: أنت مالك أصلا ؟ .. تخلص منهم بصفتك إيه ؟

حك مؤخرة رأسه متنحنحاً: إحم إحم .. مش يلا بقى يا جماعة

ضحكت ندى على حرجه: تستاهل، عشان تبقى تقول كلام مش قده

دفع مرفق آدم جهة زوجته: آدم، ما تاخد مراتك دي وتطرقونا من هنا، عايزين نرش مايه

فريدة: قصدك ترش سم .. يا سم

أخرجت ندى لسانها إليه متشفية: وكبستك وكبستك

رفع سبابته مهدداً: والله كلمة تاني يا ندى وأحدفك م البلكونة

فريدة: أنت بؤ أصلا ولا تقدر، ما تقول حاجه يا عم آدم

تناول كف ندى في قبضته وسحبها مبتعداً: لا أقول ولا أعيد، أنا واخد مراتي وماشي من هنا، كفايه كتفي اللي مش حاسس بيه من القلقسايه بتاعت سيف بيه

ضربته ندى على كتفه مغتاظة: ما تقولش على راس ابني قلقسايه

هز كتفيه لا مبالياً: ولا تزعلي أنا اللي راسي قلقسايه

قهقهت ندى: أيوه كدا

رفع آدم حاجبيه استهجاناً: بقى كدا ؟!، والله لأوريكي اصبري عليا بس

تباعتهم نظرات فريدة ومصطفى حتى غابا معا عن مرمى بصرهما، التفتت فريدة إليه متسائلة: وأنت لسه واقف هنا بتعمل إيه؟

ابتسم سماجة: وإنتي مالك ؟

– مش بيتنا ؟

ضرب جانب جبينه: أه، تصدقي صح

– ههههه كويس إنك عرفت

المطبخ يقع أمام الغرفة مباشرة، استدار مصطفى لخلف فلاحظ صناديق تم ملأها بزجاجات الصودا الفارغة، تناول إحداها متحججا البقاء: هاخد الصناديق بتاعت الحاجة الساقعة أنزلها

أوقفته: لا ما تتعبش نفسك، بكره الصبح هيجي بليه ينزلهم

هز يده حاملا الصندوق صعودا وهبوطاً، ارتجت الزجاجات وقرقعت سوياً، هتف مغتاظاً: يادي النيلة والليلة اللي مش فايته، مين سي بليه دا كمان؟

– صبي البقال

تنهد ملئ صدره ولهاناً: أخرتي على إيدك على فكرة

تناولت إحدى الزجاجات من الصندوق الذي يحمله، قلبتها وأمسكتها بقوة بينما تعض على شفتيها حتى تعطيه إيحاءا بصدقها: صح، عشان لو ما مشتش دلوقتي هأكسر الإزازه دي على دماغك

أسند الصندوق إلى صدره بيد واحدة فيما رفع الأخرى يتحسس رأسه كأنه يتخيل ما سيحدث إن نفذت تهديدها: أه يا مفترية، ويهون عليكي نص الجنيه الرهن ؟

انزلت ذراعها وأعادت الزجاجة مكانها ضاحكة رغما عنها: مصطفى

اسبل جفونه بطريقة مبالغ بها: يا عيون مصطفى

استقامت في وقفتها وأشارت بحاجبيها إلى صالة المنزل: أمشي من هنا

– ليه كدا بس ما إحنا كنا ماشيين كويس

تخطته إلى المطبخ قائلة بإيحاء لغضبها الكامن: أنا ما نستش كلامك ليا لما كنا ف الغردقة، وتلميحاتك يا أستاذ مصطفى

انتاب مصطفى الخجل، يتهمها ويهاجمها ثم يأتي معتقدا أنه تم الصفح والغفران دون أسف، انصرف عنها يفكر في حل لعلاقته بها، كلما خطى إليها خطوة رجع عشرا بغباءه وتسرعه.

لمح أكرم يوشك على الإنفجار غضباً، دنى منه متحيرا لحال صديقه الذي يزداد سوءاً: مالك ؟ في إيه ؟

ردد دون أن ينظر إليه مغتاظاً: سامر

– ماله اللذيذ دا ؟

– هو لذيذ بعقل .. راح طلب إيد مرام من باباها وأنا واقف معاه وقال إيه أكرم يشهدلك على أخلاقي

رفع حاجبيه مندهشا ثم انفجر ضاحكاً: ألبس

دفع ذراع صديقه من حول كتفه يهم بالإنصراف: مش فايقلك يا مصطفى

أسرع يجذبه من ذراعه يمنعه من الهرب: مش المهم الكلام دا، المهم رأيها هي كان إيه ؟

بحزن: ماهو دا اللي هيجنني، كنت حاسس إنها بتحبني وكله تمام؛ حتى إنهارده قبل ما أجي على هنا روحت فركشت كل حاجه مع باريهان .. بس يظهر إني حسبتها غلط وطلعت ما بتحبنيش

– إمممم يعني وافقت على اللذيذ ؟

تنهد بحرقه: أه يا سيدي وافقت على اللذيذ

– خلاص يا أكرم يبقى مالكش نصيب فيها، أنساها

نظر إليه بقلة حيلة: بأحبها هأنساها إزاي ؟

– والفتاة المجهولة ؟ .. مش بتحبها؟

– فكرت كتير، لاقيت إني ما أعرفش عنها غير اللي بتكتبهولي؛ يعني اللي هي عايزاني أعرفه، حبيت الغموض اللي حواليها وإني اعرف مين هي مش أكتر، لكن مرام .. مرام دخلت قلبي على طول من غير سؤال .. ومش عارف هأعمل إيه من غيرها ... أنا أصلا إمبارح بالليل حرقت كل الرسايل بتاعت الفتاة المجهولة

حلل محتوى كلامه: يعني حرقت الرسايل واديت زنبه لباري وف الأخر هتتجوز غيرك

أمال رأسه للأسفل: بالظبط

شد على كفته: بس أنت اللي غلطان، أنت سبتهم عشان أنت بتحب مرام ولا سبتهم عشان ضامن مرام ؟ .. في فرق يا صاحبي .. لو عشان الأولى يبقى أنت ممكن تكون خسرت مرام لكن كسبت نفسك .. لكن لو التانية يبقى خسرت الإتنين .. نفسك ومرام

حدق به قليلاً: لا سيبتهم عشان بأحبها ومش بأحب غيرها

ابتسم: يبقى أنت كدا ف السليم .. واللي كان قادر يخليك تفتكر أنك بتحب باريهان والفتاة المجهولة ويظهر مرام ف حياتك عشان تمسحهم بأستيكة .. قادر يظهرلك اللي تنسيك مرام بردو

ضغط عينيه بشدة: مش عارف

عاد لمزاحه ضاحكاً: يا ابني بنات العيلة دي حلفين يطلعوا عنينا ويورونا النجوم ف عز الضهر .. لولا أخوك ابن الإيه لحق نفسه وحطها قدام الأمر الواقع ما كانش طالها وكان هيجي تالت جنبنا

ضحك أكرم: ليه ؟ هي فريدة عملت فيك إيه؟

– قول ما عملتش فيا إيه، ع الأقل أنت قدامك لذيذ واحد، إنما أنا كل شويه يطلعلي لذيذ من تحت الأرض .. حاجه تقرف

غمزه مقهقهاً: يا لذيذ يا رايق

داعبه: ودا تأثير سفن أب ع الأخ أبو المكارم

– هههههههه طب يلا بينا من هنا قبل ما يجوا يكرشونا

أخفى فمه خلف كفيها مدعيا الصدمة: يكرشو مين ؟!، دا إحنا واجفين ف ملك الحـــاكومة

تصاعد صوت عبدالرحمن قائلاً: إيمان الكل مشي ولا لسه في حد؟

إيمان: مش عارفه .. هاروح اشوف أهو

مصطفى بعد نحنحه: إحم إحم .. ماتيلا بينا يا أبو المكارم لأحسن سامع صوت المقشة ورانا

قهقه أكرم وضربه على ظهره بقوة يدفعه للسير: يلا يا وحـــش

***

بعدما وصل آدم بصحبة عائلته الصغيرة إلى منزلهم الذي أعده مع ندى قبل الزواج على أساس أن يسكنا فيه؛ لكن تعب والدها ومن ثم سفرهم إلى أمريكا منعهم من ذلك، ومنذ عودتهما إلى القاهرة وهما يعيشان فيه ويذهبان لوالدي ندى باستمرار.

عند الباب همست ندى في أذن الصغير الذي على صوته قائلا: بابا ! .. ممكن تحكيلي حدوته قبل النوم ؟

تعجب: ما أنت كنت نايم لوحدك ! .. وبعدين ما ماما على طول هي اللي بتحكيلك إشمعنه المرة دي ؟

أصر الطفل: ماليش دعوة !، أنت اللي هتحكيلي يعني أنت

استسلم لولده: طيب .. أتفضل قدامي يا سيف باشا

أخذ آدم سيف يروي له الحكاية ويطمئن أنه ذهب في سباتٍ عميق بينما ابتسمت ندى بمكر وذهبت تكمل باقِ خطتها بذهنٍ صافٍ.

دخل آدم حجرته وهو يزفر فقد نام سيف بعدما جعله يروي ثلاث قصص؛ فلقد أوصته أمه جيداً، تفاجئ آدم ونسي تعبه عندما وجد الغرفة على هذا الشكل المبهر، صُفت الشموع في كل مكان وتناثر الورد في الأرجاء، سمع نغمة هادئة تساعد على الاسترخاء، بحث بعينيه عن ندى وعندما لم يجدها ناداها: ندى

أجابته ندى بعدما خرجت من الحمام خلفه: نعم ؟

التفت إليها وقد اعتلت ملامحه الدهشة، كانت كانت تردي فستانا باللون الذي يعشقه .. اللون الذهبي، كان قصيرا لا يصل إلى حدود ركبتيها، تركت شعرها منسدلا ووضعت ميكاجا خفيفا يناسب ثوبها ويبرز جمال عينيها، هتف اسمها بصوت أجش من الرغبة والعاطفة: ندى

اقتربت منه ندى تنظر في عينيه بشدة هامسة: عيون ندى

لم يستطع السيطرة على نفسه أكثر من ذلك؛ جذبها إليه هامسا في أذنها: بحبك

ابتسمت بسعادة ووقفت على أطراف أصابعها، فرغم ارتداءها حذاء عالِ الكعبين فإنها مازالت قصيرة تناسبا مع طوله الفارع، دنت من أذنه تهمس بها: وأنا بأعشقك

هدت أخر حصون مقاومته بكلمتها الأخيرة فغابا معا في عالم أخر، يبدأون فيه بتأسيس حياة جديدة وسليمة مع حبهما وطفلهما النائم في حجرته بآخر الرواق.



الفصل الخامس عشر

صاح الديك مرددا خلف الآذان، يوقظ النيام ويفيق السرحان، ينبه المستيقظ إلى وقت فريضة المتعالى وأزوف صلاة الفجر، الأختبار اليومي لكل مؤمن بالله.

دلفت فريدة إلى داخل حجرة مرام توقظها: مرام يلا عشان تصلي الفجر

رددت فيما تمسح أثار دموعها: حاضر جايه أهو

صلت كلا الفتاتين صلاة الفجر من ثم جلستا قليلا تتسامران سويا بعد أن تلت كلتاهما أذكار الصباح، أفضت إليها فريدة متحسرة: تعرفي يا مرام إن من الفروض المتروكة هي صلاة الفجر .. مع إن الرسول –عليه الصلاة والسلام– قال "ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها" ويقصد ركعتين السنة مش الفرض كمان

– أنا قريت مرة جملة فكرت فيها كتير، كانت بتقول "لم يغب الفجر عن الأمه إلا عندما غبنا نحن عن صلاة الفجر .. حتى نعيد الفجر لأمتنا دعونا نصلي الفجر"

– أكيد طبعاً؛ لإنك بمجرد إنك تقومي تتوضي لصلاة الفجر بيبعد عنك الشيطان والكسل .. وبعد صلاة الفجر الواحد بيحس نشاط غير طبيعي زي ما يكون عنده قوة تخليه يبني عمارة لوحده

– ربنا يهدي الجميع يا ديده

– آمين .. بس إنتي مالك ؟ حاسه إن فيكي حاجه ؟

– ما نمتش طول الليل بسبب اللي عملته

سألتها بهدوءِ قلق: ليه ؟، عملتي إيه ؟

تنهدت مخفضة رأسها: إمبارِح سامر .. دكتور زميل أكرم ف الكلية .. أتقدملي وأنا وافقت؛ عشان كنت مضايقه من كلام باريهان ليا وندمانه على قراري دا .. وسامر فاتح بابا ف الموضوع

– دا مستعجل أوي .. وبعدين مالك ومال باريهان ؟

– يـوه يا فريدة، خلينا ف المشكلة بتاعت سامر دي .. أنا أصلا مش بأطيقه أتجوزه إزاي ؟!

– كان حد ضربك على إيدك يعني يا مرام ؟!، ماهو كله بكيفك

نهضت منزعجة من صراحة شقيقتها: خلاص حقك عليا يا ستي، أنا غلطانه إني بأحكيلك وبأخد رأيك

هتفت خلفها بصوت عالٍ: طب صلي صلاة استخاره وبعدين نبقى نتكلم .. وسيبي هند ما ترخميش عليها هي صلت ونامت

– أيوه .. ماهو ناس بتتجوز على هواها وناس بتتجوز على قفاها

لحقت بها: هو فقير لدرجه إنه يعيشكوا على قفاكي ؟؟ .. هي الشقق خلصت من البلد خلاص ؟

***

يوم زفاف أحمد على هند كان في منزل والديه كما تم الإتفاق مسبقاً، كانت الفرحة تُشع من الوجوه ما عدا وجه باريهان الحاقد؛ تذكرت محاولاتها في لفت إنتباه أحمد إليها والتي بائت بالفشل، حتى إنه لم يلحظ تلك المحاولات بالمرة؛ لذلك التفتت إلى أكرم حيث كان أسهل من أخيه، فتعلق بها بشدة في البداية عندما أظهرت له ما كان يتمناه في فتاة أحلامه لكنها ملت ذلك الإدعاء وعادت لطبيعتها بعد تيقنها من وقوعه في هواها، فلم تتخيل أن يخبرها أنه لم يعد يرغب بها، فأدعت محاولتها الإنتحار،تعلم مدى رقة قلبه وكانت تسير خطتها على هدى مستقيم حتى ظهرت مرام.

حادثت باريهان نفسها وهي متوجهة إلى أكرم: دي أخر فرصة ليك يا أكرم وإلا وديني لأحرق قلبك على مرام هانم

قالت بغنج زائد: وحشتني يا أكرم

تنحنح محرجاً: تسلمي

حاولت الاقتراب منه أكثر: وأنا ما وحشتكش؟

دفعها بعيدا عنه بهدوء لكن حازم، قائلاً: ما أنا قولتلك اللي فيها يا باريهان

– يعني ما غيرتش رأيك؟

سحب يده بحدة ثم أجابها بحدة أكبر: لا يا باريهان ما غيرتش رأيي ولا هأغيره .. ريحي نفسك

بغضب مكتوم: اللي يريحك يا بيبي

انصرفت باريهان مغادرة المكان برمته، لا تعجبها الحفلات البسيطة بل تحب كل ما يعبر عن وجود المال وبذخ صاحبه: كويس إنك ما نفعتش يا أحمد وإلا كنت هتطلع عيني ببخلك دا .. أما أنت يا أكرم فحسابي معاك أنت ومرام هانم لسه ما أنتهاش

أخرجت هاتفها ودقت بضع أزراره وإبتسامة شريرة ترتسم على محياها كأنها تضع خطة مع الشيطان.

***

اقتربت مرتدية ثوبا زهريا يزيد وهج الغبطة على وجهها من فريدة بسعادة: تسلميلي يا أحلى ديده في الدنيا

قهقهت: يا عم يا عم .. إيه الكلام الحلو دا .. إيه؟ ها؟ إيه؟

ندى: هههههههه إيه انتي .. أخيرا رجع آدم بتاع زمان، بجد مش عارفه إيه اللي غيره كدا، بس كان معاكي حق شكله كان .. مستوي

ابتسمت فريدة بفرحة للسعادة البينه على وجه ندى: ربنا يهدي سركوا

رفعت رأسها تنظر إلى السماء: آمين يـــا رب .. آدم اقترح نسافر شهر عسل مع أحمد وهند ف هأسيب سيف مع بابا وماما

تعجبت: وتسيببيه معاهم ليه؟ .. هاتيه عندنا

هللت ندى بسعادة: بجد يا ديده ؟

– هههههه شكلك أما صدقتي، طبعا بجد .. هو أنا أطول أخد معايا الشخص الوحيد اللي عرف يلاقيلي اسم دلع

– أه هههههههه أصلا كنت خايفه أسيبه مع ماما وبابا .. ما إنتي عارفه بابا تعبان وماما يادوب تخلي بالها من نفسها ومن بابا

– يا ستي ولا يهمك، أديكي شايفه بابا وماما مسافرين معاكوا

– إيه دا؟ .. هيروحوا شهر عسل هما كمان؟

لكزتها في ذراعها: شهر عسل إيه إنتي كمان .. شهر شهر فلقتيني .. دول كلهم ست أيام، مش مكملين أسبوع واحد عسل

– هههههه، هيسافروا ليه بجد؟

– الراجل صاحب الشغل طلب من بابا يرجع بعد الفرح؛ عايزه على مكتبه تاني يوم الصبح .. خصوصا إنه أداله أجازه بقالها شهر ونص بحالهم تخيلي .. ههههه

– طب ما قالش لأحمد ليه؟ .. كان كلمه زي أول مرة

– لا اوعي تجيبي سيرة لأحمد بحاجه .. بابا ما بيحبش يطلب من حد حاجه، وأحمد مشغول بالفرح وعروسته وبابا مش عايز يدوشه بمشاكله

– وليه كدا؟ ما احنا دلوقتي عيلة واحدة .. إخص عليكوا

– سيبك إنتي؛ بابا ادرا بمصلحته .. واحنا كدا كدا متعودين نقعد لوحدنا ومسيره يرجع عشان شغله .. المهم سيف هيجي يملى الفراغ بتاع الست هند بعد ما تسافر وهنبقى تلاتة ف الشقة بردو

– هههههههه ماشي ياختي

– ماشي يا نادو

***

تقدم سامر حتى يقف إلى جانب مرام متمتماً: مبروك

– الله يبارك فيك

– عقبالك

– شكرا

– إنتي مالك مستغلساني كدا ليه ؟

ألقت عليه نظرة من زاوية عينها وردت بملل: يعني مش عارف؟

حاول استرضاءها: خلاص المسامح كريم

– الله أكرم

– طب هتحددي معاد مع والدك إمتى ؟

– بابا مسافر بعد الفرح على طول

صُدم: وإحنا ؟!

أخذت نفسا عميقا واستدارت إليه مقررة إنهاء الموضوع بشكل تام: مافيش، بح خلاص .. بص يا دكتور سامر أنا وافقت عليك بالغلط ممكن تسميه تسرع لكن لما قعدت مع نفسي وفكرت لاقيت أن أنا ما أنفعكش ولا حضرتك تنفعني .. كفايه أنت بتحب تغلس وأنا بأحب أغلس .. فغلس على غلس ما يرولش .. عن إذنك لما أشوف الضيوف

تركته يجر أذيال الخيبة قبل أن يغادر؛ فلم يعد لوجوده معنى. سارت تزن طريقة كلامها معه وكم كانت قاسية حادة اللهجة لكنها عادت تقول إن هذا هو أسلوبها وطريقتها ولن تغيرها، أوقفها فجأة سؤال يحمل الغضب في مكمنه: كان بيقولك إيه؟

ردت بلا مبالاة: شئ ما يخصكش

– إنتي قولتيله إيه؟

تابعت سلوكها المستفز معه: بردو ما يخصكش

وقف أكرم أمامها بعصبية: ما يخصكش ما يخصكش، إنتي مافيش على لسانك غير الكلمة دي ولا إيه ؟؟

أمالت رأسها ببرود: أه وإن كان عاجبك بقى

بنفس أسلوبها: وإن ما عجبنيش ؟

أشارت إلى أحد جدران المنزل: شايف الحيطه اللي هناك دي .. روح أخبط راسك فيها

هتف بها بعصبية ملحوظة: ما تعصبينيش يا مرام .. قالك إيه ؟

هادئة حد البرود: بيسألني يتقدم لبابا إمتى .. ارتحت دلوقت ؟ عن إذنك

أمسكها من ذراعها بقوة وسألها بنبرة يشوبها الإنكسار ولكنها لم تلحظها: وإنتي رديتي عليه بإيه؟

نقلت نظراتها بين يده التي تقبض على ذراعها بشدة وبين عينيه، قالت بقوة: سيب إيدي

تركها مكرراً: رديتي عليه بإيه؟

وقفت تدلك أثر قبضته: وأنت مالك ؟

سخر: مش لازم أعرف الفرح إمتى عشان أشوف هأجيب مساعدة ليا بدالك إمتى؟

لم يكن الجواب الذي انتظرته وساءتها سخريته فأجابته متحدية بعناد: دور عليها من دلوقتي

سألها فيما الشرار يتصاعد من عينيه: قصدك إيه؟

ردت مرام بهدوء: قصدي إني مستقيله يا دوك

غادرته مرام ذاهبة إلى حيث يقف والديها وتسمع حديثهما مصادفة، قالت إيمان وبكاءها يزداد: خلاص أتجوزت ومش هأشوفها تاني

عبدالرحمن مهدئاً: ليه بس الكلام دا يا إيمان، دي أتجوزت ما ماتتش بعد الشر يعني

تابعت بكاءها: بردو، دي داخله حياة جديدة وهتنشغل بيها عننا ومش هأشوفها زي الأول

سخرت مرام: دا على أساس إننا كنا صاحيين نايمين ف حضنك مثلا ؟

نهر الأب مرام: مرام، ما تتكلميش مع أمك كدا

أكملت بنفس النبرة: خلاص خليها تبطل تمثيل دور الأم الحنون؛ لإنه بصراحه مش لايق عليها وشكلها فيه أوفر أوي

والدها بصوت عالٍ: مـــــــرام

كاد والدها أن يصفعها علّها تفيق وتدرك من تتحدث إليهم بهذه الطريقة، تدخلت فريدة تمنعه وأمسكت يده قائلة: معلش يا بابا حقك عليا أنا.. وإنتي يا ماما سامحيها مش قصدها

التفتت إلى مرام متابعة: مش عارفه حد قالها إيه فأضيقت .. وطلع فيكوا بالغلط، مش صح يا مرام؟

زاد إنفعال مرام لصدق تفسير أختها: والله ماحدش قالك إني محتاجه محامي .. أنا عارفه كل كلمة قولتها وإنتي عارفه كويس أوي إن كلامي صح

أصرت فريدة: لا مش صح .. ربنا –عز وجل– قال"ولا تقل لهما أوفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما"، ولا إيه يا ست مرام ؟؟

أشاحت بيدها منصرفة عنهم بينما تقول متأففة: والله ما نقصاكي إنتي كمان يا ست الشيخة

وضعت إيمان يدها فوق كتف فريدة: سيبيها .. هي معاها حق بقالي سنين سيباكوا وجايه دلوقتي أعيط على فراق بنتي اللي أنا أصلا بقالي سنين مفارقاها .. صدقيني مش زعلانه منها ولا غضبانه عليها .. أصلا أنا مش أمها أد ما إنتي أمها؛ إنتي من ساعة ما أتولدت وواخده بالك منها .. شلتي عن كتفي حملها لما كنت تعبانه بعد ولادتها ولما سفرت إنتي اللي كنتي معاها، إنتي اللي أمها .. فياريت ما تزعليش منها يا بنتي وصدقيني أنا سبتكوا غصب عني والله

عادت إيمان تستسلم لموجة البكاء لكن بمشاركة فريدة هذه المرة، ضمتها: كلنا يا ماما مش زعلانين منكوا ما تقلقيش

تلألأت عيون عبدالرحمن بالدموع: كان على عيني يا بنتي إني أفضل بس ظروفنا .. وف الأخر بنقول الحمدلله

أضاف أمرا زوجته: أقعدي مع البنات .. وأنا هأسافر لوحدي

كفكفت الزوجة دموعها فيما تشهق مستهجنة: أسيبك إزاي؟ نسيت كلام الدكتور؟ .. والأزمة ممكن تجيلك ف أي وقت ولو ما لحقتكش ع المستشفى ممكن تروح فيها بعد الشر

اندهشت فريدة: أزمة إيه ؟! .. أنا مش فاهمة بتتكلموا عن إيه

زفر عبدالرحمن مقررا الحديث والبوح بما كان يخفيه: أنا هأقولك يا بنتي

روى لها عن الأزمة الصحية التي أصابته فجأة في السكن ولولا المرأة التي تأتي لكي تنظف المنزل كل صباح لكان تُرِكَ على هذه الحالة دون أن يعلم عنه أحد، ومنذ ذلك الوقت سافرت إليه زوجته ولم تفارقه لحظة وظل شغلها الشاغل الإعتناء به وتنظيم غذاءه ومواعيد أدويته حتى لا تصيبه إنتكاسة.

همهمت بحزن: معقولة كل دا حصل وماحدش منكوا قالنا .. سبتونا نخبط أخماس ف أسداس ونخمن، ليه ما قولتوش السبب .. كنا هنساعدكوا، ع الأقل ما نظنش ظنون .. ولا كانت مرام حقدت عليكوا كدا

أجابتها والدتها بندم: معاكي حق كان لازم نقولكوا وتشاركونا المشاكل زي ما بتشاركونا الفرحة .. لإننا عيلة واحدة ومالناش غير بعض

أخفض الأب رأسه: أنا اللي قولت لأمكوا إنها ما تقولكوش؛ عشان ما تخافوش عليا .. قولت مادام عارفين إني بصحتي حتى لو بعيد .. هتبقوا حاسين بالقوة لكن لو عرفتوا إني مريض هتحسوا بالضعف والوحدة

سألته بمرارة: يعني ف رأيك إننا ماكناش حاسين بالضعف والوحدة لما كنا فاكرين إن أهلنا سابونا ؟، ولا أنت فاكر إن الأفكار دي ف دماغ مرام بس؟ .. لا دي ف دماغي كمان وف دماغ هند بس كنا بنداريها عشان ما نزودش حقدها وكرهها ناحيتكوا

عقبت عندما رأت الندم والألم يرتسم على وجهيهما: ع العموم خلاص اللي فات مات، إحنا ولاد إنهارده .. وما تقلقوش أنا هأكلم مرام، أوضحلها كل حاجه وهند لما ترجع بالسلامة هأفهمها بردو .. المهم سافري إنتي مع بابا عشان ما نقلقش عليه .. وأنا عارفه إنك مش هترتاحي لو بعدتي عنه، أكيد يعني مش بعد 26 سنة مع بعض مش هترتاحوا ف الفراق

حاول عبدالرحمن الاعتراض: بس يا بنتي ...

منعته: مابسش .. تروحوا وترجعوا بالسلامة

قالت إيمان: كان نفسي نسيب هناك ونرجع هنا على طول بس الشرط المنيل اللي ف العقد و2 مليون كتير على أبوكي أوي

– ما تقلقيش هي فترة وتلاقي مرام حصلت هند .. وأجي أنا بقى أقعد على قلبكوا

رفعت إيمان حاجبيها محدقة بابنتها غير مصدقة: لا ما إنتي هتحصلي أخواتك ولا إنتي ناويه تعنسي جنبي؟

ضحكت فريدة ومازحتها: أيوه قولي كدا عايزة تستفردي ببابا .. عصافير الحب صح؟

ضحكت إيمان خجلى: يوه جاتك إيه يا مضروبه

كتم الأب ضحكته: يا بت اتلمي دا أنا أبوكي مش عيل من سنك

غمزتهما فريدة: أيوه .. داروا وخبوا .. بس على مين

***

غادر العروسان برفقة آدم وندى كذلك والدي هند، توجه الوالدان إلى الدولة التي يعمل بها الأب بينما البقية حلقوا إلى إيطاليا؛ كان حلم هند زيارة تلك البلاد التي أجدت لغتها بل وعشقتها أيضا وزاد حبها لها أكثر لأنها ستمضي بها شهر العسل وأولى أيام زواجها بالإضافة إلى أن أول زيارة لها مع من أحبت.

وصت ندى كلا فريدة ومرام على ابنها، تتمسك بكل لحظة حتى تبقى برفقته ولا تسافر فهذه أول مرة تتركه دون أن يرافقها، استفسر أكرم مستغرباً: هو سيف مش هيقعد معانا ولا إيه ؟

أجابه سيف: لا هأروح أقعد عند ديده ومرمر

سخر مصطفى كعادته: هههه ديدة و مرمر على وزن ظاظا وجرير .. ليكون كرتون جديد ولا حاجه

آدم لاكزا مصطفى: خف شويه يا عم مش كدا

أخرج لسانه لمصطفى: سيبه يا بابي .. دا غيران مني عشان هأنام ف حضن ديده وهو لا ههههه

هتف مصطفى بحنق ناظرا إلى الصغير بغل: شايف يا آدم ابنك بيغظني إزاي

دنى منه آدم هامسا بصوت لا يسمعه سواه: ما أنت لو كنت روحت أتجوزتها زي ما أحمد عمل مع هند لا سيف ولا غيره كان قدر يغيظك وكان زمانك معانا دلوقتي

مصطفى: يا شيخ أتلهي .. أنت رايح شهر عسل نامبر توو وجاي تدينا نصايح ؟؟ .. روح أجري إلحق مراتك روح ..!

قهقه آدم وضربه على كتفه منصرفاً: ماشي يا ضغوف .. سلام

***

أجلت فريدة الحديث مع مرام حتى الصباح حتى تكون متأكدة من هدوءها؛ فتتم المحادثة بصورة حاضرية، فلا تتفوه بكلمات جارحة، تحبها كثيرا وتفهمها وأدرى الناس بأسلوبها لكن مهما كان هي إنسانة بنهاية المطاف، تملك أحاسيسا، ومشاعر سهلة الخدش، وعلى الرغم منها قد تجرحها بالتبادل كذلك.

قرر سيف أن ينام مع فريدة فيما توجهت مرام إلى غرفتها دون أن تلقي التحية قبل النوم، اندست فريدة في مضجعها وانضم إليها سيف، حدثته: تيجي نقرأ قرآن قبل ما ننام يا سيفو؟

أومأ بسعادة: ماشي يا ديده

امسكت بالمصحف؛ فمن عادتها قراءة ولو سورة من القرآن قبل النوم، اختارت سورة صغيرة إلى حد ما حتى لا يمل الطفل، كانت سورة عبس: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم ..

"عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى * أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى * وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى"

قاطعها مقطباً: يعني إيه؟ .. أنا مش فاهم حاجه

ضحكت: بس كدا؟ .. حاضر يا سيدي، هأشرحلك

–ماشي

–زمان كان جه واحد أعمى مش بيشوف –وكان فقير وغلبان– للرسول عليه الصلاة والسلام .. وقتها الرسول كان قاعد مع واحد غني أوي بيكلمه عن الدين يمكن يقتنع بيه ويدخل ف الإسلام فلما دخل عليه الفقير دا .. الرسول راح عبس ف وشه

أشارت إلى عبوسه: زيك كدا دلوقتي .. كشر و دور جسمه ناحيه الغني وساب الفقير دا

استفهم: بس كدا مش ينفع .. المفروض ما يعملش كدا

–صح يا سيفو، عشان كدا ربنا حب يعاتب الرسول براحه؛ بسبب غلطته دي .. فنزلت السورة دي وقاله أنت تعرف منين يمكن الأعمى الفقير اللي أنت أديته ضهرك دا لو كلمته يبعد عن حاجات وحشه كان بيعملها ويبقى إنسان كويس أو تقوله على خير يعمله ويعمله فعلا، لكن بقى الغني اللي أنت بتحاول تقنعه بالدين دا واحد أصلا مش فارق معاه .. أنت واقف ف صفه ومعاه ليه ؟ أنت أصلا مش المفروض تعمل حاجه غير إنك تقول الخير فين وتتكلم عن الدين وهو حر .. لكن الشخص اللي جاي خايف من عذابي وعقابي ليه أنت بتبعد عنه بتلتهي بالغني

حركت نظرها إلى سيف فوجدته قد غط في النوم، ابتسمت ثم تثاءبت تشعر بالنعاس الشديد، وضعت المصحف جانبا ومدت يدها إلى مفتاح الإضاءة لتغرق الغرفة في ظلمة الليل.



الفصل السادس عشر

حطت الطائرة في أرض إيطاليا، سادس دولة في أوروبا من حيث عدد السكان لذلك من غير المستغرب رؤية الزحام في الطرقات، لمحت ندى المنازل والأنام السائرين في شوارعها النظيفة البراقة: يـاه شكل عيشتهم حلوة

ابتسمت هند الجالسة إلى جوارها وأوضحت: إيطاليا دي عاشر دولة على مستوى العالم ف الرفاهية وجودة الحياة .. مستوى المعيشة هنا عالي أوي

حدق بها أحمد مازحا: دا إنتي خبرة بقى

رفعت رأسها بعنفوان: إيطاليا أحب بلد على قلبي أكيد لازم أعرف كل تفاصيلها

أشار آدم لهما بالصمت ووجه حديثه إلى هند: كلمينا طيب عن أهل البلد

جمعت أفكارها وبدأت تحدثهم بما لديها باستفاضة: الإيطاليين معروفين بحبهم للأسرة والروابط العائلية .. عشان كدا لازم العيلة كلها تبقى متجمعة على الأكل وعاملينها قاعدة أساسية في آداب الطعام عندهم .. بيحبوا الرحلات والترفيه .. بيعشقوا حاجه اسمها عربيات عشان كدا هتلاحظ الزحمة في الشوارع بالعربيات جدا ..

استمرت في الرواية حتى توقفت سيارة الأجرة أمام بوابة الفندق الأمامية، هبط آدم من مقعده بجوار السائق وفتح لزوجته ينتظر نزولها فيما ترجل أحمد من الباب الآخر يعاون زوجته على الخروج من السيارة.

استلم كل ثنائي مفتاحا خاصا بحجرته، صعدوا وانفصلوا في الممر الواصل بين جميع الغرف، دلفت هند ومن خلفها بعلها، اقترب منها يضمها من الخلف هامسا: أخيرا بقيتي مراتي .. بتاعتي .. حبيبتي

همسته الحنون جعلتها تصرح بمشاعره دون تروي: بحبك

ابتعد عنها: لا لا أنا كدا مش حملك .. واحدة واحدة عليا لأحسن يغمى عليا

فزعت: لا لا لا

غمزها: خايفة عليا؟

أدارت وجهها بعيدا وهمهمت خجلى: وإن ما خوفتش عليك هأخاف على مين؟

– أيـــــوه يا أبو حميد، والله أمك دعيالك

قهقهت: مش للدرجه دي

–للدرجة دي وأكتر كمان.. كفايه عليا الضحكة دي .. بحبك

نظرت إليه متساءلة: أنت حبتني إمتى؟ أنا ما لاحظتش عليك حاجه

أرجع رأسه للخلف ضاحكا: ما أنا باعرف أخبي كويس

أصرت: لا بجد .. حبتني إمتى؟

بجدية: وتصدقيني؟

أومأت: أكيــد

داعب أنفها بأنفه باسما: من أول مرة شوفتك فيها .. تقدري تقولي من أول زعيقه

انفجرت ضاحكة؛ فقد كان هذا أعجب رد توقعت أن تسمعه: ودا من إيه بقى؟

– أول مرة حد يقولي اللي بتعمله دا غلط ويكلمني بالطريقة دي

– على كدا بقى أنت بتحب الزعيق .. خلاص، أبقى فكرني أصبحك بزعيقه وأمسيك بزعيقه

اقترب منها بمكر: أنا بقى هأصبحك بـ "حبيبتي" وأمسيكي بـ "عمري"

تهربت، رفعت تنورة ثوبها واتجهت إلى الحمام: هاروح أغير هدومي

– إيه مش هتصلي يعني؟

ارتبكت: اه اه

– متوضيه؟

– أيوه

– طب يلا بينا

أدت الصلاة خلفه لأول مرة، أصبح إمامها وراعيها، زوجها وحاميها، ابتسمت وقد أخذتها الأفكار بعيدا لكنها أفاقت على اقتراب أحمد منها، لاحظت نبرته المختلفة: إيه؟ مش هتغيري؟

ارتبكت، أومأت: أه هأغير وأجي

أوقفها ممسكا بذراعها، نظرت له بفزع: الفستان

ازدردت ريقها بصعوبة نتيجة قربه الشديد منها: ماله؟

– فيه سوسته من ورا

تساءلت بغباء: وإيه يعني؟

ابتسم: هتخلعي الفستان ازاي من غير ما تفتحيها؟

تنحنحت بحرج: هاتصرف

رفع أحد حاجبيه: إزاي يعني؟

فكرت بإجابة تُعفيها من حرج الموقف فلم تجد، أضاف: وعلينا من دا كله بإيه؟ تعالي افتحهالك أنا

ادارها ليفتح لها سحاب ثوب عرسها الذي كان يليق بها ويظهر جمالها الهادئ وكان الثوب قطعه واحده باكمام للمحجبات

هند بتوتر: بتعمل إيه؟

أجابها ببساطة متابعا ما يفعله: بأفك الطرحه

– ليه؟

– عشان الطرحه نازله ع السوسته ومدارياها

نزع الطرحة عن رأسها بعد اكتشافه أنها لا تنفصل عن حجابها نفسه، فور نزعه لها انهمر شعرها كشلال حريري براق، اقترب منه أحمد يستنشق عبيره ويملأ رئتيه من رائحته العطرة، وبعد دقائق ...

ضربت الأرض بقدمها ممتعضة: مش يلا بقى؟

أخرجته من حالة النشوة التي سيطرت على جلّ حواسه: يلا إيه؟

هتفت حانقة: افتحلي السوسته

تذكر: أه أه .. السوسته، طيب

استطاع جذب السحاب حتى توقف في النهاية عند خصرها، لمست يده عن غير قصد جلدها فاقشعر واغمضت عينيها وانتهز أحمد فرصته في استسلامها لمشاعرها.

***

تعالت تكات الساعة في ردهة المنزل معلنة تمام الثالثة فجرا، المنزل يعمه الظلام ولا ينيره سوى شعاع ضوء القمر الذي قد تسرب عبر النوافذ والشرفات ينير القليل مظهرا ظلا يتحرك متسللا إلى داخل إحدى الغرف حتى توقف بجوار سرير تنام عليه فتاة بعمق؛ لكن ما إن اقترب منها الظل متمهلا حتى سمع صوت هاتف يرن في الغرفة المجاورة ثم توقف بعدها بلحظات لتصدر حركة في الجوار، ارتبك؛ نتيجة حدوث شئ ليس بالحسبان ومن شدة توتره لم يلحظ كأس الماء الذي اصطدمت به يده وأوقعته محدثا ضجيجا رج هدوء المنزل.

فتحت الفتاة عينيها على ذلك الصوت ونظرت بفزع صارخة بأعلى صوتها، لكنه استدرك نفسه ووضع يده على فمها يُخرسها.

فُتح الباب فجأة يتبعه ضوء المصباح لينير الغرفة؛ كانت قد شرعت في صلاتها عندما سمعت صوت انكسار الكأس فلم تهتم وتابعت صلاتها لكن بمجرد إنتهاءها سمعت صرخة مرام، ركضت إليها وهي ما تزال في إسدال الصلاة؛ لتجد ذلك الرجل الملثم يقف فوق رأسها ويضع يده على فمها يكتم صراخاتها، اخرج خنجرا من جيبه وأشار إلى فريدة ومرام: اللي هتنطق فيكوا هأدبحها

ظهر سيف خلف فريدة بعد لحظات يمسح عينيه؛ فقد أفاق على خلو السرير بجواره وخوفه من النوم بمفرده كذلك الضوضاء أدت دورها، رأى السلاح في يد الغريب فبدأ يبكي

صاح بها الملثم: سكتيه

انحنت تضم سيف إليها ونظراتها معلقة بالملثم: سيف حبيبي اهدى شويه، ممكن ؟ ما تخافش أنا معاك ومش هيحصل حاجه

حاولت مرام النهوض لكنه دفعها مرة أخرى، كررت المحاولة ثانية فظل يدفعها مما أفقده يقظته ولم ينتبه لفريدة التي أتت من خلفه حتى تهوي بالمزهرية على رأسه، وضع كفه الضخم فوق الجرح ثم سقط أرضاً.

اقتربت فريدة من مرام تسحبها للنهوض تدفعها مع سيف للخروج من الغرفة وتلحق هي بهم في المؤخرة، لكن مرام كانت مصدومه وتسير بقوة دفع فريدة لها مما جعل تحركهم بطيئا وكافيا حتى يتدارك الملثم نفسه وينهض، لحق بهم ممسكا بأخر السائرين فيهم مهددا إياها بالمطواة.

قال بغل: عاملالي نفسك شجعية السيما وبتضربيني بالفازة ؟!

حاولت فريدة دفعه ومقاومته، نهرها فيما يقاوم حركتها: اهدي بدل ما أغزك وتلاقي نفسك غرقانه ف دمك

لم تهتم بكلامه؛ كانت تخاف أن يمس مرام أو سيف الذي تركته والدته لديهم أمانة، أثناء ذلك أمرت مرام الطفل أن يذهب إلى الغرفة المجاورة ويحادث أكرم كي يأتي بسرعة، أطاعها.

انتهزت مرام الفرصة لكي تساعد أختها التي مازالت تقاوم هذا المتهجم، امسكت بذراعه التي تحمل الخنجر وظلت تجذبها وفريدة تضربه بيديها وقدميها حتى استطاعت أن تستدير

وتضربه أسفل الحزام، دفع بمرام بقوة فاصطدمت بالحائط ودفع بفريدة أيضا فوقعت أرضا لكنهما لم تيأسا فقد اقتربتا منه حتى يسحبا منه السلاح الذي يهددهم به، تشبث به بقوة حتى تمالك نفسه وأتجه إلى مرام التي ألقتها دفعته الأخيرة بعيدا وكانت عيناه تحملان معنى الشر الحقيقي.

حاول ان يطعنها ولكن فريدة اندفعت تتعلق بيده محاولة إنزالها بعيدا عن شقيقتها، أوشكت على الوصول إليها .. وأخيرا استسلمت يده تحت الضغط، سقطت، لكن غارزة الخنجر في خصر فريدة، صرخت بقوة قائلة لمرام من بين أنفاسها المتقطعة: قومي خدي سيف وسيبوا الشقة بسرعة !!

تحركت مرام متعثرة دون وعي منها، تنظر للدماء التي تتدفق غزيرة من جسد أختها، أفاقتها صرخة فريدة الهادرة منهية ما تبقى لها من قوة على الصمود: قولتلك أمشي !!

ركضت إلى خارج الغرفة، قابلت سيف فحملته، هربت من المنزل بملابسها البيتية؛ بدون حذاء وشعرها يتطاير مع حركات الهواء بينما نظر الملثم إلى باب الشقة الذي تُرك مفتوحا على مصرعيه بعد خروج الشابة مع الطفل، همّ أن يلحق بها.

سلخت فريدة القناع عن وجهه الإجرامي، رأت ملامحه ثم سقطت فاقدة الوعي عما حولها.

***

غرفة مطابقة لغرفة أحمد وهند، تمددت نائمة بين ذراعي آدم، ضمها بيد ويده الأخرى تداعب خصلات شعرها السوداء، يبثها حبه وأشواقها التي تم كبتها لسنوات: بحبك

– وأنا بحبك

رفع وجهها إليه مقطب الجبين: بتقوليها كدا ليه؟ .. زهقتي مني؟

وضعت سبابتها فوق شفتيه؛ تمنع المزيد من الكلمات عن الخروج: أوعى اسمع منك الكلمة دي .. أنت حبيب عمري .. اللي عمري ما هأقدر أعيش من غيره

عاد لهدوءه: أومال مالك؟

تنهدت: قلقانه

– من إيه؟

شردت: على سيف .. حاسه إن في حاجه حصلت

حاول طمئنتها: هههههه لا ما تقلقيش، تلاقيكي بس قلقانه عشان أول مرة تبعدي عنه .. مش أكتر

اعترفت ندى بمنطقية كلامه، لكنها انتفضت فجأة من بين ذراعيه، جذبت هاتفها من فوق المنضدة المجاورة للفراش.

اعتدل جالسا: هتعملي إيه؟

أجابته دون أن تحرك ناظريه عن شاشة المحمول، تفتش عن رقم هاتف فريدة: هأكلم فريدة

رفع حاجبيه مستنكرا قلقها الزائد: يا بنتي الناس زمانها نايمة .. الصباح رباح

وضعت الهاتف على أذنها: مش مطمنه يا آدم وبعدين الفجر دلوقتي هيأذن هناك .. فأكيد هتصحى قبليه .. تصلي أو ع الأقل تصلي الفجر نفسه

بعد فترة صمت سألها: إيه؟

اغلقت الهاتف وحدقت به شاردة: ماحدش رد

– يبقى لسه نايمه

– هاحاول تاني

أجابها صوت سيف الباكي، فقد دخل الحجرة وأمسك بالهاتف؛ لكنه مازال لا يعرف القراءة .. فكيف يجد اسم أكرم ليهاتفه ؟، عندها سمع رنين الهاتف فأجاب ليجدها أمه: السلام عليكم

صرخ ببكاء: مامي

فزعت : في إيه يا سيف؟ بتعيط ليه؟

–أصل في حرامي دخل البيت وكان ماسك مرام ودوقتي ماسك ديده

فزعها إزداد: حرامي ؟!

انتفض آدم بجوارها يستفسر عما حدث: في إيه يا ندى ؟؟

– مرام قالتلي كلم خالو .. بس أنا مش عارف رقمه يا مامي

أشارت لزوجها كي يصمت ثم تابعت حديثها مع ابنها: طيب يا سيف ما تخفش .. أنا هأكلم أكرم دلوقتي وابعتهولكوا

تعالى صوت صراخ فريدة بشكل مفاجئ: أمشي

تلاه صوت باب يرتطم بالحائط؛ نتيجة دخول مرام، رفعت سيف بين ذراعيها مسرعة، مما جعل يسقط الهاتف عن غير عمد، تاركا الخط مفتوح.

– آلو .. آلو .. سيف

اغلقت الخط عندما لم تسمع جوابا، أمسكها آدم بقوة من ذراعيه وهزها: في إيه يا ندى ؟

– حرامي دخل عليهم .. لازم أكلم أكرم يروحلهم حالا

بالفعل اتصلت بأكرم، كان يغط في نوم عميق، أجابها بصوته النائم: أيوه

صرخت به: حضرتك نايم وفي حرامي دخل على بيت فريدة يا بيه

نهض أكرم: حرامي ؟ .. حرامي إيه ؟

– أنت لسه هتسأل ؟! .. أجري روحلهم

- حاضر حاضر

أغلق الخط وركض إلى غرفة مصطفى يوقظه حتى يرافقه؛ فقد يحتاجه: مصطفى مصطفى

تمتم مصطفى بدون وعي وهو مايزال نائما: مش عايز أكل

أكرم بعصبية: أكل إيه دلوقتي أنت التاني .. فز قوم

التقط كوب الماء الموجود بجواره ثم سكبه على وجه مصطفى لكي يستيقظ، انتفض مصطفى بفزع قائلا: غـــــــريق

- يا اخي فز بقى

جلس يمسح عينيه من الماء: في إيه ؟

- حرامي دخل بيت فريدة ومرام .. لازم نروح نلحقهم قبل ما يحصلهم حاجه

بمجرد سماع اسم فريدة؛ هب مصطفى مسرعا:طب يلا بينا بسرعة

أمسك أكرم بذراعه يوقفه وقد شعر بالحنق: يلا إيه .. بالبيجاما ؟ روح غير وحصلني على تحت

أتجه كل منهما إلى خزانته يرتدي ملابسه ثم تقابلا عند الباب وانطلقوا بالسيارة ناهبين الطريق بأقصى سرعة، وكل منهما يفكر في أمر ذلك اللص الغبي .. فكيف يفكر لص في دخول ذلك

الحي الفقير وهو أغنى ما فيه هو قلوب أولئك الناس القاطنين به، وأغلى ما في بيت عبدالرحمن الجوهر الداخلي لبناته.



الفصل السابع عشر

بيت ـوشك على الهلاك، لا يدعى بيتا بل إنه مجرد أنقاض، تحيطه المقابر فقط .. لا تسمع فيه سوى صوت ذئاب الجبل؛ تعوي وصوت صارصور الليل وهو يأن .. تنظر بداخل الحطام فتجد جسد ضئيل متكوم، مكتف اليدين والقدمين، عندما تقترب منه تجد عينيه مغمضتين، ومعالم الألم الصامت ترتسم على ذلك الوجه النائم بينما يقف شخص على الباب يتحدث في هاتفه بصوته الغليظ: قولتلك أخدتها هي ليه .. ولعاشر مرة بأقولك شافت وشي؛ لو سبتها كانت أول ما تفوق هتعرفني .. إنتي نسيتي إن ليا سوابق ولا إيه ؟

–ما كنت قتلتها

–هههههه بكل سهولة كدا ؟ هو أنا ناقص قواضي .. كفايه اللي عليا

انفعلت: طب أنا ماكنتش عايزة الزفتة اللي عندك دي .. كنت عايزة أختها التانية

–أعملك إيه يعني؟ نصيبنا وقع في دي .. نطلب بدلها فدية وخلاص .. وكدا كدا اللي كان هيدفع ف التانية هيدفع ف دي

–أنا اخترتك لأن حد ثقة بالنسبة لي رشحك .. يا سعد

–يا هانم أنا سداد، بس الظروف جت كدا أعمل إيه ؟

بعد تفكير: خلاص خلاص .. المهم تطلب الفدية اللي اتفقنا عليها .. وخلي بالك م الزفتة اللي عندك دي

– يا باريهان هانم، ما تقلقيش كله تحت السيطرة

أغلق سعد الخط وأتجه إلى فريدة، يمسك بزجاجة مياه؛ سكبها على وجهها، بدأت في الإفاقة، لا ترى شيئا في البداية فتحاول إغماض عينها وفتحها من جديد: أنا فين؟ وأنت مين؟

قهقه: اسألتك كتير يا حلوة .. ودي مش بشرة كويسه

اقترب منها سعد يحاول أن يزيح عنها إسدالها الذي مازال يغطيها، حاولت إبعاد نفسها عن يديه على قدر المستطاع، هتفت به: عايز إيه؟

رمش ببراءة: عايز أشوف الجرح بتاعك عشان أربطه

رفضت بحزم: لا مش عايزة .. سيبني وأبعد عني

– يا بنت الحلال أنا عايز مصلحتك؛ لو سبتك هتفضلي تنزفي لحد ما تتصفي وتموتي

– عندي أموت ولا واحد زيك يشوف حتة من جسمي ولا حتى يلمسني

– وليه الغلط دا بقى؟ دا جزاتي يعني؟ .. طب بصي هأربطلك القماشة دي ع الجرح عشان النزيف يقل شويه

– أنا هاربطها لنفسي

– ما ينفعش أفكك يا بطة ... أنا اللي هأربطه

صممت: يا أنا اللي أربطه .. يا مش هتقربلي

تعب من مجادلتها؛ فقد أنهكته منذ رأها في منزلها، يشعر بالصداع من أثر ضربتها ويعلم جيدا أنها لن تستطيع الذهاب إلى أي مكان وهي على هذا الحال؛ ألقى إليها قطعة القماش: هاخرج برا عشر دقايق وهأدخل كدا حلو ؟

غادر سعد بعدما فك قيدها، وتركها لترى جرحها؛ فحاولت تبين عمقه لكن ضوء النهار لم يتصاعد بعد، لكنه على وشك فاستسلمت لفكرة ربطه فقط، فهي لا ترى شيئ على أية حال.

***

أقفل آدم الحقائب بعدما جهزتها ندى، كان لسان حالها لا يتوقف عن ترديد الاستغفار؛ هي تعرف أنه مفتاح الكروب، سألته باكية: حجزت ع الطايرة الجايه؟

أومأ فيما ألقى نظرة على ساعته الفضية: أيوه هتطلع كمان ساعتين

استقامت في وقفتها: أنا لازم أقول لهند

نصحها: ما بلاش .. كفايه إحنا، دول لسه ف شهر العسل

غمغمت من بين دموعها: لو خبيت على هند .. لما تعرف مش هتسامحني، وأنا لو كنت مكانها كنت هأضايق لو حد خبى عليا

خرجت من غرفتها واتجهت إلى غرفة هند بينما آدم يلحق بها، دقت الباب بقوة من توترها دون أن تلحظ ذلك.

قبض على يدها محذرا: براحه مش كدا، هيقوموا مفزوعين

استيقظوا على طرقات الباب، نهض أحمد يرتدي ملابسه وأسرعت هند تخفي جسدها أسفل مأزرها، فتح أحمد الباب وأختفت خلفه هند متوجسين.

أحمد: ندى .. آدم .. خير؟

آدم: خير إن شاء الله

هند: في إيه يا ندى ؟

زاد بكاء ندى: حرامي .. حرامي هجم ع البيت بتاع إخواتك

شهقت هند مصعوقة: إيه !؟!

***

ركضت تحمل الطفل بين ذراعيه وظلت على هذا الحال حتى وجدت نفسها تقف أمام بيت بأول الحي وتدق بابه، فتحت لها السيدة زنوبه بعدما فرغت من صلاة الفجر: مرام ؟!

فزعت زنوبه من حالتها، تنظر حولها بتوتر فائق، تضم الصغير إلى صدرها كأنها تهاب فقده، اسندتها كي تدخل.

كانت مرام وسيف كل منهما متشبث بالأخر، أجلستها زنوبه على الاريكة وذهبت إلى داخل إحدى الغرف؛ تحضر لها غطاء لتدفئتها، لعل إرتعاشها يتوقف من ثم أحضرت لها كوبا من الليمون حتى تهدئ أعصابها.

سألتها بقلق: مالك يا مرام ؟ في إيه بس؟

تركت مرام سيف ينزل من بين أحضانها، وقف ينظر إليهم بصمت ورأي كيف ألقت مرام بنفسها بين ذراعي العجوز؛ تفرغ ما في جعبتها من دموع.

***

وصل أكرم برفقة صديقه وصعدوا مسرعين إلى شقة عبدالرحمن، وجدوا الباب مفتوحا على مصرعيه كما تركته مرام بعدما ركضت خارجة، دخلوا وكل منهم ينادي منتظرين سماع إجابة مرام و فريدة وسيف أو على الأقل أحدهم، دخل أكرم غرفة مرام فرأى بقعة كبيرة من الدماء على الأرض، صاح بأعلى صوته مرددا اسمها: مـــــــرااااام

هرول إليه مصطفى بعدما سمع صياحه المتحشرج كقطة تموء نتيجة دهس إحدى السيارات لقدمها فأصبحت عرجاء، صدمه أيضا رؤية الدماء: ف..ر..ي..د..ة

جاءت أم جلال القاطنة في الشقة المقابلة بسرعة، أزعجها ما سمعته من صراخ ولم يكن أول ما يقلق راحته تلك الليلة ذات النهاية المفتوحة: في إيه ؟

سقط نظرها إلى الموضع فوق السجادة حيث تعلقت أعينهم، رأت الدماء فبدأت بالصراخ كأي من بنات حواء؛ أجتمع الجميع وأتصل أحد الجيران بالشرطة، بقى مصطفى وأكرم كل في صدمته لاحتمال فقده المرأة التي يحب، ونسي كل منهما أمر .. سيف.



الفصل الثامن عشر

وقفت السيدة العجوز تمسك بقايا قماش تدلى من فوق النافذة كان فيما مضى بمثابة ستارة، حدقت في الطريق ثم أطلقت سراح القماش المهترئ واتجهت تجلس إلى جوار مرام قائلة: دي عربيات بوليس .. أنا بأقول تروحي توريهم نفسك عشان يعرفوا إنك بخير

بجسد لا يقوى على التحرك، حتى الزفير والشهيق يرهقها نظرت إلى الجسد الصغير الممدد على الأريكة المجاورة: مش قادرة اتحرك، وسيف نايم لو صحي ومالاقنيش جنبه هيتخض

قطعت حديثها لتصب بعض الدموع التي ترقرقت من جديد بين جفنيها ثم أضافت بألم: دا غير إني لو سمعت حاجه وحشه عن فريدة .. ممكن أموت فيها

جذبت زنوبه بأطراف أصابعها الملابس بعيدا عن صدرها وبدأت تبخ بعضا من رذاذ ريقها بين القماش وجلدها، نهرت مرام: تفي من بؤك، بعد الشر، الشر برا وبعيد .. إن شاء الله هتكون بألف صحة وخير

–يا ريت

تناولت حجابها الأسود الخفيف من فوق ذراع أحد المقاعد، فتحت الباب بينما تصلح وضعه فوق رأسها، خاطبت مرام بحزم قبل أن تغادر وتقفل الباب خلفها بهدوء: هأروح أقولهم إنك عندي؛ ليجي حد من عيلتك يا بنتي ولا فريدة تكون قلقانه عليكي

سارت في الشارع بأسرع ما تستطيع فعله قدماها، لقد أضافت الجملة الأخيرة فقط كي تبث الطمأنينة في قلب مرام بينما قلبها لا يبشرها بأخبار سارة، نفضت الأفكار المتشائمة عن رأسها ودعت أن تكون فريدة بخير وألا يصيبها مكروه.

صعدت البناية والبسملة لا تترك لسانها، حاولت العبور من أمام العسكري لتدخل الشقة لكنه منعها: ممنوع يا ست

– بس أنا عايزه أشوف الظابط ولا حد م اللي هنا .. أصل مرام والواد الصغير موجودين عندي يا ابني

وقف الضابط عاقدا كفيه خلف ظهره، يتابع تحركات أفراد الامن عبر الشقة، جلس على مقعد قريب منه أكرم في حالة أشبه بانهيار أما مصطفى فقد كان يتبادل بضعة كلمات مع الضابط كلما خطر له خاطر ما محاولا تمالك أعصابه؛ علّه يتوصل إلى شئ يفسر ما جرى .. حينها سمعوا تصريح تلك السيدة فأسرع إليها مصطفى وتبعه الضابط وبالنهاية أتى أكرم: إنتي عارفه مكانهم فعلا ؟

– أيوه يا ابني هما عندي ف البيت دلوقتي

وقف أكرم أمامها بلهفة: يعني مرام عندك ؟؟

أومأت بالإيجاب: أه .. هي والواد الصغير اسمه .. اسمه ...

حث الضابط ذاكرتها المتأكلة: سيف؟

ضربت كفيها مؤكدة: أيـــووه، اسم الله عليك .. سيف

سألها مصطفى بتردد: أومال ما جبتيش سيرة فريدة ليه ؟ هي مش معاهم؟

قرعت زنوبه صدرها بكفيها فيما صرخت مرتاعة: لهو فريدة مش هنا ؟

الضابط: لا إحنا جينا ماكنش في حد ف البيت

أكرم: يعني هي مش عندك؟

– مرام جاتلي وهي شايله الواد، كانت بتتنفض يا حبة عيني وعماله تبص وراها .. لما هديت وحكيتلي اللي حصل، قالتلي إن المزغود إلهي يجحمه مطرح ما راح بعد ما ضرب فريدة بالسكينة ولا المطواة .. أنا عارفه الأشكال دي بتمسك إيه !

صرخ مصطفى: مطواة ؟! .. يعني الدم اللي جوا دا بتاع فريدة ؟

أمسكه الضابط من ساعده يهدئه حتى يسمع بقية الرواية من المرأة: استنى بس يا أستاذ مصطفى خلينا نسمع للآخر .. كملي يا حاجة

أكملت: لما ضربها .. زعقتلها فريدة وقالتلها تاخد الواد وتجري بعيد .. قامت مرام خدته وجاتلي البيت .. لكن أنا ما شوفتش فريدة

أكرم: وإنتي بيتك فين؟

– هنا يا ابني، ف أول الحتة .. مش بعيد

أكرم: طب ممكن تاخدينا عندك لو سمحتى؟

رحبت بهم: البيت بيتك يا ابني .. تنور وتأنس

ابتسم لها أكرم بتعب: تسلمي يا حاجة

تبعها الضابط وبعض العساكر خلفه، أمسك أكرم ذراع مصطفى الذي فقد الاحساس بما يدور حوله؛ فقد كان جلّ تفكيره ينصب على فريدة .. يتذكر بقع الدم الخاصة بها والتي سرت في أوردتها وعبر شراايينها قبل أن تراق أرضا، بدأت الدموع تتقطر من عينيه في صمت، نظرت له زنوبه وقد لاحظت دموعه: بتحبها يا ابني أوي كدا ؟

أجاب دون النظر إليها: أكتر من نفسي

طرقت على كتفه: إن شاء الله تكون بخير وربك يعطرك فيها

– آمين .. أدعيلها يا حاجة

– مش محتاج تقولي يا ابني دي زي بنتي، ربنا يحرسها ويخليها لشبابها ويرجعهالنا بالسلامة

بعد دقيقة كانوا قد وصلوا إلى منزل زنوبه، فتحت الباب تحثهم على اللحاق بها: اتفضلوا اتفضلوا .. دا البيت نور

تقدمهم أكرم فوجد فتاة تلبس عباءة واسعة جدا عليها، تضع حجابا، بدى من الملابس أنها تنتمي للسيدة العجوز، ملامحها شاحبة، أحمرت عينيها من كثرة البكاء لكن رغم أختلاف

شكلها عما أعتاده .. عرف هويتها؛ عن طريق قلبه الذي ما إن رأها حتى علت دقاته مرة أخرى معبرة عن فرحته برؤيتها سالمة آمنة.

الضابط: حضرتك الآنسة مرام عبدالرحمن ؟

وقفت تهمس بالرد: أيوه

الضابط: ممكن تحكيلنا كل اللي حصل لو سمحتي؟

عادت للنحيب من جديد بينما تروي ما حدث للمرة الثانية، تستعيد ذكرى الفزع والخوف الذين شعرت بهما، رؤية الدماء تنفر من جسد شقيقتها، سقوط فريدة أرضا تتوسلها الهروب بعيدا قبل أن تطالها يدي ذلك المهاجم، أنهت حديثها: بس مش عارفه حصل إيه لفريدة .. هي كويسه؟

رد عليها أكرم بأسف عندما مرت دقيقة صمت: مش عارفين

ركزت نظرها فوقه وسألته بدهشة: إزاي؟

أوضح: ماكانتش ف البيت لما وصلنا

صرخت به: إزاي .. يعني هيكون الحيوان دا عمل فيها إيه ؟؟

الضابط: إهدي يا آنسة مش كدا

توجه أكرم بسؤاله للضابط: ممكن ناخدها ونمشي؟

هز رأسه صعودا وهبوطا بإذن واضح: أكيد .. إحنا خلصنا كلامنا

أضاف ينظر إليها: بس لو افتكرتي حاجه تاني يا ريت تتصلي وتبلغينا

أشار الضابط للعساكر حتى يلحقوا به، غادر عائدا إلى المنزل يتابع ما تبقى من إجراءات، وقف أكرم يشكر زنوبه حسن ضيافتها لهم ولمرام وسيف، رفع سيف فوق كتفه، أسند الصغير وجنته الوردية فوق كتفه متابعا سباته، هم بالمغادرة عندما لاحظ مصطفى جالسا بلا نية في الذهاب، ناداه: مصطفى .. يلا يا ابني

نهض مصطفى بلا حول ولا قوة، أوقفته زنوبه بابتسامة صغيرة، شجعته مطمئنة: صلي .. صلي يا ابني وأدعيلها كتير ربنا ينجيها؛ هو وحده العالم بحالها دلوقتي .. وهو القادر على كل شئ

غادر من عندها وكلماته تطن في أذنيه، ومشاهد نسجها خياله لما حدث في الشقة وما يحدث معها الآن، أغمض عينيه بقوة، اعتصرهما، زفر بحدة وبكى حتى جفت عيناه.

***

أسدل قطعة كبيرة من الكرتون على الباب وسد فتحات المكان ببعض الخردة؛ فحجب أشعة الشمس عن الدلوف لكنه لم يمنع بعض أشعتها من التسرب إلى الداخل فأنارته إنارة بسيطة، ترك الضوء الضئيل كما هو مُسهلا حركته بالداخل كذلك لا يجذب الأنظار.

-أخبار الجرح إيه؟

سخرت: يهمك أوي؟

– طبعا .. ما هو لو جرالك حاجه أنا اللي هاروح في داهيه

تجاهلته حديثه: أنت عايز مني إيه؟

ضحك ملئ شدقيه: كل خير .. فدية صغيرة مش أكتر.. شوفتي بسيطة إزاي؟

قطبت: ومين اللي قالك عندي فلوس أو عند أهلي؟

ضحك متخابثا: يمكن مش عندك ولا عند أهلك، بس عند حبيب قلب أختك أو جوز أختك التانية .. مش فارقه .. المهم الفلوس توصل

همهمت بشرود: أكرم؟

– اسم الله عليكي ما إنتي طلعتي فايقة أهو

بعد صمت دام دقائق مرت كأعوام صاحت به على قدر طاقتها: عايزة أصلي

ترك إبريق الشاي من يده ونظر لها كأنها فقدت عقلها: نعم ياختي؟

كررت بوهن: عايزه أصلي

سعد ضاحكا: لأكون خاطف الخضرة الشريفة .. وأنا ما أعرفش

– خضرة ولا مش خضرة .. أنا عايزه أصلي

– مافيش مصليه هنا

أصرت: مش مهم .. قولي القبلة فين وهاتلي شويه مايه أتوضا بيهم

تنهد ثم نهض من مكانه متثاقلا، وضع أمامها زجاجة مياه مشيرا إلى اتجاه القِبلة: كدا .. على ما أظن يعني .. شوفتهم لما بيصلوا ع الميت بيقفوا كدا

سألته: هو الضهر أذن؟

حرك يديه في الهواء: هـــوهـــوووو .. دا العصر خلاص قرب

لم تنتظر سماع المزيد لتتأخر أكثر من ذلك، أعطته ظهرها كي تتم وضوءها، شعر سعد ببعض الحرج فتركها محدثا نفسه: كدا كدا مش هتعرف تهرب بحالتها دي ولو حاولت هأحصلها دي مافيهاش نفس

ضغطت على نفسها حتى تستطيع النهوض لكن ما إن أنهت أول أربع ركعات الخاصة بالسنة السابقة للظهر، لم تستطع الاستمرار في الوقوف وبدأت تترنح .. وأثناء ركوعها ضغطت على الجرح وتحاملت عليه بأكثر مما يستطيع فعاد النزيف يزداد مرة أخرى.

كان يقف على الباب ينظر للخارج ويلتفت إليها بين الحين والآخر، رأها تترنح فأسرع إليها يسندها حتى تجلس بجوار الحائط، ودت في تلك اللحظة أن تدفعه بعيدا وتمنعه من لمسها لكن لم تكن تتمالك نفسها من كثرة الألم فقد ترك الجرح دون خياطة أو حتى تطهير لعدة ساعات طويلة.

-مش خلاص صليتي ؟ .. كفايه بقى، ارتاحي شويه

– لا لسه ما خلصتش

استدارت جهة القبلة بجالسة لا تقدر قدميها على حملها، لحسن حظها اتجاه القبلة ملائما لوضعية جلوسها؛ حتى تستطيع الاتكاء بظهرها على الحائط، استغرقت في صلاتها، تركها يتعجب من أمرها؛ كيف تصلي وهي على هذا الحال ؟، فيما هو كلما شعر فقط ببوادر تعب أو بشكل أصح تكاسل، ترك الصلاة ويجعلها تتراكم عليه حتى يعجز عن تأديتها لكثرتها، هذا عندما كان يصلي منذ أمد؛ فقد هجر صلاته منذ توفيت والدته وأصبح وحيدا حيث شعر أن الرب الذي يحرمه من أهم شخص في حياته لا يستحق العبادة.

لم يتمعن في قول الله تعالي "ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص في الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين".

بعد انتهاءها من صلاة الظهر وما يليها من سنة، أصبحت تصلي دون توقف حتى سلمت من إحدى صلواتها التي لا تعلم ما عددها فيما صلت؛ كانت تشعر أن روحها قد تقبض في أية لحظة، رغبت أن تقبض وهي عابدة مصلية.

سمعت آذان العصر، رددت معه، قالت الدعاء، سنة عن رسول الله حيث قال النبي ﷺ "من قال حين يسمع النداء، اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت سيدنا محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته .. حلت له شفاعتي يوم القيام" كذلك قال "من قال حين يسمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالإسلام دينا، غفر له ذنبه"

في إنتظار إقامة الصلاة بدأت تدعو الله أن يرحمها وينجيها ويبعد عنها من يريد الضرر بها أو بإخوتها وبالمسلمين جميعا ثم ختمت بسؤال الله حسن الخاتمة وشفاعة النبي لها وأن يرزقها فسيح جناته، استمرت في دعاءها عملا بحديث الرسول القائل فيه "لايرد الدعاء بين الآذن والإقامة"، سمعت الإقامة فقامت بتأدية صلاتها، ما إن انهتها حتى غامت الدنيا أمامها وفقدت إتزانها مما أدى إلى سقوط رأسها على الأرض جانبا.

***

–ما خلاص يا إيمان إهدي شوية .. إن شاء الله البنات بخير

صاحت بصوت عالِ: خير ؟!، وهيجي منين الخير وأنا حاسه بقلبي واكلني عليهم

تنهد: ما إنتي كل مرة بتسافري وتسيبيهم بتقلقي إيه الجديد ؟

إيمان وهي تنظر إلى الـ لا مكان: الجديد ؟ .. الجديد إنها أول مرة أحس بنار والعه ف قلبي كأن فيه واحدة منهم جرالها حاجه ... يا خوفي

– طب هدي نفسك كدا وأقري المعوذتين .. وإن شاء الله خير

– بردو بتقولي خير .. أنا هاتصل بيهم أطمن لأحسن أكتر من كدا هأتجنن

رفع رايته البيضاء مستسلما: طيب، بس كلميهم بهدوء بلاش تخضيهم ع الفاضي

وافقته وذهبت لتهاتفهم لكن استمر الرنين دون مجيب، رفعت نظرها إليه بقلق أكبر: لا دا كدا مش طبيعي .. يبقى فعلا في حاجه

تسرب إليه بعض من قلقها: إيه ؟ .. في إيه؟

– لا تليفون البيت بيرد ولا موبايلات كمان

– إنتي هتقلقيني ليه ؟ .. يمكن بيصلوا العصر ولا حاجه

– لا أنا مش هأستنى أكتر من كدا .. هاتصل بأم جلال يمكن تكون عارفه عنهم حاجه

دقت أزرار هاتفها تقلب الاسماء بسرعة وتوتر تتلمس أول إشارة إلى اسم أم جلال المقيد بهاتفها: السلام عليكم

– وعليكم السلام يا إيمان .. قلبي معاكي يا حبتي

اعتصر قلبها خوفا: ليه ؟ .. هو حصل إيه يا أم جلال؟

شهقت: لهو إنتي ماتعرفيش اللي جرا ؟

صاحت بها: إيه اللي جرا؟

سردت ما حدث وما تعلمه؛ سماعها صراخ بالشقة المجاورة، نداء أكرم ومصطفى على الأختين، آثار الدماء التي رأتها حتى أنتهت بوصول الشرطة التي حضرت ثم انصرفت تاركة عسكري على باب الشقة وإختفاء الفتاتان ومعهما الصغير.

قلب الأم لم يستطع إكمال معرفة تفاصيل أكثر أو استيعاب كلمات المواساة من جارتها وقريبة زوجها، كأن عقلها تنبأ بسماع خبر إصابة إحدى فلذات كبدها بمكروه أشد وطأة فأتجه إلى الهروب من الواقع المرير عبر إرسالها في رحلة مدفوعة التكاليف إلى عالم اللا وعي.

سقطت من يدها السماعة ليتردد صوت أم جلال على الناحية الأخرى من الخط مجلجلا: آلو



الفصل التاسع عشر

كان القلق هو الشعور السائد في فيلا السويفي، اجتمع الجميع في صالة المنزل، أسدلت الستائر فغمر البيت الظلام قبل أوانه، ضمت هند شقيقتها كي تخفف عنها فيما تذرف دمعها في صمت، في حين جلست صابرين بجوار مرام من الجهة الأخرى تحاول تخفيف وطأة أصعب لحظات حياتها.

وقف أحمد بعيدا عن أصوات النواح؛ يقوم بمحاولات مختلفة مع أشخاص ذوي نفوذ، للوصول إلى مكان فريدة أو معرفة هوية خاطفها، فأحدهم شرطي وآخر يعمل لصالح المخابرات.

احتل آدم وأكرم إحدى الأرائك يتوسطهم مصطفى الذي وضع رأسه بين قبضتيه ناظرا للأرضية أسفل قدميه، الدموع تهطل منه دون توقف؛ تبدل حاله مع أكرم، عندما أطمئن الثاني لسلامة مرام عادت سيطرته على ذات، أما الأول فقد طارت أعصابه مع الريح منذ علم أنها صاحبة تلك الدماء التي رأها ولا يعلم ماذا حل بها .. "حبيبته الضائعة".

دخلت ندى كاسرة حاجز الصمت القائم في المكان: أخيرا سيف نام .. فضل يعيط ويقول ديدة لحد ما تعب ونام

تنهدت وجلست على مقعد جانبي، زفرت صابرين: إن شاء الله ترجع بالسلامة

دق جرس الفيلا يعلن قدوم زائر مفاجئ دون سابق ميعاد، أتجه ياسين يفتح الباب ويرى من الطارق؛ صدمه رؤية إيمان وعبدالرحمن بالإضافة إلى شحوب وجهيهما كالموتى؛ لقد ذهبا إلى أم جلال وأخبرتهم أنها لا تعلم أكثر مما قالت، لكن أتت زنوبه لترى إذا كانت هناك أخبار جديدة والتقتهم وأخبرتهم بأن الشابين أخذا مرام معهما، مما جعلهم يسرعوا فورا إلى منزل السويفي.

رحب بهما ياسين: أهلا أهلا .. اتفضلوا

بمجرد رؤية مرام لوالدتها؛ ركضت ترتمي بين أحضانها كما اتجهت هند إلى والدها، يتلمس كل منهما الراحة فوق صدر الآخر، كذلك الشعور بالاطمئنان والتخفيف من حدة غياب فريدة.

بعدما جلس الجميع وهدأت الأشواق، صرحت مرام باكية، تخفي وجهها خلف كفيها: أنا السبب .. أنا السبب

ربتت الأم على كتفها دون أن تمنع سيلان الدموع التي خطت أخاديدا فوق وجنتيها: ما تقوليش كدا يا بنتي

انفجرت: ما أقولش كدا إزاي بس .. الراجل كان هيضربني أنا بالسكينة بس هي فادتني ودافعت عني مع إني ما استاهلش .. كنت لسه مزعقه لها ومتريقه عليها، وحتى ما قولتلهاش تصبحي على خير .. سبتها ودخلت أوضتي .. كمان رزعت الباب ف وشها عشان ما تفكرش

تكلمني ..كل دا ومش عايزاني أقول كدا ؟! .. عمرها ما غلطت ف حقي وكانت بتعاملني كأم أكتر منها أختي الكبيرة ..

تشدقت: عمرها ما غصبت عليا حاجه؛ حتى الحجاب .. كانت بتدعيلي ربنا يهديني وتنصحني، بس كنت بأركب دماغي .. ولما روحت قولتلها أنا هاتحجب فرحت لي أكتر من نفسي .. وف الآخر يحصلها دا كله بسببي

تدخل ياسين بعقلانية حتى يهدأها: دا حرامي .. بس نصيبه دخل أوضتك إنتي يا بنتي

اقترب منهم أحمد، توجه بحديثه لوالده قبل البقية، قال بجد: لا يا بابا .. دا كان قاصد مرام نفسها؛ الظابط قالي إن أوضة فريدة هي الأسهل ف دخولها .. عشان جنبها مواسير كبيرة يقدر يطلع منها ع أوضة فريدة على طول، لكن أوضة مرام أبعد .. غير كدا البيت ما أتسرقش منه حاجه

فغر عبدالرحمن فمه مذهولا: يعني هيكون عايز مننا إيه ؟ .. ومن مرام بالذات؟

فكرت ندى بصوت مرتفع: يمكن عشان يطلبوا فديه

حدقت بها إيمان بتعجب: بس إحنا معناش فلوس للدرجة دي ولا شكلنا يقول إن معانا وإننا مستعدين لدفع أي فدية

تساءلت صابرين: وبعدين ما اتصلوش ليه لحد دلوقتي مادام الموضوع كله فديه؟

شرد أحمد قبل أن يقول بعقل: أكيد بيدونا وقت عشان أعصابنا تتعب وبمجرد ما يتصلوا نوافق على أي مبلغ .. بأي شروط

انتفض مصطفى من مجلسه منفجرا: بس بقى، بس .. أنتوا قاعدين تتكلموا وتضربوا أخماس ف أسداس، وإحنا أصلا مش عارفين هي حيه ولا ميتة .. مش عارفين الحيوان دا حطها فين .. ولا جرحها عامل إزاي .. عالجها ولا سايبها تموت ؟!

عاد البكاء يزداد مرة أخرى بعد كلمات مصطفى التي قلبت الأوجاع وألهبت الجروح المفتوحة، تلتقط ما يعيد وجعها من جديد، أتجه إليه آدم مهدئا: أهدى مش كدا .. يعني بإيدينا إيه ما عملنهوش ؟

صاح مصطفى بغضب من نفسه أكثر من غيره: ماهو دا اللي هيجنني .. إحنا قاعدين متكتفين .. ف المستشفيات مالهاش أثر يعني سيبها كدا تنزف عادي .. قلقان عليها وخايف بس مش عارف أعملها إيه .. حاسس إني متربط

دنى منه أحمد ووضع يده بقوة فوق أكتافه: أدعي ربنا يفرجها

ألجمته الجملة الأخيرة، جمع شتات نفسه وأنصرف خارجا، حاول أكرم اللحاق به لكنه لم يدركه؛ فقد أخذ سيارته منطلقا بها كأنه قد تذكر شيئا غاب عن باله أو أتاه خبر ما.

***

استغرقت في الصلاة والدعاء، تطلب من الله المغفرة والعفو عن أي ذنب اقترفته في حياتها قد يهلكها في آخرتها، فلا يعلم المرء بأي عمل يدخل الجنة وبأيها تأكله النار، رأت الباب يفتح عقب سلامها، ظل يتجه إليها ويمد يده كي تتمسك بها ثم يساعدها على النهوض، نظرت لوجه الغريب وتمعنت به حتى اتضحت معالمه أمامها، مصطفى يبتسم لها متشبثا بكفها، يحثها قائلا: يلا قومي معايا

نظرت إليه مصعوقة: أنت جيت هنا إزاي ؟ وعرفت مكاني منين ؟

محافظا على ابتسامته أجابها: قلبي ... قلبي دلني على مكانك

أحمرت وجنتيها: ومال قلبك ومالي؟

غمزها متبسما: يعني مش عارفه؟

استفسرت متهربة: يعني هتاخدني على فين؟

طمأنها: على مكان أحلى من هنا

أصرت بعدما سحبت يدها من كفه: أيوه .. يعني على فين؟

مد يده أكثر نحوها: تعالي وإنتي تعرفي

همت بإمساك يده لكن حال دون ذلك ظهور شبح أسود طويل خلف مصطفى، أفزعها فصرخت به محذرة: حـــــاسب

شعرت بيد تهزها: إنتي مش عايزه تقومي تصلي المغرب ولا إيه؟

فتحت عينيها بفزع ونظرت حولها، مازالت سجينة، سألته بينما تفرك جبينها لتفيق: هو أذن؟

– أيوه، ولما ما صحتيش لوحدك قولت أصحيكي مع إني كنت هأسيبك

– لا كتر خيرك

ناولها زجاجة مياه أخرى غير التي أنهتها: خدي أتوضي، وأنا هأخرج برا شويه وجاي

تركها تتأهب لتأدية فرضها، أفاقها ليس لتصلي فقط بل ليطمئن أنها ماتزال على قيد الحياة؛ فمنذ أغمي عليها بعد صلاة العصر وهي راقدة دون حركة سوى سماع بعض الهمهمات التي لم يفهم منها شيئا.

اخرج هاتفه وضغط عددا من مفاتيحه مرددا بصوته الغليظ: آلو

صوت أنثوي ناعس: آلو

ضحك متخابثا: تصدقي صوتك حلو وإنتي لسه صاحيه من النوم ؟

– عايز إيه؟ اخلص

– ما براحه يا جميل، مايبقاش قلبك حامي كدا

تأففت باريهان: يـــووه .. ما تخلص يا زفت

– زفت زفت مادام منك يا جميل .. ع العموم أنا كنت عايز اعرف إحنا هنتصل بيهم إمتى؟

– مش دلوقتي .. سيبهم على نار شوية

– يا قاسي أنت يا أبو قلب جامد ... وليه دا كله؟

بغل: أنت أه ما عرفتش تجيبلي البت اللي كنت عايزاها بس جبت أختها فأكيد دلوقتي هي عماله تاكل ف نفسها ومقطعة نفسها من العياط على أختها حبيبتها .. والبيه تلاقيه مضايق على حبيبة القلب، خليه يبقى يشبع بيها ويتحرق دمه ودمها أكتر

ضحك بغلظة: مش قولت قاسي

– المهم ع الفجر كدا أبقى اتصل بيهم .. أكيد مش هيجلهم نوم من غير ما يطمنوا على السنيورة اللي مرميه عندك .. بس أهو حتى ولو ناموا يقوموا مفزوعين

– شكلك مغلولة منهم أوي

صرحت: أكتر مما تتخيل

– طب سلام بقى لما ادخل أشوفها

– روح .. خلي عينك عليها

اغلق سعد الخط، كاد يدلف إلى الداخل عندما ارتفع رنين هاتفه من جديد قبل أن يغلقه، ردد متأففا: أيوه

–إيه يا ابني، فينك مختفي كدا؟ .. يومين لا حس ولا خبر؟

– ورايا شغل يا هشام .. عايز حاجه؟

هشام بقلق: شغل إيه دا؟ .. ما قولتليش يعني إن أنت لاقيت شغل

تأفف بملل وضيق: هو أنت كنت أمى .. ما تحل عن دماغي شوية

– أكيد حاجه مشبوهة تاني .. يا ابني أنت حالف لتودي نفسك ف داهيه ؟؟

– أروح ف داهيه .. أروح النار حتى .. مش شغلك

– طيب خلاص براحتك، أنت فين دلوقتي؟

– ليه؟

– عايز أشوفك يا أخي

– طيب طيب، هأجيلك بكره الصبح

سأله بشك: وليه مش دلوقتي؟

– يـــــووه، أنا هأقفل أحسن

أغلق الهاتف نهائيا؛ حتى لا يسمع إلحاح صديقه، دلف إليها، وجدها تصلي؛ فقد سمع آذان العشاء قبل اتصال هشام به، تركها تصلي وجلس بعيدا مخرجا سيجارة ملفوفة يدويا، حجمها

كبير كأنها قرطاس لها رائحة غريبة لا يطيقها سوى من أعتاد عليها، بدأ يشربها ويتلذذ بزفرها في الهواء بينما يضحك بسعادة، فدائما المخدرات تجلب السعادة إلى قلبه ولو بشكل مؤقت.

***

ظل يقود السيارة بأقصى سرعة؛ كأنه يسابق الريح، أوقفها فجأة على أحد أجناب الطريق، طرق عقله كلام السيدة المسنة.

"صلي، صلي يا ابني وأدعيلها كتير ربنا ينجيها، هو وحده اللي عالم بحالها دلوقتي وهو القادر على كل شئ".

يليها كلمات أحمد" ادعي ربنا يفرجها".

أتجه إلى مسجد كان على بعد خطوات منه، توضأ وصلى كثيرا واستغرق في الدعاء .. يا الله كم نسيتك وكم عصيتك لقد ألهاني حزني عنك عوضا عن تقريبي إليك، سامحني يالله .. وأقبل توبتي يا رب؛ فأنت ارحم الراحمين .. أرجوك لا تحرمني منها؛ هي أملي في الحياة .. أمل حصولي على السعادة الحقيقة، أعدك يا ربي أن أطيعك منذ الآن، لن أفعل ما يغضبك وسوف اتقرب إليك وأفعل ما ترغبه وما يجعلك ترضى عني .. فإن كانت حبيبتي تحبك وتطيعك، فكيف لي ألا أفعل .. أنت من بيدك وحدك أن تعيدها إليّ؛ فأعدها يا الله سالمة معافاة.

صمم في عقله أنه بمجرد أن يجدها سيتزوجها، بعد رضا الله عنه، كفكف دموعه بينما يهم بالخروج، سمع شخصا من خلفه يناديه: يا ابني .. استنى

أشار إلى نفسه مستغربا: أنا؟

رجل ذو لحية بيضاء وعباءة بيضاء حتى سبحته كانت تبرق من البياض، لم يكن هناك غيره بالمسجد ولم يره مصطفى عند دخوله، قد يكون بسبب شروده أو إنهماكه في صلاته ودعاءه كذلك أفكاره التي تدور حولها وحدها.

ابتسم ابتسامة أضاءت وجهه : أيوه أنت .. تعالى

توجه إليه كأنه لا يستطيع الرفض وجلس بجانبه: خير يا حاج

محافظا على نفس بسمته: أنت كنت ماشي؟

أومأ بالإيجاب: أيوه

– مش هتستنى تصلي الفجر؟

دُهش: الفجر؟

– أيوه .. دا خلاص، كلها عشر دقايق ويآذن

رد بعفوية: بس أنا ما بأصليش الفجر

اتسعت ابتسامة الرجل: بتحب الحكايات؟

رفع حاجبيه عجبا ولكنه هذبهما احتراما للرجل الذي أمامه: ومين مش بيحبها؟

– طيب اسمع الحكاية دي مني

عشان أصلي الصبح جماعة ..... ظبطت المنبه قبل ما أنام

وقبل الفجر ما يجي بساعة ..... ضرب الساعة أربعة تمام

أتخضيت من صوته خضة ..... قعدت بعدها متضايق

غلبت الشيطان وقومت اتوضه .... لاقيت نفسي بعدها رايق

إتوضيت والوضوء عبادة.....وقوام فردت السجاده

وصليت الوتر بعد القيام ..... وحمدت ربي على الإسلام

وطلبت طلبات كتير ..... ماهو أنا ف التلت الأخير

مش كده بس لأ وكمان.....قعدت شوية أقرأ قرآن

بأحكامه كلها ومنها الغنة ..... وفجأة سمعت صوت الأدان

أنزل الجامع أصلي السنة؟.... ولا ف البيت هي كمان؟

هي ثوابها ف البيت أكبر ..... بس بصراحة خوفت اتأخر

صحيت اللي عندي ف البيت ..... وقوم ع الباب جريت

فتحت الباب جالي اكتئاب ..... ماشي لوحدي والسلم ضلمه

قوموا صلوا .... ي اناس يا ظلمه

أول ما خرجت م العمارة ..... قابلني واحد بسجارة

بصلي من فوق لتحت ..... وقالي: لو سمحت!

عايز منك كبريت ..... قولت: بأسيبه ف البيت

قالي: طب هات ولاعة ..... قولت له: بص في الساعه

ده معاد الصلاة تعالى صلي ..... الجامع قريب هنا قدام

سمعني بقول له صلي قال لي: ..... عليه الصلاة والسلام

وكان هيمشي قلت: استنى .... وكلمته عن النار والجنة

الراجل خاف م العذاب .... وحب الجنة؛ فاستجاب

حسيت بنشاطي اتجدد .... وخدته من إيده ع المسجد

لاقيت واحد صحبي ف بلكونته ..... شكله اتضايق لما شوفته

هو ساكن فوق الجامع لزق ..... قلت له: انزل، قال: لأ

قولت لصاحبنا اللي اهتدى: .... إنهارده عمرك ابتدى

ولو سمحت سيبنا لوحدنا ..... واسبقني أنت واتوضه

ومتنساش تقول لربنا ..... وعجلت إليك ربي لترضى

استجاب وراح ف ثواني ..... فبصيت لصاحبنا التاني

قولت له: الشيطان بيغويك ..... قال: صلي ع اللي هيشفع فيك

ومن الآخر ما تضايقنيش ..... لسه ربنا مهدانيش

قولت له: ربنا يهديك ..... بس أنت حاول تتوب

قال لي: ربنا يديك ..... ويصلح بيك القلوب

ومتوجعش دماغي ودماغك ..... وابقى خدني على جناحك

وأنا هأبقى أصلي بعد ساعة ..... قلت: لأ لازم ف جماعة

قعد يعيد لي ويزيد لي ..... ومبرراته أي كلام

مرة يقوللي كاللوا ف رجلي ..... ومرة تعويره ف الأبهام

وقال لي: طب إيه يضر .... لو صليت قبل الضهر

قولت له: لأ هنا بقى وحاسب ..... صلاة الجماعة شئ واجب

وميتفعش بعد شروق الشمس ..... فأنزل بقى وبطل هلس

قال لي: من الآخر أنا حر ..... والصبح معاده لحد الضهر

قولت له: طب فين أخوك ..... قال بيصلي بعد الشروق

مشيت وأنا بأضرب كف على كف ..... الناس خلاص عقلها خف

كنت من البرد هتجمد ..... وأنا واقف بأتكلم معاه

المهم دخلت المسجد ..... وعلى طول أقيمت الصلاة

يووووه فتتني السنه ..... ما إحنا قبل كده قولنا

نصلي على طول ف البيت ..... بس برضه وقتها حسيت

إن أنا بردو كسبان ..... ربنا هدى بيا إنسان

صليت وجنبي إتنين .... تلاتة بس، ورا الأمام

صلى بينا ركعتين ..... وحصل مشكلة بعد الختام

أنا بعد ما بعدت بعيد ..... واستغفرت ربنا على ذنبي

راح صاحبنا الجديد ..... يسلم ع اللي صلى جنبي

قال له: أتق الله يا مبتدع ..... ياللي بسلام بعد الصلاة منخدع

قال له: هو السلام بقى ذنب ؟ ..... قال له: أيوه ومرض ف القلب

رحت له وقلت له: براحه .... الراجل مايعرفش ده لسه جديد

قال: من الآخر كدا وبصراحه ..... أنت باين عليك مبتدع أكيد

بتشجعه على الفسق والفجور؟ ..... كلامه خلى دمي يفور

ومسكت نفسي بقدر إمكاني ..... وصاحبنا قال: مش جاي هنا تاني

وأخينا التاني ده مطنشه ..... مع إن هو اللي طفشه

فكلمت أخينا بكل هدوء ..... وسألته عن حكم ف الوضوء

فجأه لقيته سكت ومبلم ..... أنا قلت يا سلام سلم

بقى عامل فيها علامة ..... وأنت مش عارف تتوضه

قال لي: أخرج من هنا بالسلامة ..... طردني شر طرده

قلت: أنا قاعد للشروق ..... قال لي: أخرج من هنا بالذوق

عملت نفسي مش سامع ..... فجأة لاقيت أخوه بيندهله

أتاري العمارة اللي فيها الجامع ..... بتاعت حد من أهله

خرجت وأنا بأهرش ف دماغي ..... وحاسس إني مش متفائل

منهج الوسطية بقى لاغي ..... ده متشدد وده متساهل

بقى ينفع نحرق دمنا ..... وكل يوم نسأل بعضنا

البركة ليه راحت مننا؟؟ ..... ده إحنا بنفوت ف كل فرض

يا جماعة من رحمة ربنا ..... إنه ما خسفش بينا الأرض!*

بمجرد إنتهاء الرجل من سرد قصته حتى رفع الآذان، وضع يده على فخذ مصطفى يشجعه بابتسامته البشوشة: يلا نستعد لصلاة الفجر

رفع رأسه لذلك الرجل الذي يشع وجهه نورا غريبا، وجد نفسه يشعر براحة كبيرة تتسلل داخله ودب النشاط في جسده، نهش بابتسامة مشرقة تزين وجهه الوسيم ليتوضأ من جديد وقد أتخذ عهدا على نفسه بصلاة الفجر في وقتها ... في المسجد.



مقتبس*

الفصل العشرون

هجر النوم أعين الجميع، مفسحا المجال أمام القلق ليؤدي وظيفته على أكمل وجه وبأحسن صورة، جلس ياسين مسندا رأسه بيده ومع ذلك كانت رأسه تسقط ليستيقظ من غفوته ويعتدل في جلسته ويعود إلى ذات الوضعية.

حثه عبدالرحمن: اتفضل أنت يا ياسين، ارتاح .. كفايه متقلين عليكوا وقاعدين ف بيتكوا مش معقول هنقلق راحتكوا كمان

علق أكرم مسرعا حتى يزيح عن الآخر أي حرج: البيت بيتك يا عم عبدالرحمن، ما تقولش كدا

عاتبه ياسين بنظراته: دا إن ما شالتكوش الأرض نشلكوا ف عينينا

أضافت صابرين تساند زوجها: أكيد يا ياسين، هو بيقول كدا بس عشان يعرف غلاوتهم عندنا

شكرت إيمان حماة ابنتها: الله يكرم أصلك .. أنتوا اللي ولاد أصول

نهضت صابرين تحاول إقناع زوجها: يلا يا ياسين؛ عشان ترتاح وتنام شويه

ياسين رافضا: لا لا أنا مش نعسان، دا الدوا هو السبب

عبدالرحمن: اطلع واسمع كلام مراتك

استسلم في النهاية وانصاع: طيب بس لو عرفتوا حاجه قولولي

أكد له أحمد: ما تقلقش يا بابا

غادر بصحبة زوجته كي ينال قسطا من الراحة، عاد مصطفى إلى المنزل ينضم إليهم ويشاركهم آخر المعلومات التي وصلتهم وقد بدا هادئا مسيطرا على أعصابه لدرجة استغربها الكل.

استفسر مصطفى بهدوء: في جديد؟

اختصر أحمد طول الكلام: لا

تصاعد رنين أحد الهواتف بنغمة عالية، كأنها وضعت الطير فوق رؤوسهم، سكت الجميع خوفا إذا نطق أحدهم تحل اللعنة عليهم، تصلهم أخبار سيئة مؤلمة، تلمس أكرم جيب سرواله حتى تأكد أن هاتفه هو الذي سبب تلك الحالة للجميع، حدق في شاشته مستغربا الرقم، أجاب متأففا، ليس وقت الدعابات: السلام عليكم

صوت غليظ: هههههه هو أنا هاخلص م الخضرة الشريفة اللي عندي هتطلعلي أنت كمان؟

تساءل بعدم فهم: أفندم؟

– لا ما تاخدش ف بالك .. وعليكم السلام يا سيدي

رد بملل: شكل حضرتك فايق وأنا مش فايقلك بصراحة

– ههههههههههه عشان السنيورة اللي ضاعت منكوا .. يــوووه قصدي اتخطفت منكوا؟

– فريدة ؟ وأنت عرفت منين؟ أنت مين؟

طرق ترديده لاسمها أذان البقية، انتبه الجميع واقترب مصطفى منه يحاول تقريب أذنيه من الهاتف ليسمع الحوار ويرى سبب ذكر اسمها.

– هههههههه حيلك حيلك يا عم .. أه هي .. عرفت منين؛ فعشان هي عندي .. لكن أنا مين دا مش مهم .. الأهم أنا عايز إيه

– وعايز إيه .. أكيد فلوس .. كام؟

– أهو كدا تعجبني .. ستة مليون جنيه، كل تلاته ف شنطة وطبعا مافيش بوليس

– إيه؟ مش كتير أوي المبلغ دا؟

– ما أعتقدش لو تهمك السنيورة اللي جوا هتعتبرهم كتير .. مش بيقولوا بردو، الغالي تمنه فيه

– وهاديهملك إمتى؟ وفين؟

– لا لا مش كله مرة واحدة يا خفيف .. استنى مني اتصال زي دا إنهارده .. بكره .. بعد بكره .. كمان أسبوع مش مهم .. سلام

أغلق الخط ثم نزع المنديل عن الهاتف، فقد أدت قطعة القماش مهمتها حين غيرت نبرة صوته، زادته غلظة وضاعفت قوته؛ فترك تأثيره المنشود.

علق السماعة مكانها، خرج من كابينة الهاتف العمومي وانطلق واضعا يديه في جيبه، أحكم وضع القلنسوة فوق رأسه الخاص بالجاكت الذي يرتديه، وقد تدلت قليلا لتخفي أطراف

وجهه وأغلب ملامحه في ظلالها، سار في الشارع الخالي إلا من كلب ضال وعمود إنارة وحيدة في الطريق المهجور، كأنه بلا نهاية.

***

سمع طرقا على الباب، أتجه إليه حتى يرى الطارق، فتحه مصدوما؛ لقد غاب عنه فترة طويلة لم يفكر أنه سيقطعها قبل أشهر فتلك عادته: سعد؟

أجاب بينما يدخل المنزل: مالك مستغرب ليه؟ ما أنا قايلك إني جاي؟

أغلق الباب: ما أنت قفلت ف وشي فجأة؛ فقولت زعلت مني ومش هتيجي

ارتمى فوق أريكة كانت فيما سبق مذهبة الأطراف: لا وأنا أقدر بردو

– تشرب شاي؟

– ياريت، أحسن دماغي بتودي وتجيب

وقف يعد الشاي في المطبخ الذي لا يبعد سوى خطوتين عن مجلس ضيفه: خير في حاجه؟

– أبدا الشغل مش أكتر

– ما قولتليش .. شغل نوع إيه ؟

– مش مهم نوعه .. المهم مكسبه

– لا المهم نوعه .. أنت شايف إن اللي أنت بتعمله صح؟

شخر ساخرا: حوش حوش .. لتكون فاكر نفسك أحسن مني يابا، لا اصحى وشوف أنت عايش وبتصرف من فلوس مين

وافقه نادما: عارف وتوبت وياريت أنت كمان تتوب

تراجع في جلسته ضاحكا: توبة .. يا ابني أنا ما تنفعنيش الكلمة دي خلاص

أسرع يحاول تغيير رأي صديقه حتى يعود للدرب الصحيح: ليه بتقول كدا؟ دا ربنا كبير

تنهد بينما يحدق في السجادة يُحصي ثقوبها: أنت لو شوفت البت اللي خاطفها وإزاي بتصلي وتدعي لحد ما تتعب ويغمى عليها وتصحى تصلي وتدعي .. هتعرف إننا مهما عملنا لربنا عمره ما هيجي جنبها حاجه

أدار ظهره بحذر؛ حتى لا يكتشف زلة لسانه عن غير قصد: بس اللي بيغلط ويتوب ثوابه كبير، حتى يمكن أكبر من اللي ما غلطش كمان

– دا كلام بنصبر بيه نفسنا

– وهتخلص الشغلانه دي إمتى؟

ارتشف من كوبه بعضا من الشاي، هز كتفيه: على حسب ما اللي أمرتني تقول

– هي واحدة كمان؟

اكتشف تهوره فنهض: أنا هأمشي؛ عشان ورايا مشاوير لازم اعملها .. عايز حاجه يا صاحبي

– سلمتك يا صاحبي

تأكد من تقدمه مسافة كافية، تناول مفاتيحه وغادر المنزل لاحقا به؛ مهما حدث فهو صديقه ولن يستطيع أن يتركه يهوى من فوق الحافة إلى أعماق الخطيئة وقيعان الذنوب دون أن يحاول مساعدته ولو على الأقل محاولة فاشلة، حتى ولو على حساب نفسه.

***

الوقت يتجاوز منتصف الليل بساعة، لم يأتِهم أي خبر أو اتصال من ذلك الرجل مرة أخرى، جهزوا الأموال المطلوبة وجلسوا يذوقون مرارة الانتظار، ترقبا لأمره كي ينطلقوا إليه فيتم تحرير فريدة من بين يديه القذرتين، لكن الانتظار طال والترقب فاق الاحتمال وليس هناك أخبار.

كان التوتر يسود الأجواء لما دخل عليهم سيف بابتسامته الطفولية متجها إلى مجلس مرام؛ كفكف دموعها التي ما إن تتوقف حتى تعاود الهطول بغزارة أكبر: مش تعيطي يا مرمر

ضمته إلى صدرها: إزاي بس؟

تساءل ببراءة: وإنتي بتعيطي ليه أصلا؟

تجذبه ندى بقربها: تعالى يا سيف وسيب مرام ف حالها

كرر بإصرار: طب هي بتعيط ليه؟

آدم مغيرا الحديث: وأنت مالك بقيت مبسوط كدا فجأة .. ما تفرحنا معاك

هتف بفرح: عشان شوفت ديده

صدمة حطت فوق رؤوسهم، قيدت تفكيرهم وأطلقت صراح تساؤلاتهم، تهيؤات وهلاوس أصابت الصغير من شوقه إليها أم حقيقية، وإن كان واقعا فكيف رأها قبلهم، لم يتزحزح من غرفته إلا للجلوس معهم .. فكيف حدث؟

أفاقوا عند إنطلاق مصطفى إليه، حمله ووضعه فوق ركبتيه: شوفتها فين يا سيف؟

– ف الحلم

تنهد مصطفى بخيبة أمل: حلم؟

نظرت له ندى بأسف ثم سألت ابنها: وشوفت إيه ف الحلم يا سيف؟

– كانت نايمه وفيه حواليها دم كتير أوي .. بس بعدين جه واحد كدا أنا ما أعرفوش وشالها وجابها هنا

دارت العيون، كل واحدة تحدق في نظيرتها، تتلمس الإنقباض الذي أحسته في عيون الغير، تشارك الجميع مزيجا عجيبا من المشاعر، الأول هو الحزن وزيادة الخوف على حالها أما الثاني فهو الفرحة والغبطة بعودتها القريبة، تقاسموا الحيرة متمنين تحقق الحلم وعودتها إليهم.

***

حاول مجددا، مرارا وتكرارا أن يجعلها تستيقظ وتفيق، حتى من أجل الصلاة، أن تشرب، لكن لا حياة لمن تنادي.

وجد حرارتها شديدة الارتفاع، النار تتأجج بجسدها، لقد مضى على نزيفها وجرحها وقتا طويلا دون علاج أو مداوة، أوشكت جسدها على الدخول في صدمة دون مجيب، تلهث الجفاف الذي أصاب بدنها، وتتعرق ذنبا لم تقترفه فقط لدفاعها عن شقيقتها وطفل صغير السن، حاول الإنصات ليجدها تهذي بكلمات غير مفهومة، فكر كثيرا: أكيد الجرح، ربنا يستر وما يحصلهاش أكتر من اللي هي في دا

خَلّفها وراءه، ترتعش من الحمى فيما العرق يتصبب من كل أنحاء جسدها، زاد العرق في انتفاضه عبر خلايا جسدها، صنبور ماء تُرِكَ يُفرِغ ما بداخله دون أن يعبأ بإغلاقه أحد.

اتصل سعد بمن وضعته في هذا الموقف يلتمس المساعدة: الحقيني

صاحت بفزع: في إيه ؟! هببت إيه المرة دي ؟

– البت بتتنفض م السخونية، أنا خايف لتموت بسبب الجرح

تنهدت تأخذ أنفاسها المسحوبة منها: خضتني .. ما تموت ولا تتحرق بجاز .. المهم الفلوس

– أه ماهو إنتي بتقولي كدا؛ عشان إنتي بعيد .. لكن أنا اللي هأروح فيها

– والله أنا قولتلك أخطف بس، لكن أنت اللي طولت إيدك بالسلاح

– على العموم لو اتمسكت هأجيبك معايا مش هأرحمك .. أه ماهو يا نعيش إحنا الكل يا نموت إحنا الكل

– عليا وعلى أعدائي يعني؟

– الله ينور عليكي .. فساعديني أحسنلك

– خلاص خلاص.. تعالى لي البيت ماما مش هنا وهنعرف نتكلم براحتنا

– كدا تعجبيني .. مسافة السكة وتلاقيني قدامك يا حلاوة

أغلق الخط، نظر إلى الجسد الذي استنزفت دماؤه ويطرد سوائله، وجده على نفس الحال، فغادر متجها إلى منزل باريهان؛ حتى يجد حلا لتلك المعضلة وفكاكا من هذه الجريمة.

لم يلحظ أثناء اسراعه بالمغادرة تلك العيون المختبئة تراقبه، انتهز المتلصص فرصة خروجه من المكان واتجه بخطوات سريعة إلى الصبية الملقاة أرضا، تهذي من الحمى، ركع بقربها يساعدها على النهوض: أبوس إيدك قومي معايا بسرعة قبل ما يرجع لو عايزه تفضلي عايشه وترجعي لأهلك

حاولت فتح عينيها المطبقة لترى المتحدث، لكنها لا ترى بوضوح، فقط شخص، حال الضباب أمام حدقتيها من رؤية معالم وجهه، لكنها تعلم صاحب الصوت، نعم تعرفه، دققت أكثر في وجهه مجبرة عيونها على تمييز خلجاته ثم همست تتساءل عن صحت من رأت: هشام؟

تعجب من معرفتها به، دقق هو الآخر بها؛ فلم يكن مهتما بمعرفة شخصية المرأة التي خطفها صديقه، كما أن الدماء وحالتها الجسدية البالية لم تجعل من السهل معرفة هويتها، صرخ: إنتي ؟! .. فريدة

لم يتلقَ الرد؛ فقد غابت عن الوعي، حملها راكضا إلى الطريق العام، بعد ما يقرب من ربع الساعة مرت سيارة، أخبر سائقها أن زوجته جاءت لزيارة قبر أحد والديها وفجأه سقطت مغشيا عليها، رأى الرجل بقع الدم على ملابسه، كذلك ما كان يتقطر من جسد فريدة، لمعت عيونه بشك.

فهم هشام ما يدور برأس الرجل فسارع يتابع كذباته: أصلها كانت حامل

هدأ روع الرجل وبدأ يتفهم الظرف الطارئ، قبل مساعدتهم فقد أشفق على حاله حيث بدت المعاناة جلية عليها، حملهم إلى قلب المدينة، تساءل: تحب أوديكوا المستشفى؟

أسرع يرفض عرضه الشهم: لا لا أمشي وأنا هأوصفلك الطريق

هاجمه الرجل رأفة بها: بس دي شكلها تعبان أوي

ارتبك هشام، يترجى عقله أن يؤلف كذبة أخيرة تبرر مطلبه: أه .. أصل البيت اللي هأخدها عليه فيه دكتورة قريبتنا .. أصل أنا ما بأخليش راجل يكشف على مراتي، وأكيد مافيش دكاتره ستات دلوقتي ف المستشفيات

دعى أن يتقبل الرجل عذره، تقبل الله دعائه، فلقد كان الكثير من معارفه يمتلكون ذات العقلية ونفس الطابع، أضطر إلى الصمت أمام محاضرة طويلة يفضها الرجل الكبير في أذنيه عن ضرورة التخلي عن العقليات المتخلفة ومواكبة التحضر، زفر حينما أوقف سيارة النقل أمام المنزل المقصود، قرأ الرجل على اللوحة المثبتة فوق الجدار الصخري المحاوط للمنزل بصعوبة "فيلا السويفي".

هبط هشام وحمل فريدة من المقعد الخلفي، أشار للرجل أن ينتظره متحججا باحتمالية حاجة زوجته إلى بعض الأغراض من المشفى، أطاعه؛ فقد منحه مبلغا من المال ليس بالقليل.

أتجه إلى باب المنزل حاملا فريدة بين ذراعيه، همس في أذنها: كان نفسي أعملك أكتر من كدا، بس مش بإيدي سامحيني

بسط جسدها البالي من كثرة التخبط والإنهاك، هبط السلالم بعيدا عن الباب الداخلي للمنزل بعدما دق جرس الباب، نظر إليها بألم للحظة ثم أنطلق يعدو إلى السائق المنتظر، الذي ما إن رأه حتى أدار المفتاح بالسيارة وسار به حالما ركب إلى البعيد.



الفصل الحادي والعشرون

منزل يشبه الخاص بآل السويفي، لكن هناك عدة اختلافات أخرى، حيث الشبه الوحيد بينهما هو الموقع الراقي والنائي عن الضوضاء بالإضافة إلى الحجم الهائل لهيكل المنزل البنائي، حديثة تشكو الخراب وتنعى زمنا كانت فيه شديدة البهاء، أهملت الحديقة حتى بدت مزرية، تضر النظر ولا تسره، فقد تم الاستغناء عن البستاني؛ بسبب عدم توفر المال الكافي لدفع أجرته.

اقترب سعد من باريهان والرغبة تتصاعد من عينيه، ظلت تتراجع حتى اصطدمت بالجدار خلفها فهوى عليها سعد بجثته الضخم مقارنة بجسدها الضئيل، تلمس جسدها بيديه الخشنتين القذرتين فيما تحاول دفعه بعيدا عنها، تدفع ذقنه بيد حتى لا تشتم رائحة أنفاسه المليئة بالمخدرات، وبالآخرى تدفع يده التي تلمسها، صرخت به: أبعد عني يا حيـــــوان

كان مغيبا بما تناوله من مذهبات للعقل، لم يهتم قيد أنملة بما تقول؛ فقد انشغل بملامستها ومحاولة التقرب إليها، كافحت في مقاومته ودرأه بعيدا عن جسدها، لوحت بيدها في الهواء حتى وقعت على سكين صغير، تستخدم في فتح الرسائل .. كانت قد تركتها والدتها بعد فتحها رسائل الدائنين المستمرة وتركتها على الطاولة، قبضت عليها بقوة، رأتها وسيلة نجاتها الوحيدة، انهلت بها على جسده تمزق أنسجته وتقطع جلده السميك.

ظلت تطعنه وقد فقدت السيطرة على عقلها وتصرفاتها؛ مصابة بهستيرية، سقط على الأرض يشرب دما من كل بدنه، كل فتحة خلفتها السكين بجسده نبضت دماؤه خارجها، تأوه بصوت

أبح، ليس به طاقة وقد توقفت أحباله الصوتية عن تأدية وظيفتها، رغم ذلك استمرت في طعنه، لا رؤية الدماء ولا سقوطه أسفل قدميها شفعا له عندها، على صوتها بالسب واللعن فيه وفيما حاول فعله بها حتى سقطت على ركبتيها تنظر إلى ما أرتكبته يداها باكية بقهر وحرقة خوفا مما هو قادم وعواقب فعلتها.

***

دق جرس الباب بينما هم منتظرين تعليمات الخاطف لكي ينال المبلغ المتفق عليه في مقابل فريدة، اتجهت ندى تفتح الباب، لم تجد أحدا، همت بإغلاقه حين لمحت شيئا غريبا ملقى أرضا، نزلت بنظرها تدريجيا لترى جسد غارق في الدماء أمام ناظريها، ركعت بجوارها تشهق صارخة: فريدة

انطلق الجميع إلى حيث تجلس ندى تنتحب ما حدث لصديقتها وما تراه عيناها من منظر ترق له أقسى القلوب، دفع مصطفى الجميع يسبقهم وما إن رأى الدماء التي تغرق بها حبيبته حتى حملها وركض بها إلى سيارته، لم ينتظر لحظة قد تضيع في التفكير قبل الاتصال بسيارة الإسعاف أو فترة أخرى لا يعلم مدتها إلا الله في إنتظار وصول السيارة.

لحقوا به بعدما وضعها في المقعد الخلفي، ركب في مقعد السائق، اندفعت مرام تزج جسدها الصغير بجوار أختها، وأكرم صعد بجانب مصطفى في الكرسي الأمامي قبل أن ينطلق الأخير بسرعته القصوى، خلفهم باقِ العائلة.

كلما وقعت عيونه على شكل جسدها الدامي في المرآة، يشعر كأن دقات قلبه توشك على التوقف وتركه كذلك، دعس على دواسة البنزين بأقصى قوته؛ فهو لا يستطيع الاستغناء عنها بعد الآن.

حاول أكرم جعله يقلل من سرعته لكن مرام صرخت به بحدة وكره: سيبه يسوق بسرعة، أنت مش شايف غرقانة ف دمها إزاي ؟ .. دي بقالها يومين بتنزف

وصلوا المستشفى سالمين ومصطفى يحمل فريدة، أتت عدة ممرضات يقودن سرير المشفى المتحرك المخصص لاستقبال الحالات في غرفة الطوارئ، وضع مصطفى جسدها فوقه، وابتعد مكرها، أتى الطبيب راكضا بينما يلقي تعليماته يمينا ويسارا إلى الممرضات، وضع السماعة فوق قلبها ثم صرخ بصوت عالٍ: دخلوها ع الأوضة بسرعة

وقف خارج الغرفة يستمع إلى آخر كلمات الطبيب وتعليماته قبل إنغلاق الباب خلفه مع ما تبقى من حبه وحياتها التي أوشكت على الإنتهاء: قيسيلي الضغط .. وإنتي شوفيلي فصيلة دمها إيه

جرت دموعه تحفر أخاديدا فوق وجنتيه بعد ساعات من الجفاف، شاركه البقية حالة مشابهة في انتظار الأنباء من الطبيب. خرج الطبيب، فتوجهوا إليه مترجين إياه بأعين صامتة أخبار مفرحة تعوض عما مروا به.

كانت إيمان أول من تحدث، سألت الطبيب: فيها إيه بنتي يا دكتور؟

أجابها بهدوء الأطباء وجمودهم: هندخلها العمليات دلوقتي

ضربت بيدها فوق صدرها وأصدرت شهقة مرتاعة: عمليات ؟!

– أيوه .. نزفت كمية دم كبيرة .. والجرح ملتهب

أوضحت هند: أيوه دا بقاله يومين ع الحال دا يا دكتور

قطب الطبيب حاجبيه: يومين؟ .. جرح بالمنظر اللي شوفته ما يخليهاش تعيش أكتر من كام ساعه بس .. يظهر إن ربنا واقف معاها ومديها عمر، أدعولها .. وياريت حد يتبرعلها بدمه ضروري هي دمها

A+

أسرع مصطفى: وأنا بردو

نظر الطبيب إلى الممرضة التي خرجت لتوها من غرفة المريضة، وجه تعليماته إليها قائلا: خديه وانقليلي دم فورا

انصرف الطبيب حتى يستعد للعملية، ومصطفى ذهب برفقة الممرضة يتبرع بجزء من دمائه.

***

ماتزال الممرضة تحول دمه عبر الأنبوب الرفيع إلى أكياس خاصة حتى يتم نقلها إلى المريضة في غرفة العمليات، تعلق نظره بسريان الدم عبر الأنبوب، كان يتوسله داخليا أن يسرع حتى

تعود له من عشقها فؤاده في أقرب وقت، غامت عيناه وصار يفتحها بصعوبة شديدة، دلف أكرم إليه حاملا حقيبة بلاستيكية مليئة بعلب العصير المعلبة: عشت وشوفتك عندك دم يا درش

ابتسم مصطفى باعياء رغما عنه: عشان لما أقولك على حاجه بعد كدا .. تصدقني

ابتسمت الممرضة من مزاحهم: لا عنده دم ما تقلقش، دا متبرع لحد دلقتي بـ3 أكياس دم ودا الرابع

أطلق أكرم صفيرا وقد رفع حاجبيه مندهشا: ما شاء الله .. أنا جيت ف وقتي بقى

أخرج إحدى زجاجات العصير، مدها لمصطفى: اتفضل يا وحش

سأله غير قادرا على الرؤية بوضوح لتبين ما لوح به أمام ناظريه: إيه دا؟

– سلامة الشوف .. دا عصير

– لا ماليش نفس.. المهم فريدة عامله إيه؟

– لسه ف العمليات

– ربنا يخرجهالي بالسلامه

قهقه أكرم: ياعم ياعم، الناس بتتصفى دمها ومع ذلك فيها نفس تحب

جاره ضاحكا على قدر طاقته: أهو نقك دا اللي جابنا ورا

– هههههه لا نق ولا قر .. خد اشرب العصير

– قولتلك مش عايز، صحوبية إيه دي

تدخلت الممرضة تنصح مريضها: لو بتحبها فعلا اشرب العصير زي ما صاحبك بيقولك؛ عشان تعوض الدم اللي اتبرعت بيه .. عشان لما تخرج من العمليات بالسلامة، يبقى فيك حيل تروح تشوفها .. ولا ناوي تحصلها ع العمليات ونشوفلك أنت كمان حد ينقلك دم؟

تأفف ولكنه اقتنع، مد ذراعه لصديقه: هات يا عم

أبعد الزجاجة عن متناول يديه، وناوش صديقه قليلا حتى قذفه بوسادة لم تتحرك سوى مليمترات قليلة؛ لضعف قوته وضمور عضلاته لقلة الطاقة المخزنة بها.

قهقه أكرم معقبا على حال صديقه اللعوب: صحيح، الحب ذلال الرجال

***

جلس الجميع بحجرة فريدة بعدما طمأنهم الطبيب على حالتها وسمح لها باستخدام غرفة عادية، تساقطت التهنئات فوق رأسها وتكررت كلمات الحمد وآهات الشكر على مسامعها، تقبلت كل ذلك دون تزمر أو تأفف، ابتسامة هادئة محبة تضيئ وجهها الباهت؛ فما مرت به ليس بالهين، نظراتها تتقافز فوق وجههم، تطبعها في ذهنها، سعيدة بوجودها بينهم.

انتفض مصطفى واقفا فجأة في منتصف الغرفة وقد تركزت عيونه على وجه عبدالرحمن: بص يا عم عبدالرحمن .. أنا بنتك العيانة، اللي مرمية ع السرير دي .. طلعت عيني، آي والله

عقدت ذراعيها ونظرت إليه مشيرة إلى عينيه على التوالي: أومال إيه اللي ف وشك دي؟

تنحنح: دي عين سلف .. مالكيش دعوة، أنا بأكلم عمي مش إنتي يا حِشرية

رفع والدها كفه يمنعها من الرد والدخول في دائرة لن تنتهي، يستمر كل منهما في قذف الآخر دون نهاية، أومأ لمصطفى حتى يتابع حديثه، يستعجل الوصول إلى غرضه: طب كمل يا ابني

أكمل بجدية وقد قطب ما بين حاجبيه حينا وغامت عيونه في شرود أحيانا أخرى: أنا خوفت عليها لما اتخطفت، خوف عمري ما دوقته في حياتي .. ومش عايز أدوقه تاني أبدا .. كان هاين عليا أموت ولا حد يمس شعرة واحدة من راسها .. بس عذري الوحيد إنها كانت بعيدة عني، لكن من دلوقتي هأخليها تحت عيني على طول .. لا وتشاركني حياتي كمان، ف بعد إذنك يا عمي أنا طالب القرب منك ف بنتك فريدة .. قولت إيه؟

أخفى والدها قطرات الماء المختلطة بالملح التي لمعت بين جفنيه، لطالما فكر في عدم تزويج بِكرُه؛ ظنا منه عدم وجود الشخص الصالح لها، من يحبها ويحترمها، يأتمنه عليها ويرتاح في وجوده برفقته، شجاعة مصطفى في التعبير عن مشاعره بهذا الوضوح أمام الجميع وأمام أهلها قبلها أكدت حسن نيته وجمال عريكته، تذكر حاله أثناء إختفاء ابنته، كل موقف وكل ذكرى في صفه، أكتفى بقول: الرأي رأيها .. هي اللي هتتجوز

التفت إلى عروسه: رأيك إيه ؟

بالكاد استطاعت أخذ كفايتها من الهواء لتُبقي رئتيها على عملهما، خليط من الغبطة والحياء تنافسوا بداخلها، عبثت بطرف الغطاء فوق بطنها ونظرها يحدق في الرسمة فوقه دون إدراك لحقيقة شكلها، ازدردت ريقها بصعوبة قبل أن تهمس بخفوت خَجِل: اللي تشوفوه

انطلقت الزغاريط من صابرين وإيمان، وعادت المباركات والتهاني تتساقط فوق رأسها لكن هذه المرة ليست وحدها بل مع شريكها منذ الآن وإلى الأبد، لم تنظر له طوال الدقائق التالية سوى مرة واحدة أرادت أن تستشف عبرها حقيقة شعوره، كأنه شعر بنظرتها تخترج ظهره فاستدار نصف استداره، تلاقت الأعين وتوقف الزمان، غمزها متبسما ثم عاد يوليها عرض أكتافه، لمعت عيونها وزادت بهجتها وتقبلت التهاني بسعادة أكبر.

خاطب عبدالرحمن زوج ابنته المستقبلي محذرا: بس الكلام دا ما ينفعش، لازم رسمي .. وتيجي البيت من بابه

هتف مصطفى: فوريره .. أنت هتروح تلاقيني بأفتحلكوا الباب

ضحكوا جميعا فرحين بعودته إلى طبيعته المرحة، فقد اكتئب كثيرا ونسى الضحك كأنه لم يعرف له طريقا من قبل.

تشبث الأب بيدي ابنتيه فريدة ومرام: وأنا مش هأسيبكوا بعد كدا أبدا، هتسافروا معايا ومع أمكوا

تدخل مصطفى صارخا فيما يحدق بيد فريدة المعلقة في قبضته القوية: جرا إيه يا حاج .. إيش حال لسه بأقولك هأتجوزها، هأتجوزها والله العظيم .. هأتجوزهـــــــــــاا .. يا عالم ياهووو هأتجوزهـــــــــــا

عضت على باطن خدها تمنع ضحكتها من الإنفلات: بس يا مجنون فضحتنا

نظر لها بهيام: مجنون بيكي

كاد ينقلب فوق وجهه إثر الضربة التي تلقاها من عبدالرحمن، التفت إليه: ما تلم نفسك يا واد، أنا مش مالي عينك ولا إيه؟

أحمر وجهه عندما أدرك فعلته اللاشعورية: إحم إحم .. آسف يا عمي .. هي اللي استفزتني والله

لم يشعر بالحسد الذي تغلل في قلب أكرم، على الأقل لديه الحق في التعبير عن رأيه والاعتراض على فراق حبيبته، فيما هو يكتفي بالنظر إليها حتى يُشبع نفسه منها، تناسى حُرمانية نظرته، فداحة خطأه، فقط يُركز عليها، حركاتها، بسمتها، خصلة شعرها الهاربة من جانب حجابها، يتأمل أناملها الصغيرة التي تندس بين ثناياه تدفع ما هرب من شعرها إلى الداخل، قبض على يديه؛ حانقا على الخصلة المتمردة التي سمحت لسواه برؤيتها، يشعر بقلة حيلته وقصر يديه عن دفس الخصلة بأصابعه هو.

– مرام خلاص قربت تخلص إمتحانات، وكدا كدا دي آخر سنة ليها وتكون فريدة استقرت واتفقنا وبعدين نسافر .. ولا إيه رأيك يا بنتي؟

همست بابتسامة باهتة: اللي تشوفوه حضرتك

–على خير إن شاء الله

سألت ندى متعجبة: صحيح يا ديده، إنتي إزاي جيتي على باب البيت؟ .. ماحدش أخد الفلوس رجعوكي ليه؟

نكزها آدم بعتاب: إيه الكلام دا يا ندى

اعتدلت في جلستها وأجابت: لا لا سيبها، أنا فاهمة قصدها .. مش عارفه أنا لما حاولت افتكر .. افتكرت إني شوفت هشام

برقت عيون مصطفى بغضب: هشـــــام ؟!، وهو إيه اللي عرفه مكانك ؟

هزت كتفيها جهلا: كل اللي فكراه إنه جه قالي "هأرجعك لأهلك" وبعدين قالي إنه مش هيقدر يعملي أكتر من كدا .. بس

رغبت مرام في معرفة ما حدث بالتفصيل فسألت هي الأخرى: طب بعد ما سيبتك إيه اللي حصل؟ وخدك ليه؟

– بعد ما إنتي مشيتي أنا شلت القناع من على وشه من غير ما ياخد باله، تقريبا خاف على نفسه إني أتعرف عليه بعد كدا، ف خدني معاه وأهو يمكن ياخد من ورايا فلوس ولا حاجه

استفسرت هند: بس إزاي ماحدش سمع حاجه من صريخك إنتي ومرام ؟

أجابها زوجها مبررا: عشان الفرح كان خالص متأخر وكل الشارع كان فيه .. وكل واحد ما صدق ينام ويرتاح شوية

أنهت صابرين الحديث في هذا الموضوع؛ حتى لا تزيد الضغط على أعصاب فريدة وهي ماتزال راقدة الفراش: المهم إنك قومتي بالسلامة وعدت على خير

صرحت ندى بفخر: وسيف لما قال إنك راجعه وشاف حد شالك وجابك طلع بيعرف الغيب ابن الإيه

آدم: إحم إحم .. الإيه واقف جنبك على فكرة

ضحكت مخرجة لسانها: وأنا ما أقصدكش على فكرة

فريدة: سيف دا زي العسل ربنا يخليهولك

ندى: كان نفسي أجيبه بس انشغلنا بيكي .. كان نايم فسيبته مع الداده

أومأت متفهمة: لما اخرج هأشوفه أكيد ما تقلقيش

تمسك مصطفى بكلماتها: أيوه اخرجي بسرعة بقى .. بسرعة هـــا؟ .. ما أوصكيش

قهقه ياسين محركا نظراته بين أحمد ومصطفى: أنتوا كلكوا مسروعين ع الجواز كدا ؟

ابتسمت صابرين: ربنا يسعدهم

التفتت إيمان إلى أكرم: عقبالك

دعت فريدة لشقيقتها بلمحة لم يدركها سواهما: عقبالك يا مرام

ضربت ندى كفا بكف مقهقهة: دوقوا الطبول دقوا .. قلبنا المستشفى خاطبة



الفصل الثاني والعشرون

أصر مصطفى على البقية لينالوا قسطا من الراحة، فيما سيبقى هو بجانب خطيبته ويتبادل المناوبة في وقت لاحق مع أحد والديها، رغم تعبه وإرهاقه كان يريد حضور التحقيق في واقعة الإختطاف مع فريدة؛ لكي يعلم ما حدث معها تفصيليا وعلاقة هشام بالموضوع.

وقف على يمينها يُصغي لكل حرف تنطقه، وقبضته تشتد إنعقادا، لقد عانت وتألمت بينما تكتفت يديه ولم يستطع الوصول إليها وإنقاذها، لقد فعل هشام اللص ما شُلت يديه عن فعله، إنها طعنة وأدت رجولته، حاول عدم إظهار أيا من مشاعره أمامها.

أمر الضابط مرافقه أن يختم كلامها كما قالته بالنص، نهضا وسلما على مصطفى وكرروا دعواتهم لها بالنهوض سالمة خاتمين الحديث بطمأنتهم في بذل أقصى جهدهم حتى يصلوا إلى الجاني، صمم مصطفى على إيصالهم إلى المصعد على الأقل كذلك فرصة ليفهم التفاصيل في التحقيق وهل هناك أمل في القبض على المجرم أم لا.

لاحظت فريدة تغيرا فيه، نظرته ليست كالمعتاد، قررت أن تستجوبه وتستخلص سر ملامحه الغامضة حالما يعود، طرقا خافتا أتبعه دخول هشام: حمدالله ع السلامة

ابتسمت بخفة: الله يسلمك .. متشكرة أنك أنقذتني

هز رأسه بابتسامة مشابهة: ما إنتي عملتيها قبل كدا معايا وأهي اتردتلك

عاد مصطفى إلى الحجرة بصحبة أكرم الذي تولى الإجراءات الإدارية في المشفى، لم يتفاجئ من وجود هشام بل كان متوقعا زيارته، قبض على ساعده وابتسامة غيظ لم تصل إلى عينيه قد بدلت ملامحه:اهلا يا باشا .. جيتلي برجلك

هدأه: ما تقلقش أنا جيت أطمن على فريدة وهأروح أسلم نفسي

صحت به مستهجنة تصرفاته: سيبه يا مصطفى، مش كدا .. ما تنساش إن هو اللي أنقذني

نظر له بحقد واضح: وهينقذك ليه .. إلا لو ف دماغه حاجه

تفهم هشام غيرته فقال: أنا روحت أساعدها من قبل ما أعرف إنها فريدة

صر على نواجذه بغضب: اسمها الآنسة فريدة .. وقريب المدام بتاعتي .. ها؟! واخد بالك أنت ؟

أجبر ابتسامة صغيرة على الظهور عبر شفتيه: مبروك ليك وللآنسة فريدة

ضربت جملة سبق هشام أن قالها نواقيس مستفهمة في رأس أكرم؛ فتساءل مقطبا: مادام مش عارف إنها فريدة .. روحت تساعدها ليه ؟

أخفض رأسه بأسف: اللي خطفها دا يبقى واحد صاحبي

شخر ساخرا: ماهي الطيور على أشكالها تقع

هتفت به تنهره كطفل أساء الكلام: مصطفى .. وبعدين بقى، دي مش طريقة

نفض يده من فوق ذراع هشام متقززا: خلاص خلاص .. إهدي عشان الجرح

حثه أكرم على المتابعة فروى لهم ما يعرفه: بس أنا خوفت عليه بصراحة، كنت توبت عن اللي عملته ورجعلي عقلي، حتى حاجات أستاذ مصطفى وفلوسه كنت هأسلمهاله وبعدين أسلم نفسي للبوليس، لكن كنت مستني لما أطمن على أمي؛ لأنها محجوزة ف المستشفى .. وسعد كان بطل الحاجات دي من زمان .. لحد ما جات الست دي ولعبت ف دماغه وفضلت تزن على ودانه عشان يعملها اللي هي عايزاه

ردد مصطفى بتعجب: ست؟ ست مين دي؟

قذف اسمها دفعة واحدة: باريهان

شهق أكرم بصدمة: باريهـــــــان ؟!

استدار إليه مؤكدا: أيوه، اللي كانت خطيبة حضرتك .. هي أصلا كانت قاصدة تخطف الآنسة مرام مش فـ... الآنسة فريدة

تساءلت غير مصدقة أناس بهذا الشر في محيطها: وليه؟

أخفى هشام ابتسامة أوشكت على الظهور رغما عنه لبراءتها وغفلتها عما حولها من شرور في هذا العالم، لا ترى سوى الخير والنفوس الطيبة في من حولها، رد بكلام من تلقى الصفعات تلو الأخرى، عالما بكل ما هو سيئ في العالم وغير معترف إلا بشر النفوس: عشان تضرب عصفورين بحجر واحد

أضاف ناظرا إلى أكرم الذي تجمد محدقا في الفراغ، لا يصدق أن بسببه مرام كانت سترقد في محل فريدة الآن لولا الظروف: تحرق قلبك ع البنت اللي فضلتها عليها .. وف نفس الوقت تاخد منك فدية تسدد بيها ديونها، لكن ظهور الآنسة فريدة ف آخر لحظة وأدخلت عشان تمنعه .. لا وكمان شافت وشه، دا خلاه ياخدها هي .. وكدا كدا هو أهم حاجه عنده الفدية سواء كانت دي أو دي

ختم القصة زافرا في ضيق: أنا ماكنتش أعرف الحكاية ولا إنه رجع لطريق السوو بتاعه تاني .. ولما عرفت حاولت أمنعه بالكلام ما عرفتش .. ووقع ف الكلام قدامي إن في بنت دلوقتي هتجيبله فلوس، فهمت أنه خاطفها، مشيت وراه وعرفت المكان اللي مخبيها فيه، قررت أرجع البت اللي خاطفها لأهلها وأقنعهم إنهم ما يبلغوش عنه .. كفايه عليه السنين اللي اتسجنها قبل كدا

كركر مصطفى بسخرية: لا ضحكتني .. دي فريدة كانت هتموت ف إيده ولا أهتم .. لازم تقولي مكانه ومش هأتنازل عن القضية وهيتسجن

قابل إصراره على تنفيذ الجملة الأخيرة بنظرة حزينة: ما عادش في داعي .. راح لرب عادل ياخد بحق كل اللي أتظلم على إيده

ترقرق الدمع بين جفونها بينما صدرت عنها شهقة فزع: مـــــات ؟! .. ربنا يرحمه

اتسعت حدقتي هشام: بعد كل اللي عمله فيكي بتدعيله بالرحمة ؟ مش بتدعي عليه ؟

رددت فريدة حديثا كإجابة على استغراب هشام: الرسول –عليه الصلاة والسلام– قال: "لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا" يعني في الاخر راح للي خلقه يحاسبه ..كفايه عليه

همهم هشام بإفتتان دون شعور: بجد مافيش منك دلوقتي

قبض مصطفى على كتفه بغيرة وغضب واضحين: كيس جوافة واقف أنا ولا إيه ؟ .. روح يا عم أكرم جيب شجرة وإتنين لمون

طمأنه بابتسامة باهتة: ربنا يخليهالك يا عم .. هو أنا قولت حاجه

زفر أكرم غير معجب بتغيير دفة الحديث: طب وباريهان ؟ لازم تروح تقول للبوليس ع اللي عملته؛ عشان تاخد جزاءها

– ماهي خلاص .. حصلت سعد

فغر أكرم فمه: يعني الاتنين ماتوا؟ إزاي؟

أوضح: بعد ما سبت الآنسة فريدة على باب الفيلا بتاعتكوا .. روحت لبيت الست دي، أنا كنت بأمشي وراه م الصبح، خرج من عندي على بيتها غالبا عشان ياخد فلوس؛ لإني لمحته بيعد رزمة وهو ماشي بعدين راح لآنسة فريدة .. فروحتلها بعدكدا عشان أقولها تبعد عن صاحبي وأقنعها ترجع عن اللي هي عايزاه .. روحت لاقيت الباب مفتوح، فدخلت .. لاقيت سعد غرقان ف دمه بس لسه فيه النفس .. حاولت أساعده أو اتصل بالإسعاف منعني ..

وقالي "خلاص ما تتعبش نفسك الأمانة هترجع لصاحبها" .. سألته مين عمل فيك كدا، قالي باريهان .. لما حاول يغتصبها، وقالي إنه ماكانش ف واعيه بسبب الحشيش والبرشام اللي كان مبلبعه .. خرج آخر نفس ف صدره ومات، طلعت أدور على باريهان دي لاقيتها ف أوضة نايمه ع السرير وقاطعة شراايينها .. غرقانة ف دمها هي كمان .. كانت سايبه جنبها جواب قريته لاقيت فيه كل الحكاية اللي قولتهالكوا .. ولاقيت ع التربيزة اللي جنبها أدوية اكتئاب بصراحة خوفت تتفضح أكتر من إنتحارها .. حرام أشيّل سعد ذنبها وهو ذنبه كفايه عليه .. أخدت الرسالة معايا وسحبت جثته حطتها قدام مستشفى بعيدة عشان ماحدش يربط بين الحدثتين، ورِجعت البيت رجعت كل حاجه مكانها كأن حالة الاكتئاب هي السبب ف إنتحارها

دمدم أكرم تائها فيما يُقَص عليه: يـــااه .. كل دا؟

أكمل: قولت ف المستشفى اللي بيجيلها حالات قد كدا ومش لاقيالهم مكان مش هتهتم تشرح جثة واحد عشان تعرف مات إزاي وأهله وليه وإمتى وأكيد هيدفنوه ف مقابر الصدقة ع الأقل وهيلاقي اللي يصلي عليه .. لكن لو سبته كان هيتشرح ويتبهدل ف التحقيق وف الآخر هيترمي من غير ما حد يسأل فيه .. فكدا أحسنله وباريهان كفايه عليها فضايح من ديون لإنتحار بزيادة .. مش ناقصة اغتصاب وقتل وخطف وشروع ف قتل

عقبت: عين العقل يا أستاذ هشام

طوق مصطفى عنق هشام بقوة: تصدق أنا ماكنتش طايقك يالا، بس بعد حركات الرجولة اللي شوفتها منك .. مساعدة فريدة واللي عملته مع سعد وباريهان أنا استجدعتك

– ربنا يخليك

أكرم: أنت شكلك ابن حلال بس ظروفك هي السبب

سقطت رأسه بين كتفيه بحزن: أمي لازمها عملية قلب مفتوح ودي تتكلف 100 ألف جنيه وإلا ممكن تموت ف أي لحظة عشان كدا سرقت وكنت بالباقي هاسافر برا أشتغل حاجه تساعدني

سأله مصطفى: وعملتلها العملية؟

هز رأسه سلبا: خوفت لما أطلع الفلوس يقبضوا عليا .. بس دلوقتي والله هأروح اسلم الفلوس واسلم نفسي يمكن أكفر بيها عن ذنبي

جذبه مصطفى إلى الخارج: طب تعالى نتكلم برا شوية .. وإنتي ارتاحي عقبال ما أرجعلك

لحق بهم أكرم فيما تابعتهم فريدة بأعين تحمل مزيجا من الدهشة والقلق معا، لكن خروج أكرم معهم أرسل بعض الطمأنينة إلى نفسها، استرخت في نومتها تحاول دفع الصورة البشعة التي رسمتها كلمات هشام في ذهنها عن نهاية كل من باريهان وخاطفها.

***

في زاوية بها بعضا من الخصوصية، وقف مصطفى يتحدث إلى هشام: شوف يا بطل .. بما إنك جدع والظروف هي السبب، أنا هأتنازل عن القضية وكمان هأكلم آدم –جوز أخت أكرم– عشان عملية القلب المفتوح لمامتك بما إنه دكتور قلب

انشرح وجه هشام بسعادة: بجد يا أستاذ مصطفى؟

استقام مصطفى راسما الجدية على ملامحه: أومال هأهزر معاك؟

– بجد شكرا أوي .. ربنا يخليك ويرزقك من وسع

– طب مش عايز تكفر عن اللي عملته ف المزرعة ؟

تسرب الخوف إلى قلب هشام: إزاي؟

– هتيجي تشتغل فيها تاني .. بس المرة دي تحت عيني ولو حسيتك بتلعب بديلك كدا ولا كدا .. هـــاش......

قاطعه هشام مهللا بالصفحة الجديدة التي فتحها معه: من غير ما تكمل .. لا في كدا ولا في كدا

خبط على كتفه: طب يلا قدامي ع القسم بقى عشان نفض القضية .. أكرم خليك هنا جنب فريدة لحد ما أرجع

هز أكرم رأسه موافقا، حث صديقه على الذهاب مطمئنا: ما تقلقش .. مستنيك

بعدما انصرفوا، طرق باب حجرة فريدة، أذنت له بالدخول، أعلمها واقفا في فتحة الباب حتى يشعرها بالأمان: أنا برا، لو احتاجتي حاجه

تعجبت أنه حضر منفردا، قطبت تسأله وقد دب الخوف أوتاده مترسخا في نفسها: أومال فين مصطفى؟

لم يكن يريد إخبارها بما حدث، ترك حرية الحديث في هذا الأمر لمصطفى فهذا شئ لا يعنيه، أكتفى بقول: راح مشوار وراجع

خنقها القلق: هو في إيه يا أكرم؟

تنهد، روى لها ما حدث بين مصطفى وهشام، فخورا بتصرف صديقه الذي يدل على معدنه الأصيل وطيبة قلبه، زاد ذلك من حب مصطفى لديها وترسخه في منحنيات قلبها، ازدادت ثقتها بأنه الشخص المناسب، فالعفو عند المقدرة هو دليل قوة وليس ضعف، دليل على النضج والرجولة، تنهدت سعيدة بقرب إرتباطها به.

***

نهضت من فوق مقعد طاولة الزينة مقتربة من فراشها، على الجانب الآخر وقف أحمد يرفع الغطاء ليندس بين طياته، ناما على ظهريهما يحدقان في السقف.

الأفكار تسحبهما بعيدا كلما جذبهما سلطان النوم، لقد مرت الأيام كأنها سنوات، شردت في شقيقتها وما مرت به، كذلك إرتباطها بمصطفى فيما انشغل عقله تفكيرا في العمل الذي تكدس فوق مكتبه.

مالت رأسها وراقبته بعينيها، سألته دون أن تتحرك: بتفكر ف إيه ؟

– ف الشغل .. مشروع جديد عايز أدرسه كويس بس ...

قاطعته وقد انقلبت على جانبه مستندة إلى مرفقها فيما توسدت قبضة يدها: إجابة رومانسية جدا

استدارت رأسه وتقابلت عيونهما، ابتسم: ماكنتش أعرف إنك بتحبي الرومانسية

عادت تنام على ظهرها متنهدة: في فرق بين المُحن والرومانسية .. أنا مش بأحب المُحن وبردو ماعنديش مانع من شوية رومانسية

عقدت ذراعيها مضيفة وقد قطبت حاجبيها بعند: وبعدين إحنا لسه ف شهر العسل

اقترب منها وأسند رأسه على كتفها بينما تسللت ذراعه تحيط خصرها من أسفل الغطاء، أغمض عينيه وهمهم: حياتي كلها هتبقى معاكي عسل .. مش شهر بس

نظرت إليه بطرف عينها: كلهم بيقولوا كدا ف الأول

سألها ساخرا وقد حافظ على عينيه مغمضتين: والمفروض أنا رقم كام ف لستة الأزواج ف حياتك يا حبيبتي

صفعت كفه المبسوطة فوق بطنها: هاهاهاها، خِفة

صمتوا لفترة قبل أن تناديه، همهم بلغة لم تفهمها لكنها أدركت من خلالها أنه يصغي إليها ويستمع إلى ما تقوله: أنت كنت بتقول بس لكن ما كملتش

استغرقته دقيقة ليتبين مقصدها، تذكر حديثه الأول عن العمل، فتح عينيه محدقا بها مستهزئا: وهي دي الرومانسية من وجهة نظرك يا قلبي ؟

ابتسمت، هزت كتفيها: خلينا نعترف إن أنا وأنت مالناش ف الرومانسية

بادلها الابتسامة وعاد يغمض عينيها وقد دس وجهه بين كتفها وعنقها يشتم عبيرها الفواح: السكرتيرة اللي جات بعدك كانت بطيئة فمشيتها، والجديدة مالحقتش أجربها .. بكره هأروح وأشوف بس شكلها غبية .. الشغل متعطل والمشروع الجديد مهم، مش فاضي للسكرتيرات والدلع بتاعهم

– طب ما تخليني أرجع أشتغل معاك

شد ذراعه حولها: إحنا اتكلمنا ف الموضوع دا قبل كدا واتفقنا

تنهدت: بس أنت محتاجني

– أكيد محتاجك، بس هنا ف بيتنا، حياتنا الخاصة مش ف الشغل، هأتصرف وألاقي سكرتيرة مناسبة

أضاف عندما سمع الصوت المنزعج الذي أصدرته: ماتنسيش إن أختك هتتخطب قريب ولسه خارجة م المستشفى .. أكيد محتاجاكي

زمت شفتيها مقتنعة بوجهة نظره المؤقتة: طب خليني أختارلك السكرتيرة بدل ما تعطل نفسك

تنهد موافقا عندما لاحظ أهمية هذه المهمة البسيطة بالنسبة لها، لم تمر عدة دقائق حتى صاحت به: لاقيته

دمدم بتأفف، فقد انهكت قواه في الأيام الماضية وخسر حيويته: إيه ؟

– مش لازم سكرتيرة بنت، افتكرت واحد اشتغلت معاه لفترة ف الشركة اللي كنت فيها قبل ما أتوظف معاك، هو كان كويس جدا وعايز يسيب الشركة لأن أسلوبها مش عاجبه .. لكن مسئولياته منعته .. هأروح أكلمه بكره إيه رأيك ؟

انتزع نفسه من وضعه المحبب، استند إلى كفه محدقا بها بتعبير لم تفهمه: مين دا ؟

– اسمه خالد

– تعرفيه ؟

– يعني .. كلام عام كدا

– ورشحتيه ليه ؟

نظرت له بغباء: ما أنا قولتلك .. مسئولياته مانعاه يسيب الشركة دي وبيدور على شغل ف شركة تانية .. أكيد هيفيدك

التقط كفها الأيسر مداعبا خاتم زواجهما، حدق به: ماتنسيش إنك مراتي

رفعت إليه نظرها مقطبة: قصدك إيه ؟

ضربت الصاعقة رأسها، عضت شفتيها تمنعهما من الابتسام، شعرت بنظراته الحانقة لا تتزحزح بعيدا عن وجهها مغتاظا منع محاولتها الفاشلة في إخفاء سعادتها، تمتمت من بين ضحكاتها التي انفلتت: أصل الراجل اللي أنت غيران منه قرب م الخمسين سنة

ارتفعت زاوية فمه بشبه ابتسامة، طرق جبهته بجبهتها: بتتسلي بيا يا هند

لم تجب، اكتفت بزيادة معدل ضحكها، عاد لوضعية نومه السابقة قبل أن تقلقه بعرضها، استقرت رأسه بين كتفها وعنقها، همس بنبرة قوية ارتفعت لها دقات قلبها: عارفه لو أصغر من كدا ؟ .. كنت قتلته وشربت من دمه .. قدامك، مع إن سنه دا ما يمنعش إني أعملها معاه بس دي جزاة اللي يبصلك

تعالت قهقهتها، ربتت على خده باسمة وقد تسلل النوم إلى جفونها، أغمضت عينيها راضية: وهي دي قمة الرومانسية يا حبيبي

***

عادت إلى المنزل بعد طول غياب، رغم عدم مرور أسبوع على تركها المنزل شعرت أن قرنا يفصلها عن آخر مرة كانت به فيه.

جاء الجيران لتحيتها والترحيب بعودتها؛ حتى صديقة هند (منار) التي وصلت من سفرها وزارتها لكي تطمئن على حالها؛ فلقد اكتسبت حب الجميع ومودتهم بقلبها الأبيض ونفسها السمحة.

رحبت هند بصديقة دراستها، لقد فرقتهم الحياة ومشاغلها: أهلا أهلا بمنار هانم .. بقى اللي يتجوز يغيب كدا

قبلتها منار وضمتها بشوق ضاحكة: معلش، ما إنتي عارفه إنه اسكندراني وشغله وأهله هناك .. ولما أتجوزنا عيشنا ف اسكندرية .. ومش بأجي أصلا غير م السنة للسنة

أجلستها وجلست إلى جوارها: ماشي ياختي هأعديهالك عشان عارفه إنك مرتاحة ومبسوطة هناك

- ربنا يخليكي ليا يا هنوده .. وحمدالله ع السلامة يا فريدة

ضحكت فريدة: لسه فاكره .. دا إنتي قربتي تمشي يا شيخة

غمزتها باسمة: لا أنا قاعدة على قلبكوا شويه

رحبت بها بطيبة خاطر وكرم عربي: تنوري يا قمر

وصلت ندى برفقة ابنها، ضمت والدة هند قبل أن تنضم لجلسة البنات وتطمئن على فريدة، جذب سيف يده من كف أمه وركض إلى فريدة يتعلق برقبته ويقبلها بشوق: وحشتيني أوي يا ديده

ردت له قبلاته: وأنت أكتر يا روح ديده

وقفت منار لا تصدق عيونها، هتفت مقتربة من ندى فيما تُردد اسمها غير مصدقة، فقد طال الفراق ومرت الأيام دون رؤية إحداهما للأخرى: مش معقول

شهقت ندى بغبطة: منار، وحشتيني يا بنت الإيه

احتضنتها ندى بشوق وسعادة بائنة وكذلك بادلتها منار في البادية قبل أن تتردد وتتراجع في ألم وحزن بدا في صوتها وعيونها: إنتي كويسه؟

قهقهت ندى وعلقت بعفوية، فلم تدرك ما حل بصديقتها القديمة: زي الفل وإنتي أخبارك إيه؟

– الحمدلله، زي ما إنتي شايفه

– أنا بأقول نرغي برا ونسيب فريدة ترتاح

فغرت فريدة فمها بحركة مسرحية: أه يا خونه .. يهون عليكوا الرغي من غيري

غمزتها هند: هو إحنا ورانا غيره .. وبعدين الكلام بيتعاد

نادت ابنها: يلا يا سيفو .. سيب فريدة ترتاح

تشبث بعنقها رافضا تركها: لا، أنا عايز أفضل مع ديده

ضمته أكثر إلى صدها: خلاص سيبيه، دا حبيبي

استسلمت ندى لرغبتهما، خرجت بصحبة صديقتيها إلى غرفة هند السابقة؛ فقد عج الصالون بالضيوف المهنئين بسلامة فريدة وجلس معهم عبدالرحمن، يتقبل دعواتهم القلبية لابنته ويبادرهم بالسؤال بعد طول سفر، فيما غرفة المعيشة جلست بها مرام وأمها مع السيدات في جلسة تشبه المجاورة في الصالون.

***

رفع سيف نظراته البريئة إلى وجه فريدة؛ خائف أن يسبب لها الألم دون قصد: إنتي كويسه دلوقتي يا ديده؟

أجابته باسمة: أه زي الفل

– طب مش هتكمليلي السورة ؟

قطبت محاولة التذكر: سورة إيه؟

هتف: سورة عبس

أومأت متذكرة: اااااااه .. أنت عايز تكملها يعني؟

هز رأسه صعودا وهبوطا بعنف: أيوه يا ديده

أشارت إلى عينيها على التوالي: من عنيا الجوز .. نكمل بقيتها بقى

"كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ * فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ * قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ * كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ * فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُم"

يعني ربنا بيقول كل حاجه ف القرآن ويوضح كل حاجه فيه .. ويبقول لعباده كل حاجه عن طريقه، فاللي عايز يعمل بيها يعمل .. واللي مش عايز بردو هو حر، وربنا رفع من قيمة التذكرة، ومطهره .. يعني بعيد عن إيد الشيطان، عشان ما ياخدوش أو يسرقه وحفظه بإيد الملايكه، لإن الملايكه هي السفير اللي بين ربنا واللي بيعبدوه .. اللي خيرهم كتير وأعمالهم حلوة وبالرغم من كل دا في ناس مصرة إنها تكفر، إزاي الإنسان عنيد أوي كدا، عشان ينسى إن ربنا خلقه من ماء مهين وخلقه ف أحسن مظهر وأحسن صورة .. وأداه أسباب كتير عشان يؤمن .. وهداه للصح، وكرمه بإنه لما يموت يتدفن مش زي الحيوانات .. وبعدين يرجع يحييه تاني عشان يحاسبه على أعماله ف الدنيا، فيكون مش عامل حاجه م اللي ربنا أمره بيها .. وأمره ربنا إنه يبص للأكل اللي قدامه ويفكر .. إزاي وصله وإزاي أتعمل

والمطر اللي بينزل دا، وربنا اللي خلى الأرض يبقى فيها حفرة أو فتحة عشان النبات يطلع منها، حتى النبات دا بيطلع أنواع كتير أوي .. منها اللي بياكله الإنسان ومنها الحبوب والعنب

والزتون والنخل اللي فوايدهم كتير، وفيه الجناين اللي فيها أشجار كبيرة وتلف حوالين بعض، دا غير الفاكهة اللي أنا وأنت بناكلها؛ التين والرمان والخوخ وكله .. والأكل بتاع الحمار والحصان والحيوانات والطيور، الحيوانات دي بقى اللي ربنا خلقها عشان نركبها ونتمتع بيها وهما يتمتعوا بالاكل دا

"فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ"

ويجي بقى يوم القيامة، يومها هيهرب كل واحد من باباه ومامته وأصحابه وولاده ومراته؛ عشان كل واحد هيبقى مهتم بنفسه بس وعايز يخلص من النار والعذاب بتاعها .. منهم اللي فرحان إنه هيدخل الجنة ويتمتع بنعيمها، فتلاقي ناس وشوشها مبسوطة أوي وبتضحك فرحانه بالجنة .. وناس تانية مضايقه وزعلانه وتحس إن وشها أسود من يأسها لأنها عرفت إنها خلاص هتتعذب ف النار .. دول بقى هما اللي كفروا بربنا وأصروا يعملوا اللي ربنا أمرهم ما يعملهوش

– يعني أنا لو عملت اللي ربنا بيحبه هأدخل الجنة ؟

ابتسمت بحنان: طبعا .. مش لما أنت بتسمع الكلام ماما وبابا بيفرحوا بيك ويجيبولك هدية ؟

أومأ: أيوه

– ربنا بردو لما تسمع كلامه بيفرح بيك أوي وبيجبلك هدية بردو .. بس هدية ربنا كبيرة جدا اللي هي الجنة

باعد بين ذراعيه قائلا: أيوه، هدية ربنا كبيرة؛ عشان هو كبير أووووووي

قرصت وجنته بحب: صح كدا يا سيفو، أنت عارف بأعمل إيه مع الشطار ؟

نظر إليها بترقب: إيه؟

حملته بهدوء: بأشيلهم كدا .. وأنيمهم كدا.. وأزغزغهم كدا وكدا وكدا

ارتفع ضجيج ضحكته: كفايه يا ديده مـ ... مش ... قادر

– لا، لازم أكلك .. هَم هَم هَم

***

جلست منار إلى جانب ندى في حجرة هند قبل الزواج، أحضرت مقعدا خشبيا من مقاعد طاولة السفرة وجلست معهما دقيقتين قبل أن تنهض متجهة إلى المطبخ: أنا هأدخل أعمل قهوة تشربوا؟

وافقتا على عرضها، خرجت هند وأغلقت الباب خلفها حتى لا يزعجهما ضجيج المنزل وصخب الضيوف، دنت منار من صديقتها أكثر، قالت بهمس: كويس إن هند قامت عشان كنت عايزه أكلمك ف موضوع

استدارت إليها بجسدها كاملا وقد استبد بها القلق، أومأت مقطبة إشارة إلى سماعها وإصغائها: إنتي حياتك مع جوزك عادية ؟ طبيعية يعني؟

اتسعت عيونها مندهشة: قصدك إيه ؟ مش فاهمه

تنهدت ونظرت أرضا: فاكره يا ندى لما كنا بنتمشى سوا بعد ما خلصنا إمتحانات وجاتلك ضربة شمس على توتر ووقعتي ف الشارع وأغمى عليكي

– أيوه .. بس بتسألي ليه؟

تلاعبت أصابعها بيد حقيبتها الموضوعة فوق فخذيها: أصلي عرفت إن الدكتور اللي وديتك عنده يومها أتقبض عليه

استغربت علاقتها بما حدث للطبيب ولكن فضولها جعلها تتساءل: ليه؟

نظرت إليها ترغب في إمساك أي ردة فعل تطمئنها على صديقتها: حسب ما قريت ف الجرايد .. كان متعود يعمل علاقات مع المرضى بتوعه وغالبا من غير موافقتها .. وفي بنات منهم أهلهم صعايده كانوا أول ما يتعرف إنها ... مش ... بنت بنوت، أجوازتهم يقتلوهم من قبل ما يسألوا عن السبب .. ما عدا واحدة أخوها كان دارس برا وعاقل، فضل ورا الموضوع لحد ما عرف إن الدكتور دا هو اللي عمل فيها كدا .. ما قالوش عرف إزاي، المهم عمله كمين وأتفق مع واحدة صاحبة اخته ووعدها إنه هيحميها راحت للدكتور مغمى عليها وفعلا حاول يعتدي عليها وهي فاقدة الوعي، لولا الولد دا دخل ومعاه البوليس ومسكوا الدكتور متلبس واتحكم

عليه .. لكن في ناس صعايده، أهالي بنات من اللي اعتدى عليهم والسبب في قتلهم لبناتهم سلطوا عليه واحد منهم كان ف السجن موته والدافع .. دفاع عن الشرف

أصفر وجه ندى، ترطبت عيونها بدموع حاولت مقاومة تساقطها دون جدوى، أبحرت في أفكارها غير مصدقة، كيف لطبيب أن يخون اليمين الذي قطعه على نفسه يوم تخرجه، كيف يخون الأمانة، لقد استأمنته العديد من الفتيات على أرواحهم.

أفاقت على شهقة منار الباكية: والله يا ندى ما كنت أعرف إنه بالشكل دا

مسحت دموعها المتسابقة في حفر الأخاديد على وجنتيها: إنتي عرفتي الكلام دا منين؟

منار: قريته ف الجرايد .. وحاولت أوصلك عشان أقولك وأطمن عليكي .. قالولي إنك أتجوزتي وسافرتي مع جوزك ف شهر العسل .. وماكنتش هأفتح الموضوع دا انهارده ولا هأجيب سيرته، بس لما شوفتك مبسوطه وابنك ما شاء الله عليه .. قولت يبقى إنتي تمام ف حبيت أعرفك عشان تحمدي ربنا على ستره

شردت أميالا بعيدة بتفكيرها عن حديث منار، ظلت تخبرها بكل ما قرأته وكُتِب في الجرائد عن أحوال من تم التعرف عليهن من مريضات ارتدن عيادته، تحثها على الشكر والحمد.

ترددت أفكار خاصة بها في رأسها، نعم سترها الله، أجل، تعذبت وبكت؛ لكن رد فعل آدم بالنسبة لأزواج الفتيات المقتولات ظلما شيئ لا يذكر، بلى سترها الله بزوج كآدم .. فحمدا لك يا الله.

أقبلت عليهما هند تحمل صينية بها ثلاث فناجين من القهوة، وضعتها على مقعد طاولة الزينة ثم جلست فوق مقعدها ترتشف من فنجانها بتعب، سألتها منار مدركة حالة الشرود التي أصابت الأخرى: أومال مرام فين ؟ ما شوفتهاش

-كانت هنا أول ماجيتي بس ف الأوضة التانية مع ماما والستات، بس نزلت من شوية .. راحت الكلية، عندها إمتحان أول مادة إنهارده

دعت لها منار: ربنا يسهلها الصعب

***

خرجت من الإمتحان لا تصغي إلى تأفف صديقتها من صعوبة الإمتحان وغلاظة الأستاذ الخاص بها، سارت إلى جانبها جسديا ولكن ذهنيا تبعد العديد من الكيلومترات.

راقبها من بعيد، لا يملك سوى ذلك، استدار مبتعدا في الطريق المعاكس لخروجها، تفرقت بهم السبل وتشتت الطرقات، فقدت أمل مبادلته لها نفس مشاعرها والإقدام على الخطوة التي سبقه إليها مصطفى وأحمد.

تنهدت بشدة وقبضت على حقيبتها تجذبها إلى أحضانها علّها تشعرها بالأمان، يجب أن تنساه كما نصحتها أختها، قد يكون زيادة تعلق قلبها به عن الحد هو ما تسبب في الفراق.

***

تقدم رسميا عقب خروجها من المستشفى بيوم واحد، أوضح ظروفه وأوضاعه لأهلها، قبل به عبدالرحمن فما رأه من حب في عيونه ورجولة في تصرفاته شفعت له، بعد أحاديث طويلة في شتى المواضيع، تركوهم يتحدثان بمفردهما على وعد بإكمال الحديث في التفاصيل بعد الجلسة المنفردة.

بادر بسؤالها:تحبي تبدأي إنتي ولا ابدأ أنا ؟

– اتفضل أنت الأول

– عايز أقولك إني اعتبر ع الحديده؛ لإن الفلوس اللي معايا كلها هاضطر أدخلها ف المزرعة عشان تقف على رجلها زي الأول، مش هأقدر اخاطر بالفلوس دي دلوقتي .. أه هأجيبلك الشبكة التي تختاريها بس على قد إمكانياتي .. وإن شاء الله أول ما ربنا يفتحها ف وشي هأجيبلك اللي تشاوري عليه

– وأنا مش هأتجوزك عشان هتجبلي شبكة غالية .. أصلا مش بأحب الدهب بس هأجيب حاجه بسيطة عشان أهلي؛ لإن ماما مش هترضى غير بكدا

– تمام، أدي نقطة .. أما الشقة ف أنا كنت عايش ف المزرعة ولما جيت هنا، كان عشان أرجع فلوسي وأقبض ع اللي سرقها ف قعدت عند أكرم .. هتقدري تعيشي معايا ف المزرعة؟

– هأعيش مع جوزي ف المكان اللي هو فيه .. ولو في النار

– وكمان هأنشغل عنك ف المزرعة ف أول فترة، يعني عقبال ما اتأقلم ع الجو وأظبط الدنيا

– وأنا هأقف جنبك وهأساعدك، ولا نسيت إني وبلا فخر دكتورة بيطرية قد الدنيا

قهقه: بلا فخر وقد الدنيا ف نفس الجملة، أومال لو عم فخر كان حاضر كان حصل إيه

قلصت الضحكة إلى بسمة سعيدة: حاجه تاني ؟

– أيوه .. بصراحه عشان نبقى على نور، أنا عرفت بنات كتير أشكال وألوان .. الشقرا والسمرا، البيضا والقمحية، الطويلة والقصيرة، تقدري تقولي كل الأصناف مرت عليا .. بكل الطرق؛ الصديقة والأخت حتى العشيقة بس عمري ما لاقيت نفسي إلا معاكي ولا حسيت إني عايز واحدة تبقى مراتي وأتجوزها غير لما شوفتك .. توبت من ساعتها ومابقتش شايف غيرك، كنت بأصلي ساعات وساعات بدأت ألتزم بالصلاة وف المسجد وهأقرب من ربنا على قد ما أقدر عشان يغفرلي ويسامحني .. بس لازم اتأكد إن كل دا مش هيفرق معاكي

قبضت يديها بقوة من مستهل حديثه، طعنة غيرة أصابتها ولم تستطع التغلب عليها لكن حديثه الذي تلى أنساها ما سبق، كانت تحلم بحصولها على زوج يعينها على ما تبقى من حياتها ويقربها إلى الله، فكرت الآن أنها أنانية منها أن تقبل من يرفعها ولا تقبل من يطلب منها رفعه معها، حدقت به تقرأ ملامحه وبعضا من لغة جسده، عجينة مصطفى طيبة قابلة للتقويم والتحسين، وقد يكون أفضل مما تمنته ولكن ببعض الجهد ومرور الوقت، تذكرت موقفه من هشام ووالدته، نعم، تستطيع أن تكون زوجة صالحة له ويصير من تمنته.

أجابته باسمة: ماشي .. وأنا هأنسى كل اللي فات من حياتك مادام نويت تبدأ معايا من جديد على بياض .. بس لو فكرت ترجع للقديم مرة تانية من غير نقاش هأسيبك وأمشي

وعدها بحماسة وصدق: عمري ما هأرجع للي كان؛ لإني ما أقدرش أعيش من غيرك .. كفايه اللي عشته لما شكيت بس إنه حصلك حاجه

– خلصت؟

– أه .. بس سؤال أخير

– اتفضل

– هتساعديني أقرب من ربنا وتاخدي بإيدي .. ولا هتسبيني وتقربي لوحدك وترميني وراكي؟، أنا عن نفسي مش هأعمل خير إلا وف نيتي إن ثوابه ليا وليكي .. مش هأدعي دعوة غير لما أدعيلك زيها، إن ما كانش أحسن منها .. قولتي إيه ؟

تنهدت براحة وابتسمت بغبطة صادقة: قولت .. موافقة واستعنى ع الشقا بالله

– شوفي إنتي بقى عايزه تعرفي إيه ؟

– خلاص، أنت قولت كل اللي كنت هاسأله

نهضت تنادي الأهل ليعودوا حتى تتم الأمور وينتهي الإتفاق بالكامل، لقد أنتهى دورها مؤقتا لكنها التفتت إليه: مصطفى

رفع بصره إليها: يا نعم

بوجه خالِ من أي تعبير سألته: مش عايز تشوف شعري؟

لم يتمالك نفسه من موجة الضحك التي غمرته: يعني إنتي لو طلعتي كارته هأرجع ف كلامي؟ ما أنا أدبست خلاص .. أطمني

اغتاظت من كلامه، همت بالمغادرة عندما ناداها ووقف أمامها، حدق في عينيها بعمق قائلا بجدية: بعد كل اللي بأحسه معاكي وبعد كلامنا دلوقتي واللي شوفته منك مافيش حاجه هتبعدني عنك أبدا يا ... ديده

أحمرت وجنتيها، أسرعت بالمغادرة، نادتهم ليعودوا إلى الغرفة وجلست في زاوية بعيدة تتابع الحوار وتتدخل عند اللزوم، ابتسمت داخليا وعيونها تتقافز فوق ملامح عريسها، شعرت بالفخر يملأها، لقد سألته عن رغبته في رؤية شعرها رغم علمها بعدم شروعية ذلك، حتى وإن قبل لم تكن لتوافقه، اختبارا أجتازه بنجاح، همست: إمتياز مع مرتبة الشرف

التفتت إليها مرام الجالسة بجوارها: بتقولي حاجه ؟

هزت رأسها، وعادت تُغرق نفسها في خيالاتها، تذكرت كلماته المازحة والتي دخلت قلبها دون طرق بابه، بساطته وخفة ظله تفرش سجادة حمراء أمامه في الطريق إلى قلبها.

أفاقت على نهاية النقاش، خُتم الإتفاق على أن يكون كتب الكتاب والزفة معا عقب إنتهاء إمتحانات مرام بيوم، أي بعد حوالي شهر ونصف، تكون خلال هذه المدة قد استعادت عافيتها وأتمت التجهيزات التي تحتاجها.



الفصل الثالث والعشرون

نزعت فريدة بيدها التي طُليت بالحناء الورقة من النتيجة، أمسكتها بين أصابعها وحدقت بالتاريخ وعيونها تشع بفرح.

***

ذهبت إلى كليتها تقدم قدما وتؤخر أخرى، لقد اختلطت المشاعر بداخلها، القلق والخوف من الإمتحان والذي يلازمها في كل إمتحان على مدار سنواتها الدراسية جميعها، بالإضافة إلى شعور بالراحة لإنتهاء دراستها أخيرا واقتراب تخرجها، وفي النهاية الشعور بالحزن والكرب يغمرها وقد طغى هذا الشعور على ما سبقوه، حزينة لقرب سفرها وتفريق المسافات الطويلة بين جسدها وجسد حبيبها، ستُحرم من رؤيته ولو في المناسبات العائلية.

لم ترى أكرم منذ جاء مع أهله لخطبة أختها، نفضت عنها كل ذلك فقد شرع المراقبون بتوزيع ورقة الأسئلة، وبعد إنتهاء وقت الأمتحان وجمع ورق الإجابة منعهم المسئولون عن اللجنة من الخروج، لحق ذلك دخول أكرم فاستفاقت من شرودها وهو يمسح ما كتب على السبورة من بيانات للمادة التي تم إنتهاء إمتحانها وبدأ بالكتابة، ركزت في تهجئة الحروف التي كتبها وعندما انتهى أصابتها الدهشة، لم تستطع النطق فقد كتب "تتجوزيني يا مرام؟" وكتبها بالإنجليزية أيضا.

ارتقى الدرجات الفاصلة بينهما، رأت توجهه إليها فنهضت واقفة، سألها بابتسامة: هــا ؟ قولتي إيه ؟

تسألت كالتائهة: ف إيه؟

سخر: ف خطي .. حلو؟

اغتاظت: لا وحش .. بيشرب م البحر

رد بوداعة: ما إنتي مشرباني على طول م البحر عايزه خطي يبقى شكله إيه ؟

– لا يا شيخ؟

– أنا أصلا مش محتاج رأيك، لإني اتقدمت لبابكي وهو وافق وأنا موافق يبقى خلاص .. الموضوع انتهى

زمت شفتيها ساخرة: على كدا كنت كتبت بدل تتجوزيني .. أتجوزتيني وخلاص

أدعى التفكير وشرد ببصره بعيدا: تصدقي فكرة .. إزاي غابت عن بالي دي

سحبت حقيبتها الملقاة أرضا بجوار مكان جلوسها، همت بالمغادرة، أسرع أكرم بالوقوف أمامها بابتسامته الساحرة: تتجوزيني؟

نظرت بعيدا وأجابته بسعادة: ايوه

زفر براحة: أخيــــرا .. لازم تغلبيني يعني؟

تعالى صوت قرع الكفوف ببعضها من الطلبة والمراقبين واللجنة الممتحنة بأكملها، سمعت صوت صديقتها ريم يصرخ قائلا: هيييييـــــح يا رب أوعدنا زي مرمر كدا .. قولوا آمين

صاحت ببقية زملائها بتحذير لمن يرفض، ردد الجميع خلفها: آمـــــــيــــــــن

***

جلس كل من العريسين بجوار عروسها، فرح ثنائي، أريكتين غُطيتا بقماش من الحرير والتُل الأبيض، أحطهم الناس من جميع الأنحاء بين مباركين وأقارب ووصفات العروستين.

مصطفى بجانب فريدة، يلقي عليها نظرات الوله بين الفِنية والأخرى، وأكرم متشبثا بكف مرام على الأريكة المجاورة، نظرت مرام إلى زوجها عندما اشتدت قبضته حول يدها عندما حاولت جذبها لتعيد ضبط وضعية ثوبها ناصع البياض، بادلته البسمة التي اتسعت حين لمحت التحذير بهما من المحاولة في سحب كفها مرة أخرى.

شردت، في اليوم السابق بعد عودتها وقد لمست الأرض بالكاد من فرط سرورها، دخلت عليها والدتها وأغلقت باب الغرفة خلفها، جلست أمامها على الفراش مصدرة تنهيدة راحة لما رأت فرحتها، أدركت أن الخبر قد وصلها.

– بتحبيه ؟

أخفضت نظرها بخجل فماتزال أمها من تجلس أمامها، عادت تحادثها: لو تعرفي عمل إيه مع أبوكي عشان يوافق

أسرت برفع ساقيها وثنتهما أسفلها، التقطت كفيّ والدتها مهللة، ترجتها أن تخبرها بالتفاصيل:

بالله عليكي يا ماما إحكيلي .. عمل إيه ؟ .. هـا ؟؟ .. إيه ؟؟

ضحكت أمها: طيب طيب، حلمك عليا

أضافت وهي تزجرها، ضربتها على كتفها: بقى مفهمة الواد إن سامر لسه متكلم عليكي وهتتخطبوا قريب ؟

تراجعت خجلى من فعلتها: أنا ... أ ...

قرعت مؤخرة رأسها: ليكي حق تأتأي، ما أصلك هتقولي إيه .. إنتي يا بت هتعقلي إمتى وتبطلي حركات العيال دي ؟

ضربت كفا بكف: والله قولت لأبوكي دي عايزه تكبر الأول .. مش تجوزها بكره

شهقت صائحة: بكره إيه ؟

مصمصت شفتيها مستنكرة العجلة التي أتفق عليها زوجها مع عريس ابنتها الصغرى: فرحك ياختي بكره مع أختك .. إيه رأيك بقى؟

انزلت قدميها أرضا ووقفت غير مصدقة: رأيي ف إيه ؟ .. ماعزمتش حد ولا حجزنا ف قاعة ولا اتفقنا على حاجه .. هأعيش فين

أردفت صارخة: والفستـــــــــاان

فتحت فريدة الباب ودخلت حاملة علبة ضخمة، وضعتها على الفراش وفتحتها في صمت، أخرجت محتواها وبسطته أمام أعينهم: وأدي الفستان .. هدية العريس وذوقه

خطفته ووضعته أمام جسدها، ظلت ترقص وتترنح بينما تشاهد نفسها في مرآة الخزانة، دندنت بأغنية لا تسعها الأرض: ما تذوقين يا ماما، أوام يا ماما، دا عريسي هياخدني بالسلامة يا ماما

ضحكت فريدة وعقدت ذراعيها تراقبها، غمزت أمها: ما تذوقيها يا ماما

نهضت إيمان مقررة ترك الغرفة، سمعتها ابنتيها تطلب العوض فقد جُنّت كلتاهما، غرقت الأختين في نوبة من الضحك، ارتمت مرام فوق الفراش تضم الفستان إلى صدرها، لحقت بها شقيقتها، حدقتا في السقف.

سألتها مرام أخيرا: تعرفي إيه اللي حصل ؟

فهمت قصده فأوضحت: كان فاكر إنك لسه ناوية تتخطبي لسامر، ويوم ما جُم يطلبوني لمصطفى أكرم فتح الموضوع مع بابا وحاول يفهم منه وعرف إنك كنتي بتضحكي عليه، وبعد ما خلصوا كلام عن جوازي أنا ومصطفى .. أكرم خد بابا وقعدوا ف البلكونة واتكلموا

انقلبت مرام على جانبها واسندت وجنتها فوق باطن كفها: وبعدين ؟

– استغل الفرصة وطلب إيدك، بابا وافق بس أصر إنك ما تعرفيش حاجه لحد ما تخلصي إمتحانات عشان دي آخر سنة ليكي ومش عايز دراستك تتأثر بسبب الخطوبة أو التفكير ف الجواز، أكرم وافق وكان شرطه إنه يتجوزك معانا، يوم جوازي أنا ومصطفى

جلست صامتة لفترة، اسندت مرفقها فوق ركبتها: إمممم عشان كدا كنتي بتجيبي كميات كبيرة م الجهاز .. وماما تقول أصلها هتحتاج كتير

اعتدلت فريدة ضاحكة: أيوه يا ناصحة، الحاجات نصها ليا ونصها ليكي .. وعشان كدا كنت بأخد رأيك ساعات .. عشان دي حاجتك .. أومال فاكرة إني بأثق ف ذوقك للدرجة دي ؟؟

ضربتها بالوسادة مغتاظة: بقى كدا ؟!

توقفت فجأة وتساءلت بشرود: وأهله ؟ .. رأيهم إيه ؟

أعادت ترتيب مظهرها، تلكأت في الإجابة لتزيد قلق شقيقتها إنتقاما منها ومداعبة: كانوا عارفين كل حاجه، يا بنتي أنتوا ما كنتوش شايفين نفسكوا .. بس كل حاجه كانت باينه .. قعدوا مع بعض واتفقوا ف اليوم كان عند مادة غريبة كدا بعد الضهر

هزت رأسها: إمممممم، استغليتوا غيبتي يعني

قفزت فوق قدميها منصرفة: أبقي قيسي الفستان عشان لو محتاج تظبيط .. خليني أرجع أكمل تظبيط الحاجه .. كفايه عطله بقى

استيقظت من استغراقها في الذكريات على اقتراب أكرم منها هامسا: مرام

ابتسمت: نعم

تنحنح محرجا: إنتي مضايقه إننا هنعيش مع أهلي ف نفس البيت ؟

امتلأت عيونها بالجدية: أنا مقتنعة إن أي زوجين ف بداية حياتهم لازم يعيشوا لوحدهم؛ لإن أول فترة بتبقى صعبة عشان مش متعودين على بعض وكدا .. كمان ماكانش فيه فترة خطوبة تسهل علينا الفترة دي

لاحظت حركة تفاحة آدم بحلقه المتوترة، شدت على يده تهدأه: بس طنط صابرين وأنكل ياسين حاجه تانية .. والفيلا واسعة وهنقدر نحقق الخصوصية اللي إحنا عايزينها

لثم كفها وعيونه تلمع فرحا: ربنا يخليكي ليا .. الحمدلله إنك ما اعتبرتيش الموضوع تدبيس

ضيقت عينيها: على فكرة لو أنت ما عملتش كدا .. كنت أنا اللي هأدبسك

اقترب بعض المهنئين فمنع كلماته التي أرادت التعبير عن سعادته بقبولها الزواج منه، رسم ابتسامة مرغمة في وجه الحضور وفي داخله يتميز غيظا؛ لا يستطيع الحديث معها بحريته لا قبل عقد القران ولا بعده.

***

جلست بجوار زوجها حول إحدى الطاولات الدائرية بالقرب من حوض السباحة، ظهر الضيق على ملامحها وبنبرة صوتها، طلبت منه بطريقة غير مباشرة التدخل والتعامل مع رئيس والدها صاحب الشركة، شرحت له: كاسر عينه بالشرط الزفت اللي حاطه دا، تخيل بيهدده عشان

نزل مصر من غير إذنه ساعة ما عرفوا اللي حصل لفريدة وعايز يرفع كمان قضية عشان يسدد الشرط الجزائي

ربت على كفها المقبوض فوق الطاولة، طمأنه بثقة: هأتصرف .. ما تشغليش بالك

نهض من جانبها وقد انضمت إليها ندى تحاورها عن شيئ بخصوص العرس، بحث عن عبدالرحمن حتى لمحه، اقترب منه مزررا سترة بذلته، بعد حديث دام لدقائق ابتعد يضغط أزرار هاتفه ويلقي أوامره للطرف الأخر.

***

أوشك العُرس على الإنتهاء، دنى موعد رحيل العرسان إلى شهر العسل لبدء حياة زوجية بداية سعيدة مبهجة، شرع المدعون في الذهاب.

اقترب أحمد من حميه، كان يتوسط زوجته وابنته، مد يده بورقة بهدوء: اتفضل يا عمي

تناولها منه وابتسم بارتباك: إيه دا يا ابني؟

أجابه بإيجاز: دا تنازل من صاحب الشركة عن حقه ف الشرط الجزائي

حدق بالورقة بين يديه، قرأها مرة ومرات، رفع نظره إلى زوج ابنته الوسطى، ترقرق الدمع في عيونه ولُجم لسانه، أدرك أحمد حالته فقال: مايهونش عليا تسيب مصر وبناتك تبعد عنهم من غير رضاك

تحركت هند ووقفت بجوار زوجها، لم تدرِ كيف تعبر عن شكرها، طوقت خصره بذراعيها شاكرة: حبيبي ربنا يخليك ليا

دعت له والدتها: ربنا يحفظك يا حبيبي

قال والد هند أخيرا: كتر خيرك .. أنا مش عارف من غيرك كنت عملت إيه

حاول أحمد رفع الحرج عنه: ما تقولش كدا يا عمي .. إحنا أهل

احاطت ذراع أحمد بخصر زوجته، انخفض يهمس في أذنها: المهم إن الجميل يكون فرحان

ضغط بسبابته بين حاجبيها: وال111 تروح لحالها بعيد عن الوش الحلو دا

ثنت سبابتها عدة مرات حتى يهبط برأسه قليلا، اقتربت من أذنه وهمهمت بحب: لما نروح هأوريك فرحانة قد إيه

ابتسم بخبث ثم عاود الهمس: أه، ما أنا لاحظت إن الفستان دا من النوع أبو سوسته مش كدا ؟

لكزته في كتفه بخجل: أنت قليل الأدب

وسع ما بين جفنيه ببراءة: أنا باسأل سؤال برئ

زمت شفتيها: لا يا شيخ

أخفى ابتسامته خلف مجموعة من التعبيرات الجدية: كلام ف سرك مش بأحب الزراير .. مقرفة وبتضيع وقت، لكن السوست .. يا سلام ع السوست .. ياريت كل الهدوم بسوست

كتمت ضحكتها: أتلم .. أصلاً موضوع السوستة دا مش هيطول كتير

قطب: ليه إن شاء الله ؟

أعلمته بغنج ودلال: عشان السوست اللي عندي مش هتقفل عليا لما بطني تبقى قدامي كدا بعد سبع شهور ونص

قبض على أعلى ذراعيه: يعني .. يعني إنتي حامل؟

هزت رأسها بخجل: بالظبط كدا

منع قدميه من القفز عاليا، وأحباله الصوتية من الصراخ بعلو صوته، بعدما تقبل التهاني ورد بأحر منها من حميه وحماته، أمسك على يد زوجته بشدة وأسرع إلى والديه يبشرهما.

انتشر الخبر بين الحضور وتوجهت المباركات للثلاث شقيقات، تشاركن السعادة والفرحة، كل منهما تسعد لشقيقتها كسعادتها لنفسها.

انتهى العرس والغبطة تعم المكان؛ فقد بدأت حياتان جديدتان بالتأسس وقد جمع بينهما الله –سبحانه وتعالى– بالحلال، كذلك حياة ثالثة بدأت بالتكون في الرحم، انطلق العرسان في رحلة شهر العسل بمرسى مطروح كما اختارت فريدة، لأنها أحبتها نتيجة سماعها عن جمالها وروعتها دون حتى زيارتها، تحمل ياسين تكاليف شهر العسل كهدية بمناسبة زواجهم.

***

وضعت الصينية فوق الطاولة الصغيرة، التقطت أحد الفنجانين وسلمته لزوجها ثم أخذت الفنجان الخاص بها، شاركته الأريكة متابعة الحديث الذي بدء منذ عادا إلى منزلهما.

– المهم إن شغل أستاذ خالد عجبك

ارتشف من فنجانه: مش بطال

مالت عليه بكتفها: أهو أحسن من واحدة تدلع عليك

رفع أحد حاجبيه: دي غيرة بقى

انسحبت إلى طرف الأريكة غامزة: دي نصاحة ستات يا قلبي ..

أردفت بعدما شربت قليلا من فنجانها: كلها كام شهر وبطني تكبر .. وشكلي يتغير .. ولو السكرتيرة حلوة وشايفه نفسها شوية ما عودتش تبص ف وشي

أردفت بشهقة: ولا ف مرة تفكر تستحمى ف المكتب وتشوفك زي ما شوفتك .. ولا تفضل تدور معاك ع النضارة تحت أكوام الورق .. لا لا يا سيدي السكرتير الراجل أرحم .. الواحد هيفضل على نار كدا

ضحك بسعادة واضعا رأسه فوق ركبتيها وبسط جسده فوق الأريكة: بس مهما راحت ولا جات مش هتبقى زيك .. لا هتكون أول ولا آخر سكرتيرة .. لكن إنتي اللي دخلتي عقلي وقلبي

قبل بطنها المسطحة عبر القماش الناعم، داعبت خصلات شعره حتى راح في سبات عميق، استرخت للخلف شاردة والبسمة على ثغرها، تقلبت عيونها في الحجرة حولها؛ تتخيل طفلا يقفز هنا وآخر يلعب هناك وفتاة تمشط شعر دميتها الصناعي.

***

وصلوا مرسى مطروح والوقت قد تجاوز منتصف الليل، تفرقوا كل ثنائي في شاليه منفصل، صحب مصطفى زوجته إلى الشاليه الخاص بهم.

تقدمته فريدة إلى الداخل، بحثت عن مكبس الإضاءة وأنارت المكان، تطلعت حولها بينما تأكدت من إنغلاق الباب بشكل آمن.

وقف بجوارها يجيل بصره في الأرجاء مرددا: نورتي شاليهك يا شابة

قهقهت للهجته التي تشبه ريا: إيه دور ريا وسكينة دا ؟

غمزها بطرف عينه: مش المفروض أدبحلك القطة يوم الفرح عشان تخافي؟ .. إنتي أصلا عايشه ع الدبح والتشفيه والسلخ، فقولت أسلوب ريا وسكينة مافيش غيره

زمت شفتيها مستنكرة: أنت هتذلني إكمني دكتورة بيطرية ؟ .. اللي مش عجباك دي هي اللي هتمشيلك شغلك وحيوانات مزرعتك

غازلها: هو أنا أقدر أقول عليك كلمة يا جميل

ضربته على كتفه بخفة: أيوه كدا .. أتعدل

اعتدل في وقفته: تصدقي ماخدتش بالي إني معوج

نفخت بحنق: اللهم طولك يا روح

– ما تيجي نصلي

– ماشي، بس قول الدعاء دا الأول

أمسكت يده ووضعتها فوق رأسها، سمعته يردد الدعاء مغمض العينين: اللهم إني أسألك من خيرها ومن خير ما جبلت عليه وأعوذ بك من شرها ومن شر ما جبلت عليه

توجهوا إلى الغرفة كي يأدوا صلاتهم، صلت خلفه حامدة؛ فلقد حققت أحد أحلامها، كانت تحلم باليوم الذي تصلي فيه خلف زوجها وشريك دربها وتحقق هذا اليوم أخيرا مع زوجها الذي تذوب عشقا به.

سلما من صلاتهما، استدار إليها بثغر باسم: أنا وإنتي بقينا ف بيت واحد .. نبدأ حياتنا سوا ونبنيها م الأول، إيدي ف إيدك هنعدي كل المشاكل بس ف يوم يا فريدة لو زعلتي مني أوعي

ما تقوليليش سبب زعلك أو تقولي مادام ماعرفش لوحده أنا مش هأقوله، لا، نبهيني .. يمكن أكون غلطت ف حقك من غير قصد أو تكوني فهمتيني غلط .. كل شئ وارد، مش عايزك تنامي ف يوم زعلانه مني، ولا أنا هأنام زعلان منك .. نصفي قلوبنا ناحية بعض قبل ما ننام؛ لإنه يا عالم هنصحى نلاقي بعض ولا ... هيكون واحد فينا ف القبر

توقف لما رأى الدموع تتجمع في مآقيها، طغى الحنان على نظراته: ما تقلقيش؛ هنفضل مع بعض أطول فترة .. ربنا يجعل يومي قبل يومك

فاضت الدموع على وجنتيها وأغرقتهما، مد كفه يمسح شلالات الماء الفياضة، سألها قلقا: في إيه بس ؟

حاولت كتم شهقاتها حتى تستيطع الرد، قالت قبل أن تعاود البكاء من جديد: رجلي .. رجلي نملت

حدق بها في بلاهة: نعم؟

كررت: رجلي نملت ومش قادرة أحركها .. مش حاسه بيها

نفخ بغيظ: بقى عامل أكلمك جد، ويومي قبل يومك ورومانسيه وشويه شويه هأجيبلك لبن العصفور وجنابك تقوليلي رجلي نملت، وأنا اللي فاكر إنك قشعرتي من كلامي

على صوتها بحدة وغضب: رجلي يا بني آدم .. فك التنميل بعدين أرغي، أنا بأتعذب ودا نازل لوك لوك لوك .. إيه مافيش دم ؟

نهض واقفا على قدميه وصرح أمامها: تصدقي حلال فيكي اللي إنتي فيه

أضاف: بس قلبي الصغير لا يتحمل .. أعمل خير وأرميه البحر، هأساعدك، أمري لله

نجح في حملها بهدوء وروية دون أن يزيد ألمها، لقد تيبست قدميها وأمتنع الدم عن السريان في شراييينها إلى ساقيها نتيجة جلوسها في وضع التسليم من الصلاة لفترة طويلة، فقد استغرقها الإصغاء لحديثه بينما جلس أمامها مشبكا قدميه أسفل جسده في وضع أكثر راحة.

وضعها على الفراش متمهلا كأنها قطعة من الزجاج يخشى عليه من الخدش، مد يده محاولا رفع ثوبها الصيفي الطويل عن ساقيها، دفعت الثوب ليكسو ساقها من جديد وضربت يده تبعدها.

شهقت بقلق: بتعمل إيه ؟

تنهد بفروغ صبر وقد دفع يدها بعيدا مكملا ما يفعله: بأرفع الفستان

أمسكت يده بغيظ وعناد: أيوه .. ليه يعني؟

فهم سبب قلقها: عشان أفكلك التنميل، ولا ناويه تقضي ليلتك دي منمله .. كانت واقعة إيه المقندله دي، أسيب كل بنات الدنيا وأتجوز المنملة

رغم غيظها من كلماته إلا أنها لم تستطع مقاومة رغبتها العارمة في الضحك: تكفير ذنوب بقى بعيد عنك

– بقى بزمتك إنتي .. ف العروق دي أي دم ؟

أومأت وقد ألجمته بردها: أه، دمك .. ولا نسيت لما أتبرعتلي بيه ؟

رفع يديه إلى السماء: يا رب كان داسني ترومواي قبل ما أعملها

استفزته: مافيش ترومواي ف القاهرة يا حبيبي

حدق في وجهها بهيام: يا إيه ؟ .. قوليها تاني كدا

أخرجت لسانها: يا مسهوك

– لا لا مش دي، قولي يلا؛ عشان أفكلك التنميل .. بســــــــــرعة

كررت بخجل: يا .. حبيبي

– يا قوة الله .. أخيرا سمعتها من بؤك يا سكر

ذكرته: رجلي

– طيب أهو .. حاضر يا بـــــااي

ارتاحت قدميها فتركها، وقف إلى جوارها يحل ربطة عنقه، لقد بدلت ملابسها قبل السفر على عكسه لأن فستان العرس كان يعيق حركاتها،كذلك خشيت عليه من التلف نتيجة السفر الطويل والجلسة المقيدة في السيارة.

سألته بريبة: مالك ؟ خلعت الكرافته ليه ؟

حدق بها كأنها جُنّت: لاهو إنتي عايزاني أفضل مخنوق بيها كمان ؟!، إنتي مفتريه كدا إزاي ؟ .. أشوف فيكي يوم يا بعيدة

هتفت بغضب: بتدعي عليا يا مصطفى

رفع حاجبيه ببراءة: لا بأدعي ع البعيدة .. إنما إنتي قريبة، قريبة أوي

وضع يده فوق حجابها يريد حلّه، أوقفته مقطبة: بتشيلها ليه ؟

أراد إغاظتها فقال: عشان أشوف الليفة اللي تحت .. من شوية منملة ودلوقتي ليفة .. وأسجد ركعتين شكر لله، وأموت مشلول بقى

قهقهت: طب شيلها .. شيلها

تنهد ومد يده من جديد، نزع الدبابيس التي ثبتت الحجاب فوق رأسها ثم نزع القماش ليتحرر شعرها البني الحرير وانساب كغدير بديع.

صاح بصدمة: يا قــــــــــــــووي .. دا شعرك ولا سلفاه

عقدت ذراعيها مستهزءة: لا سلفاه

مثل الجدية: أنا قولت كدا بردو .. من بكره يرجع يا هانم

ضحكت: جرا إيه يا مصطفى، طبعا شعري

وضع الحجاب فوق الطاولة المجاورة للسرير، جلس إلى جوارها وأصابعه تتخلل شعرها في حركة رتيبة حنونة، استرخت على ملمس يديه السحري، سمعته يقول بالقرب من أذنها وعينيه معلقة بعيونها: تعرفي إنك حلوة أوي

أردف بعدما لمح الخجل في احمرار خديها: ماكنتش أعرف إن دمك هيكون خفيف وبتحبي الهزار، أه كلهم قالوا كدا .. لكن بردو فضلت شايفك فريدة اللي بتشخط وتتكلم جد وبس .. اللي ماعندهاش غير الوش الخشب، ومع ذلك حبيتك وأتمنيتك .. بس طلعتي أحلى بكتير

أخبرته بحياء: وأنا كمان حبيتك

لمعت عيونه بصدمة: أومال مابينتيش ليه ؟ صديتيني ليه ؟

تنهدت: لإنه ماكانش ينفع أعمل غير كدا .. فكرت إنك لو عاوزني هتعمل زي أحمد وتدخل البيت من بابه على طول

أسرع يبرر موقفه: كنت هأعمل كدا، بس لو حسيت بحُبِك، لكن إنتي كنتي بتصديني ف افتكرت إني مش فارق معاكي، وفضلت أحاول أخليكي تحبيني

– وإيه اللي غير رأيك؟

– لما أتخطفتي كنت هأتجنن، عايز أجيبك وخلاص .. قولت لما هألاقيها .. هأتجوزها يعني هأتجوزها .. حتى لو رفضتني

ضحكت بغبطة: هو بالغصب ؟

اقترب منها ناظرا في عيونها بخليط من القوة والشغف: لا مش غصب .. دا حب يا ديده

دنى بوجهه أكثر مغمضا عينيه استعدادا لتقبيلها لكنها دفعته بعيدا على حين غرة: لا

عاد إلى الواقع مضروبا على رأسه، قطب سائلا: في إيه؟

كررت: لا

هتف: نعم ياختي!؟ .. دا إنتي مراتي حلالي بلالي

– أيوه بس لازم تقول دعاء الأول

تنهد ملتقطا أنفاسه، ردد الدعاء: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا

قبلها على شفتيها متمتعا باستسلامها وقد رفعت رايتها البيضاء أخيرا، مد يده يُطفئ ضوء الأباجورة المجاورة للفراش فغمر الغرفة الظلام التام.



الفصل الثالث والعشرون

دائما ما كان الظلام مخبأها والليل أنيسها، تقلب كل أمور حياتها بين ثنايا الظلمة، العتمة تعطيها الهدوء الداخلي والإتزان النفسي حتى تستطيع التفكير في مشكلاتها وحل أعوص القضايا في حياتها.

ألصقت ظهر ابنها في صدرها، تستمد منه القوة للتفكير والمقاومة، لولاه لما تحملت السنوات الماضية وبدونه لن تصبر على ما هو آتٍ، مسدت شعره الناعم وقبلت جانبه جبينه، الأسئلة تحوم داخل رأسها دون القدرة على نطقها.

معضلتها الليلة هي ما عرفته من صديقتها منار، أتنسى الموضوع وتغلق صفحته كما فعلت مع زوجها وتصب تركيزها على البداية الجديدة لهما معا أم تخبره فتثبت براءتها وتؤكد سوء ظنه بها دون داعٍ.

ترقرقت نقاط الماء فيما بين جفنيها، لقد سلبها الطبيب أغلى ما تملكه فتاة، ليس فقط عذريتها ولكن حرية اختيار من يهدم حصونها ويخترق دفاعاتها بإرادتها، لم يُخيرها إنما دمر حياتها فحسب، فوضت أمرها إلى الله، دعت عليه وعلى كل من يماثلونه.

لقد مرت فترة طويلة والموضوع مازال يدور برأسها، لم تحسم أمرها بعد عندما فتح آدم الباب وأشعل أحد الأضواء الخافتة بقرب الباب، ناداها متسائلا: مش هتيجي تنامي ولا إيه ؟

دلكت عيونها وقامت تضبط الغطاء فوق ابنها: جايه أهو

قبلت جبهة ابنها النائم بعمق ثم اتجهت برفقة زوجها إلى غرفتهما، حسمت أمرها حالما خطت داخل الحجرة، استدارت إليه مرتبكة لا تعلم من أين تبدأ روايتها: آدم، في موضوع عايزه أكلمك فيه

غمر القلق قلب زوجها من لهجتها الغريبة لكنها أشار لها بالمتابعة فيما يصغي إليها، جلست على طرف السرير؛ ركبتيها تحولتا إلى هلام ولم تعودا تحتملان ثقلها من فرط التوتر، إزدردت ريقها ثم شرعت في سرد ما سبق وسُرِد على آذانها.

كانت تصب في أذنيه الرواية كاملة ونظرها لا يقوى على الإرتفاع إليه، رغم عدم تحملها أي ملامة إلا أن الحياء كان ملازمها، نفخت بقوة حالما انتهت من قول ما في جعبتها كأن حملا ثقيلا إنزاح عن كاهلها لتضعه على أكتاف زوجها، رفعت قصاصات الجرائد التي سبق وجمعتها من الإنترنت وحفظتها على هاتفها، حدق بهم بدون تعليق.

دام صمته طويلا حتى شكت أنه سمع شيئا مما قالته، رفعت إليه بصرها بتردد، تقدم منها وركع أمامها، ضغط على كفيها وقد تملكه الخجل مما فعله بها سابقا دون ذنبٍ منها، بدأ الحديث بعد فترة بصوت أجش: أنا آسف يا ندى على كل اللي قولته .. وكل اللي عملته فيكي .. إنتي من حقك تعملي فيا اللي إنتي عايزه، وأنا ما أقدرش أتكلم لإني استاهل

أصدرت شهقة مكتومة عندما شعرت بدموعه تتقطر فوق كفيها، أحاطت وجهه بكفيها ورفعت رأسه إليها فيما تحاول منع دموعها: أنت مالكش ذنب بالعكس .. أنت رد فعلك كان هادي وعاقل جدا بالنسبة لأزواج تانيين

هز رأسه بعنف: ما تدافعيش عني يا ندى .. أنا ما استاهلش

وضعت أصبعها فوق شفتيه تمنعه عن الحديث: شششش .. ما تتهمش نفسك أنا قولتلك الموضوع لإني ما أتعودتش أخبي عليك حاجه، يعني مش عشان أعاتبك أو حاجه

– يعني مسمحاني على اللي عملته فيكي ف الخمس سنين دول ؟

تبسمت: كفايه إنك كنت جنبي .. ما سبتنيش ولا اتخليت عني

لثم أصابعها بنهم: أنا بحبك أوي يا ندى حياتي

***

دلف أكرم مع زوجته إلى الشاليه المجاور للآخر الخاص بصديقه، رفع أكباس الكهرباء فأضاء المكان، دارت مرام حول نفسها مدندنة بلحن ناعم يعبر عن فرحتها.

– عجبك الشاليه ؟

ابتسمت بسعادة: أه .. حلو أوي

– تحبي تاكلي؟

وضعت كفها على معدتها المسطحة: ياريت .. لأحسن هأموت م الجوع

قهقه لحركاتها الطفولية: ماشي يا ستي، تعالي ناكل، بس الأكل هيطلع م التلاجة ع السفرة

سقط نظرها إلى ثوبها الأبيض الذي تشبثت به ولم ترغب في نزعه قبل السفر من شدة فرحتها وتعلقها به، لقد اختاره أكرم لها بنفسه، صممت على إرتدائه أطول فترة ممكنة: كنت عايزه أغير الفستان عشان ما يتوسخش

- خلاص اللي يريحك

اتجهت إلى غرفة النوم لكن قبل إقفالها الباب عقب دلوفها إليها، صاح أكرم باسمها بصوت يحمل الكثير من الخبث: ياريت تلبسي حاجه مريحه، هـــــا ؟!، يعني ماتتكسفيش مني .. المهم راحتك

هزت رأسها باسمة فلم يصلها مقصده: ماشي

استدار في اتجاه المطبخ وبدأ بإخراج الطعام ووضعه فوق طاولة الطعام، ظل يحدث نفسه بكلمات تشجيعية: الليلة ليلتك يا بطل .. يا رب ما تكسفناش الليلة دي

استقام بعد عشر دقائق يلقي نظرة أخيرة على ما أعدته يداه، غمز لنفسه في المرآة بفخر، سمع صوت الباب خلفه يفتح ثم يقفل، عرف أنها خرجت، وقف يرسم ابتسامة ماكرة وهو يعد نفسها لرؤية صورة رسمها في خياله، دار إليها ببطء، انمحت البسمة وصرخ بصدمة مستنكرا ما رأى: إيه دا ؟!

سألته ببراءة متفاجئة: إيه ؟

لوى شفتيه بخيبة: هو دا اللبس المريح بتاعك ؟

هزت كتفيها تنظر إلى أصناف الطعام الموزعة على الطاولة: أيوه .. أنا مش بارتاح غير ف البيجامه

تركته يتحدث وسحبت مقعدا وقد شمرت عن ساعديه استعدادا لتناول الطعام: بيجامه و.. كمان عليها إسبونج بوب .. شكلنا هنقضيها كرتون وننام بدري عشان نلحق المدرسة

سألته بفم مكتظ بالطعام: بتقول حاجه يا أكرم ؟

رسم ابتسامة سمجة: لا لا يا حبيبتي .. سلامتك

أشارت إلى الطعام تحثه على اللحاق بها: طب مش هتاكل ؟

زفر وجلس أمامها على المائدة، بالكاد نقل بعض الطعام إلى صحنه ثم توقف يتابعها تأكل دون الاهتمام به، فقط مكتفية بإشباع جوعها، بعد دقيقة رفعت إليه نظرة متسائلة لما لاحظت تحديقه بها: مش بتاكل ليه ؟ .. وبتبصلي كدا ليه ؟

ملس يديه فوق شعرها: أول مرة أعرف إن شعرك مجعد

أجابته بعدم اكتراث: أه، هو طبيعته كدا .. حاولت كتير إني أخليه ناعم زي أخواتي، بس ما عرفتش .. الوراثة بقى

– طب ما فردتيهوش ليه؟

تركت ملعقتها جانبا ثم أجابته بجدية: عشان أبقى من أول يوم قدامك بشعري الحقيقي، مش هأضحك عليك إنه مفرود وناعم وجميل وأول ما تلمسه المايه يرجع زي الأول تتخض وتقول .. غشوني ونصبوا عليا

انفجر ضاحكا: ما أنا خلاص أتجوزتك .. يعني لو هأقول، هأقول من دلوقتي

– أدينا لسه ع البر .. قول وأنا هأقوم أمشي من دلوقتي

ابتسم: بس أنا عاجبني شعرك كدا .. لايق على وشك أكتر ومبين عرق الجنان اللي ف دمك

دفعت الطعام داخل فمه: كدا ؟ .. طب كُل

***

مدت كفها بحبة الدواء وبالأخرى كوب الماء، تناولهما منها، ألقى الحبة في فمه وبلعها بشربة ماء أنهت على نصف الكوب، استلمت منه الكوب بعدما أنتهى ببسمة: بالشفا يا حبيبي

جلست بجانبه بعدما أحضرت أنبوبة مرهم، أخرجت بعضه فوق أصابعها بينما تمدد زوجها على بطنه رافعا قميصه، وضعت المرهم فوق ظهره وبدأت تدلكه.

تنهدت: مين كان يصدق إنه يجي اليوم اللي أكرم يتجوز فيه

أجابها مصدرا أصوات الراحة من تدليكها المهدئ: نصيبه جه

– الحمدلله، ماكنتش مرتاحة لخطوبته من باريهان .. الحمدلله ما تمتش، ربنا يرحمها

– آمين، بإنهارده نكون جوزنا ولادنا كلهم

ربتت على كتفه إشارة لإنتهائها، أنزل قميصه واعتدل جالسا، دعت متجهة إلى الحمام كي تغسل يديها: عقبال ما تجوز ولاد ولادك

قهقه: ربنا يديكي الصحة إنتي وتشوفيهم عرسان، أنا يادوب ألحق أدخلهم المدارس .. دا لو عشت لوقتها يعني

عادت وملامحها تحمل الغضب الشديد: ما تقولش كدا يا ياسين، ربنا يديك الصحة والعمر، دا قدر .. ماحدش عارف مين هيموت قبل مين

أومأ: ونعم بالله

وضعت بعض الكريم الخاص بالعناية الليلية بالبشرة على كفها وبدأت توزعها بهدوء: صحيح، أكرم ومرام هيعيشوا معانا هنا وأهلها مش هيسافروا

– أيوه، والناحية الغربية من الدور التاني أتقفلت كويس عشان تبقى زي شقة ما عدا المطبخ بس اللي ناقصها، لكن عاملهم زي بار كدا عشان لو حابوا يعملوا كوباية شاي أو مج نسكافيه

– طب وأهلها هيفضلوا عايشين لوحدهم كدا ؟

– مش فاهم بتلمحي لإيه

انضمت إلى جواره في الفراش وشرعت في توضيح مقصدها: يعني أكرم ومرام هيجوا معانا هنا يونسونا، ومصطفى هياخد فريدة ويرجعوا مزرعته .. وأكيد عارف ابنك أحمد عاشق الخصوصية ومش هيقبل لا يعيش ف بيت أهل مراته ولا يجبهم يعيشوا معاه

رفع أحد حاجبيه: مش فاهم بردو .. إيه مشكلتك .. هما كانوا اشتكولك ؟

زفرت: الخوف يجوا بعد كدا ويقولوا أخدتوا بناتنا مننا وخليتوهم يبعدوا عننا

– الله، هو إحنا خطفناهم ؟ .. دول أتجوزوا ودي سنة الحياة

– أنا بأقولك يعني اللي ممكن يجي ف بالهم

– يعني عايزاني أعمل إيه ؟

– بأفكر تبقى تخلي أكرم يطلب منهم يجوا يقعدوا معانا هنا .. الفيلا واسعة وبنتك رجعت مع جوزها ومصرين يعيشوا لوحدهم ف الشقة اللي كان مجهزها أيام الخطوبة وما لحقوش يتهنوا بالسكن فيها

– أنا ماعنديش مانع، بس فكرك هيقبلوا ؟

– مش عارفه، أهي مجرد محاولة

– إمممم، خلاص، ابنك ومراته يرجعوا بالسلامة وبعدين نشوف الحكاية دي

***

انتهوا من تناول الطعام، نهضت العروس متجهة إلى التلفاز الموضوع فوق طاولة صغيرة بأحد الأركان، فتحته ثم تراجعت تجلس على أقرب مقعد فيما تقلب قنواته.

تابعها أكرم مستغربا: إنتي بتعملي إيه ؟

أولته ظهرها بلا مبالاة: زي ما أنت شايف .. هأتفرج ع التلفزيون

كظم غيظه: طب مش هتشيلي الأكل ؟

أشاحت بجهاز التحكم عن بعد: بكره بكره

– بس كدا ممكن يتلم عليه الدبان

– خلاص شيله أنت

أخفى غيظه وحمل الطعام إلى الثلاجة، فما ذنب الطعام بزواجه من فتاة مدللة لم تكن تمد يدها في شئ، لقد أراح نفسه وأراحها بقرار العيش في منزل والديه؛ حيث تطهو أمه بمساعدة الخدم.

عاد إليها بعدما أنتهى، وجدها تشاهد إحدى المسرحيات وتنفجر من الضحك بين اللحظة والتي تليها، جلس بجوارها فلم تنتبه، استمر الحال ما يقرب من الساعتين حتى نهض فجأة وأطفئ التلفاز بعدما طفح به الكيل.

صاحت مستنكرة: طفيته ليه ؟

– أبدا، وراكي مدرسة الصبح ويادوب تلحقي تنامي

نظرت إليه كأنه هرب لتوه من مشفى المجانين: مدرسة إيه ؟ .. أنت أتجننت يا أكرم؟

عقد ذراعيه أمام صدره: ماهو لما مراتي ليلة دخلتها تبقى قاعدة معايا بيبجامه بنطلونها واصل للأرض وبنص كُم وعليها رسمة إسبونج بوب .. وكمان تسبني أحضر السفرة وأشيلها .. أقعد جنبها ساعتين من غير ما تحس بيا وتتفرج ع التلفزيون .. كنت أتجوزت بنت خالتي اللي عندها تسع سنين أحسن بقى

سألته ببرود: وما أتجوزتهاش ليه ؟

أشار إلى موضع قلبه: عشان دا اللي حبك وهو اللي اختارك .. عرفتي ليه؟

ابتسمت بخفر: طب وأنت عايز إيه دلوقتي ؟

اقترب منها ينهضها ويسحبها خلفه إلى غرفة النوم: أنا هأقولك عاوز إيه

دلفا إلى الداخل، ترك يدها وأتجه إلى خزانة الملابس، فتحها وظل يتمعن بها طويلا حتى ظفر بما أراد، أغلقها ممسكا بأحد قمصان النوم ومأزره، سلمها إياهم مطالبا: خدي .. ألبسي دا

سألته بخجل بعدما قلبتهم بين يديها: لازم يعني ؟

صمت هنية ثم عاد يلتقطهم من بين أصابعها، ألقاهم خلفه دون اكتراث ثم جذبها من ذراعها لتختفي بصغر حجم داخل أحضانه، سمعته يردد فيما غابت في عالم تحيطها فيه رائحته الرجولية الجذابة: لا مش لازم

***

سبق آذان الفجر بدقائق، فتح عيونه فوقعت على خصلات شعر زوجته المتناثرة فوق صدره، تنام بين ذراعيه في رحلة بعالم النوم العميق، ابتسم عندما لمح انثناءة ثغرها ببسمة؛ سعيدة بموضعها، استمر في تأملها قليلا والبسمة تعلو شفتيه، استدرك نفسه بعد هنية وبدأ في إيقاظها، داعب أرنبة أنفها بخفة: حبيبتي مش كفايه كسل ونصحصح بقى

دفعت خصلة بعيدا عن وجهها فيما تقاوم تثاؤب تصاعد إلى فوهة فمها: هي الساعة كام دلوقتي ؟

قوس شفتيه للأعلى: مش عارف .. استني هأشوف

التقط الساعة الرقمية المجاورة للفراش، أخبرها بالوقت مضيفا: يعني خلاص شوية والأذن يأذن

جذبت الغطاء فوق رأسها: طيب سيبني أنام وصحيني لما يأذن

استند إلى كفه وبدأ يهزها بروية: دا إنتي كسلانه بشكل

دفعت يده بعيدا عن كتفها: كسلانه كسلانه .. المهم سيبني أنام دلوقت

نفض الغطاء عنها: لا لا، قومي كدا .. ادخلي خدي دش، وفوقي؛ عشان نلحق نصلي ركعتين شكر لله ع إننا بقينا سوا وهنبدأ حياتنا من جديد قبل ما الفجر يأذن

فتحت عينيها، حدجته بنظرة مشبعة بالعاطفة، قابلها بالمثل للحظة من ثم قال بصوت متحشرج: بأقولك عايزين نصلي قبل الفجر ركعتين تقومي تبصيلي كدا .. هتضيعي علينا الفجر يا شيخه

نهضت ضاحكة وتوجهت إلى الحمام: طيب يا سيدي .. أديني رايحه أهو

صاح من خلف الباب الفاصل بينهما: بس ف الإنجاز .. هــــــا ؟! .. عايز استحمى بردو

أتموا صلاة الركعتين وما إن قاما بالتسليم منها حتى سمعا صدى آذان الفجر من أحد المساجد البعيدة نسبيا يتردد في الأرجاء.

رحل ببصره بعيدا عن وجهها: كنت متعود أصلي الفجر ف المسجد آخر فترة بس بما إنك معايا هنصليه سوا ماشي ؟

ربتت على كتفه بهدوء: لا، روح صليه ف المسجد عشان ثوابك يبقى أكبر

همهم بحزن: بس كدا هأخد ثواب صلاة الجماعة وإنتي لا

شعرت بإحساس جديد يجتاح خلجاتها، تسابقت دقات قلبها، السعادة التي تغمرها في هذه اللحظة أشد قوة وأكثر اكتساحا من تلك التي انتابتها قبل ساعات عندما عُقد كتابها عليه: لا .. إحنا هنصلي السنة سوا .. وبعدين تكلم أكرم عشان تروحوا تصلوا ف المسجد وبعدين

ترجع هنا نسبح مع بعض .. هو أنا أفديك الساعة لما جوزي حبيبي ياخد ثواب أكبر مني .. ما هو دا اللي هيسيب الحور العين ويقول .. زوجتي زوجتي

ضمها: ربنا مايحرمني منك، لا حور عين ولا بنات الدنيا كلها يهموني ولا واحدة هتعمل فيا زي ما إنتي بتعملي بكلامك دا

أزاحته: طب روح كلم أكرم عشان يجهز عقبال ما نصلي السنة

تناول هاتفه من جيب بنطاله: أمرك يا باشا، دا أنت تشاور وأنا أنفذ من غير ما أنطق

انصت للرنين المتقطع على الطرف الآخر بصبر، أجابه صوت يشوبه النعاس مخلوطا بالضيق مع اقتراب نهاية الرنين: السلام عليكم

– وعليكم السلام يا كابتن كسلان

تعرف على صوت المتصل فهتف حانقا: في إيه يا مصطفى الساعة دي ؟!

– في صلاة فجر ياخويا

نهض مفزوعا: هو آذن؟

– أيوه، يلا قوم اتوضى وفوق كدا وصلي السنة .. أنزل، هاستناك ع باب شاليهك

– طيب طيب .. سلام

أيقظ أكرم زوجته حتى تؤدي فرضها كذلك، نهضت متكاسلة فتركها وأسرع يغادر كي يلحق بصديقه.

أتجه مصطفى إلى زوجته لأداء صلاة السنة متجاورين ثم خرج ليقابل أكرم متجهين إلى مسجد قريب لتأدية الفرض المهجور.

عاد كلٌ منهما إلى عروسه، وجد أكرم زوجته نائمة، ألقى جسده إلى جوارها ثم ذهب في سبات عميق.

***

فتح مصطفى باب الشاليه بالمفتاح الذي أخذه معه، تقدم إلى الداخل على مهل حتى لا يوقظ زوجته إن غلبها النوم لكنه وجدها جالسة في انتظاره تقرأ بعض آيات الله في صمت، بالكاد لمح تحرك شفتيها.

طوح سلسلة مفاتيحه فوق الطاولة ذات السطح الزجاجي وصاح بقوة افزعتها: هــلاا ا هــلاا ا ع الناس اللي عماله تاخد ثواب لوحدها .. وأنا اللي ماكنتش عايز أسيبك وأصلي ف المسجد عشان ماخدش ثواب أكبر

زفرت براحة ثم أغلقت مصحفها، لامته بدلال: أنت اللي نيتك وحشة على فكرة .. لإني كنت باقرأ بنية الثواب يكون ليا وليك

انضم إلى جوارها ولثم وجنتها: ربنا يخليكي ليا يا ديده يــــــا رب

– ويخليك ليا يا طفطف يـــــــــــا رب

قطب بغضب طفولي: إيه طفطف دي ؟

– دلع

حك رأسه: مافيش دلع غير دا ؟

– أه، دا اللي عندي .. عاجبك ولا مش عاجبك ؟

طلب رضاها: عاجبني يا ستي .. أي حاجه منك حلوة

– أيوه كدا اتعدل

رسم الجدية فوق وجهه: ممكن اسألك سؤال يا فريدة؟

أومأت فتابع: هو واحد زائد واحدة بيساوي كام ؟

استغربت: إيه السؤال الغريب دا .. أنا طول عمري باسمعها واحد زائد واحد

قهقه متفاخرا: لا دا مش عندي .. وبعدين هو إحنا ف مدرسة ؟

هتفت مغتاظة: بردو حضرتك بتتريق عليا

–طيب خلاص، بلاش دي .. خلينا ف واحد زائد واحد بتاعت الرياضة هتساوي كام ؟

أجابته بثقة: هتساوي إتنين طبعا

- وإيه الثقة دي كلها ؟ غلط على فكرة..

- إزاي يعني واحد زائد واحد على طول بتساوي إتنين

- في حاجه عايزك تعرفيها كويس .. واحد زائد واحد مش على طول بتساوي إتنين

ضحكت منه ساخرة: لا يا شيخ .. أومال هتساوي كام ؟

- ماهو دا سؤالي يا أم الذكاوه..

أضاف عندما لمح حنقها المتزايد: طب هأساعدك؛ عشان صعبتي عليا .. أنا زائد إنتي يساوي كام ؟

لوت شفتيها غضبا: كام؟

- أنا زائد إنتي هيساوي أنا وإنتي

ضربت الأرض بقدميها صائحة: ودا إزاي إن شاء الله؟

- يـــــوه دا إنتي تلميذة بليدة أوي، إزاي إنتي دكتورة .. ها ؟ .. شكلك هتتعبيني معاكي

سخرت: معلش يا حضرة الناظر .. منكم نتعلم بردو

أدعى التواضع: خلاص خلاص، هأفيدك بعلمي؛ ما إنتي ف الأول والآخر مراتي وماينفعش أسيبك جاهلة كدا

امسكت بالوسادة المجاورة لساعدها، رفعتها مهددة: أخلص بدل ما أكتم نفسك وارتاح من زنك

رفع يديه أمامه بحركة تمثيلية: حاضر حاضر .. دا إنتي ولية مفتريه

عاد لجديته الوهمية من جديد: أنا دي اللي هو أنا

– لا يا شيخ تصدق ماكنتش أعرف؟ أفادكم الله

– يا ستي اصبري .. واحدة واحدة

– اتفضل يا سيدي .. أما نشوف آخرتها

– إنتي دي اللي هي .. إنتي

هتفت به مغتاظة: أنت دماغك لسعت .. صح؟

نهرها بهدوء: اصبري بقى وما تقاطعنيش

– اتفضل جنني معاك

– وزائد دي .. هي بتاعت الحساب "+" .. دي الحاجز اللي كان واقف بيني وبينك .. الدين والخوف من ربنا .. أما الـ يساوي "=" ف هي كل اللي هيجمعنا زي المأذون والجواز، ف النتيجة هتكون .. أنا وإنتي .. فهمتي ؟

صمتت قليلا تنظر إليه دون أن تراه، أفاقها : إيه يا حاجة .. روحتي فين؟

ردت ببساطة: حسبتك غلط

فكر فيما قاله قبل أن يسألها متعجبا: إزاي؟

تقاطع كفيها سويا: لإن كدا بردو لسه في حاجز بينا .. "الواو"

فكر: مالاحظتش بصراحة .. بس لو شلنا الواو هتبقى "أنا إنتي"

– لا، تشيل أنا وإنتي كلها على بعضها

لوى شفته محتارا: وهتبقى النتيجة إيه ؟

ابتسمت بحب: إحنا .. إحنا معناها كبير أوي، عارف لما مجموعة يتفقوا سوا ويقولوا (إحنا هنبني مسجد) .. بتلاقيهم كلهم بيشتغلوا وكلهم بيبنوا، بينهم قوة واتحاد، بيشاركوا بعض ف المصاريف .. ف الأكل .. ف الشرب .. ف الشغل، حتى العرق بيشاركوا بعض فيه .. شوف ع الرغم من أختلاف أحجامهم وأشكالهم .. وإن لكل واحد فيهم شخصية مستقلة وجسد تاني مختلف؛ لكن ف عقلهم نفس النية "بناء المسجد"، وف قلبهم نفس الحب "حب الله"، وف جسمهم نفس الروح "روح التعاون" .. وف الآخر بيطلع من تحت إيديهم مسجد ف قمة الإتقان والجمال

أضافت تقبض على أحد كفيه بقبضتيها: أما بالنسبة لمعنى "إحنا" ليا أنا وأنت، ف هي بتتلخص ف جملة واحدة "إحنا .. يعني روح واحدة بس فـ جسدين"

شد على يدها وتنهد بعد دقائق مشبعة بالعاطفة ومشحونة بالحب: أنا قولتها كلمة ومش هأرجع فيها .. إنتي مافيش منك إتنين

ابتسمت بخفر: يلا نسبح عشان ماننساش

بسط كفها: هاتي إيدك أسبح عليها؛ عشان أنا وإنتي نتقاسم الثواب

مدت كفه الآخر: وأنت كمان .. هات إيدك؛ عشان أسبح عليها

لمس جبهته بجبهتها: إيدي ورجلي .. كلي ملكك أصلا يا ديده

ابتسمت بسعادة: ماشي يا طفطف

استمرا يسبحان الرحمن ويذكرا الرضوان حتى طلوع الشمس، زحفا إلى الفراش ينالان قسطا من الراحة قبل الخروج والتمتع بالماء المالح والطبيعة البهية.



الفصل الرابع والعشرون

قبل الظهيرة بفترة لا بأس بها، اجتمعوا العرسان أمام البحر، الشاطئ خاص فلا يخشون وجود المتطفلين، هذا الموقع كان أحمد قد قام بشرائه؛ لكي ينشئ فوقه عدة شاليهات والخدمات الأساسية كمكان خاص بالشركة وموظفيها حيث الترويح عن النفس والتخفف من أعباء الحياة اليومية وضغوط العمل، لم يكن قد تم الإنتهاء سوى من نصف المخطط له، فكان أربعتهم أول من خطى إلى هذه الأرض بعد إعمارها.

استمتعوا باستنشاق النسيم الرطب الممزوج برائحة الملح، خصوصية الشاطئ أمنت لهم الحرية المطلقة في التصرف، حتى القلة التي تمر على مسافات بعيدة عنهم لم تستمر طويلا مما سهل على العروستين بملامسة المياه واللعب قليلا، وعقب ساعات من المرح توقف مصطفى مملسا على بطنه متذمرا: أنا هاموت م الجوع

شاركه أكرم نفس الإحساس ضاحكا: تصدق وأنا كمان

هتفت مرام: خلاص حد يروح يشتري أكل

تطوع مصطفى: أنا هأروح؛ عشان أنقنق ف الطريق

تشبثت فريدة بزوجها: وأنا هأجي معاك ... عشان أنقنق

التقط كفها: يلا يا ديده

صاح أكرم من خلفهما: المهم تعملوا حسابنا معاكوا

ثم التفت إلى زوجته الشاردة في عالم آخر: مالك يا مرام؟

نفت بهدوء: مافيش

أمسك كتفيها باحكام وأدارها ناحيته: لا في، إنتي م الصبح مش على بعضك، مستني تتكلمي لوحدك بس يظهر لازم اسألك

تنهدت استسلاما: اصل في حاجه عايزه أقولك عليها .. بس خايفه

داعب خدها باسما: قولي وماتخافيش .. ولا شايفاني بعبع؟

– خايفه من ردت فعلك

– خلاص قولي ونشوف

نظرت إلى البحر: الفتاة المجهولة تبقى .. أنا

– إيه؟

انتحبت: والله ما كان قصدي حاجه .. بس أنا حبيتك من أول يوم شوفتك فيه، لكن أنت عمرك ما أدتني وش خالص؛ فبدأت ابعت الرسايل يمكن تعرف أنا مين لوحدك .. بس بعد كدا عرفت إني غبية؛ إزاي هتعرفها وأنت بتشوفها أكنها مش موجودة .. فضلت ابعت عشان مادام مش عارفه أكلمك مباشر أكلمك عن طريق الورق، وبعدين عرفت إن كل دا غلط وماينفعش أعمله .. فبطلت، بس والله ما كان قصدي لا ألعب بيك ولا أي حاجه

تركها فترة دون تعليق، انحصر نشيجها وتقطرت دموعها بعدما كانت سيولا، رفعت وجهها إليه على مهل تتلمس ردود فعله على ما قالت، اتسعت عيونها بعدم تصديق؛ فالابتسامة وصلت إلى أذنيه، سألته كالتائهة: أنت بتضحك على إيه ؟

– على غباءك يا حبيبتي

اغتاظت: تشكر يا ذوق

قهقه: مش قصدي حاجه وحشه، بس لو كنتي قولتيلي م الأول كان زمانا مع بعض من مدة

– قصدك إيه؟

– فضلت فترة محتار، بأحب مرام ولا البنت المجهولة أكتر ؟!، يا ترى مين فيهم .. ف لو حضرتك قولتي من بدري كنتي وفرتي عليا وعليكي كتير

أحمر وجهها خجلا: ما أنا خوفت تبعد عني وتفتكر إني بأضحك عليك

– بالعكس كنت عايز أشوفها وأعرفها لأني بدأت أحبها .. بس إزاي اتأكد من مشاعري من غير ما أشوفها ؟

– والرسايل فين دلوقتي؟

تأسف: حرقتهم اليوم اللي قبل كتب كتاب أحمد وف اليوم نفسه كنت سيبت باريهان .. ولسه هأطلبك للجواز لاقيت سي سامر طلبك .. وجنابك وافقتي، قولت يبقى ماحبتنيش وأتمنتلك السعادة حتى لو معاه

تعلقت برقبته: بحبك أوي، ماقدرتش أفكر إني ممكن أتجوز غيرك .. حتى مش عارفه قولت لسامر موافقه إزاي .. يمكن بسبب كلام باريهان معايا اللي عصبني

قطب وأبعدها محدقا في وجهها: ليه؟ قالتلك إيه؟

– إنك هتتجوزها وأبص أنا إيه وهي إيه عشان أعرف هو هيفضل مين فينا ع التانية

– طبعا!، إنتي حاجه وهي حاجه .. بس حرام دي ميتة دلوقتي .. انسيها وانسي كل كلمة قالتهالك

أومأت مؤيدة ثم انخرطوا سويا في الحديث المرح والمداعبات اللطيفة حتى عاد الزوجان الأخران ومعهم غداء إيطالي، أسرع أكرم في فتح إحدى العلب من شدت جوعها، لكن أذهله وجودها فارغة: إيه دا؟

أجابه بلا مبالاة: بيتزا

– وهي فين البيتزا أصلا ؟

أشار إلى معدته: هنا

تمتم بحنق: أما هي هنا .. جايب العلبة ليه ؟

ببرود: ذكرى

اقترب من مصطفى بخطوات متمهلة مدروسة: ذكرى ؟ .. دا أنا اللي هأخليك ذكرى

نهض مسرعا بينما يلحق به أكرم حتى احكم قبضته على تلابيبه: مش هأرحمك يا مصطفى

ردد الآخر: بريء يا بيه .. بريء يا بيه

قهقه: دا منظر واحد بريء ؟ .. دا منظر مسجل خطر

تدخلت فريدة تدافع عن زوجها: وهو في مسجل خطر شعره ناعم كدا؟ ولا عينيه عسلي كدا؟

حدق في عيونها بوله: وهو في مرات مسجل خطر قمر كدا ولا خدودها بتحمر كدا

تنحنحت مرام: نحن هنا يا سي مصطفى

أضاف مصطفى مجاملا: وهو في أخت مرات مسجل خطر دمها خفيف كدا

جذب أكرم أذن الآخر معاقبا: لالا، مراتك وقولنا حقك، أنتوا أحرار ف بعض .. لكن مراتي واستوب

حالما تحرر وقف يهندم ملابسه: استوبين تلاته

جذب مصطفى زوجته بين أحضانه وهمس في أذنها بصوت لم يصل إلى أذان الآخرين:

حاسس إن رجلك نملت

رفعت حاجبيها: لا مافيهاش حاجه

هز رأسه: لا لا، أنا جوزك وأنا أدرى .. هي منمله

سحبها مضيفا بصوت عالٍ: إحنا هنروح نفك التنميل يلا سلام

تسائلت مرام متعجبة: تنميل إيه ؟

– لا دي حاجه بيني وبين ديده كدا

ترددت خلفهم ضحكات أكرم الخبيثة، كرسالة أنه أدرك مقصد صديقه الحقيقي، التفت إلى زوجته وغمزها بمكر: أنا بأقول نروح زيهم ولا إيه رأيك ؟

– اللي تشوفه

– يبقى على بركة الله

تشبث بكفها جيدا، وتعلقت به كطفل خائف من الضياع بعيدا عن مصدر أمانه، غرد قلبها طوال الأسبوع، كل يوم في مكان جديد ابتداء من سوق ليبيا إلى شارع الاسكندرية مرورا بشاطئ عجيبة وصولا إلى شاطئ الغرام وصخرة ليلى مراد.

***

إثر عودتهم من أجازة ما بعد الزواج حاول أكرم اقناع أهل زوجته للإنضمام إليهم في منزل والديه لكن دون جدوى، تمسك عبدالرحمن ببيته وعشه في المنطقة الشعبية حيث الأنس والأصدقاء القدامى، لم تعترض إيمان على قرار زوجها؛ فأينما كان ستكون. استسلم الجميع للأمر وتركوا لهم حرية المسكن بشرط اطلاعهم على مستجدات الأمور وإن احتاجوا إلى شيء.

انطلقت فريدة مع زوجها في الطريق إلى مزرعته بعد قضاء عدة أيام في كنف أهلها؛ حتى تملئ جعبتها منهم قبل السفر، وصلوا إلى المزرعة وبعد المساعدة في تحضير الطعام اجتمعت مع زوجها لوضع خطة سير الأمور منذ ذلك الحين إلى ما شاء الله، ناقشها في الجزء الزراعي قبل الحيواني وشجعه على ذلك تفتح ذهنها وعقلها الراجح فأصبح يستشيرها في كل صغيرة وكبيرة متيقنا من صحة تفكيرها.

بدأوا العمل في الصباح التالي بكل همة ونشاط، هجرهم الكلل ولو لفترة من الزمان فيما حثهم الأمل والرغبة في النجاح على الإكمال.

توقفت فريدة أمام باب الحظيرة تعوض رئتيها عما تحملته من رائحة الروث وأنفاس البقر بلفحات من الهواء النقي الذي يحمل في جعبته عطر الزهرات ورحيق الورود، لمحت زوجها يحمل أحد الأكياس الضخمة الخاصة بالأسمدة فوق أكتافه وقد تحمم في عرقه من فرط المجهود، ابتسمت فلأول مرة اقترب من عماله وعاملهم بكل تبسط عوضا عن إصدار الأوامر

كما هو معتاد، ذهلوا كثيرا وكادوا يشهقون من الصدمة أما الآن فقد اعتادوا الوضع بل وصاروا يمازحونه دون خشية فقد العمل أو رزق اليوم.

حثت خطاها تجاه المنزل، أتمت عملها في الحظيرة لليوم والباقي ستتركه للعمال، ستقوم بتحضير وجبة شهية تعوض مصطفى عما بذله من جهد وتؤكد له أنها لن تهمله يوما.

***

اتفق أكرم مع زوجته على تأجيل الإنجاب لمدة غير معلومة الأجل؛ حتى يعطيها فرصة لتكبر هي في البداية قبل أن تفكر في إنشاء الآخرين، وقد اقتنعت برأيه عندما رأت ما تعانيه شقيقتها الكبرى هند مع وليدها الصغير جاسر، كانت تساعدها في الاعتناء به ومع كل يوم يمر يزيد تشبثها بتأخير الإنجاب. لكن الحال لم يدم طويلا، فرغم الإحتياطات وطمأنة الطبيب لهما شاء الرب أن تحمل في السنة الثالثة وصار ما باليد حيلة سوى الإنصياع لأمر الله.

***

بدأت تنتبه لتصرفاتها، تتحدث مع مصطفى في حدود المسموح فقط، وقد ساعدها على ذلك تنبيهات فريدة لزوجها بحجة غيرة آدم القاتلة مخفية حقيقة غيرتها هي الأخرى لكنه استشف ذلك بذكاءه وسرعة بديهته.

استقرت الأمور بين آدم ومصطفى منذ ذلك لتكون أفضل ما يكون، فالعائق بينهما قد انهدم بلا رجعة.

***

هللت فريدة عندما أعلمها زوجها أنه استطاع إقناع والديها بالقدوم والعيش معهما، فقد اتخذ حفيدهما مبررا كافيا، فيوسف الصغير يحتاج إلى رعاية دائمة مما يشكل ضغطا على فريدة؛ لا تريد إهمال ولدها وبذات الوقت لا تستطيع ترك أمور المزرعة.

انضم إليهم الجدين، فتسلم عبدالرحمن منصبا في الإدارة المالية بالمزرعة، بعدما أقنعه مصطفى أن هذا المنصب يحتاج إلى شخص محل ثقة أكثر من مهارات حسابية، فالمؤمن لا يلدغ من الجحر مرتين وقد حلت الأولى بالفعل.

شعر عبدالرحمن بالإنتعاش بعدما غمره شعور بالكدر وعدم الأهمية، فجلسته مع أصدقائه القدامى لم تلبث طويلا قبل أن تتحول إلى جلسات مملة لا تطاق، فلم يعتد في حياته على الجلوس دون عمل أما ما فعله صهره أعاد إلى نفسه روحها وغبطتها.

استغلت فريدة انشغال الجدين مع حفيدهما والتفتت إلى زوجها تطبع قبلة صغيرة فوق خده، نظر إليها بطرف عينه محاولا إخفاء ابتسامته لكن ذراعه لم تستطع مقاومة إحاطة كتفيها، يكفيه لمعة الفرحة التي رأها في عيون زوجها حالما شاهدت ترجل والديها من السيارة أمام منزل المزرعة.

***

مرت ثلاث سنوات على الزواج الثنائي، مرت بحلوها ومرها، فلا شيء دائم سوى العلاقات الإنسانية وصلة الرحم، شعر البعض بالفتور ثم عادوا إلى سابق عهدهم، ضيق ثم يسر، وهكذا تتوالى الأيام.

قدم الجميع إلى المزرعة بعدما صارت جنة الرحمن في الأرض، الهواء النقي الذي يلفح الأوجه فيعيد إليها انبساط أساريرها، الخضرة التي تشع من كل مكان عبر الأشجار وثمارها المدلاة.

شارك الكل في تعليق الزينات وتجهيز الجو المحيط بالمنزل للاحتفال بعيد ميلاك يوسف ابن مصطفى وفريدة فقد أتم عامه الثاني، كذلك الاحتفال بما وصلت إليه المزرعة من نجاح وخروجها من أزمتها بعد عناء.

وقف أكرم أعلى السلم المتنقل يتناول الأضواء الملونة من كف والده ليعلقها، وعلى الجهة الأخرى وقف أحمد نفس وقفته يأخذ شرائط الزينة الملونة من والد زوجته.

حمل مصطفى الطاولة الضخمة بمعاونة ياسين وبعض العاملين بالمزرعة من ضمنهم هشام، أعطاه مصطفى لإصلاح ما فعله وما تسببه من كارثة للمكان، لكنه قرر بعد ذلك أن يبقي عليه معهم دون أن يرفع عينيه عن مراقبته، لقد أثبت أمانته وتغيره عما كان.

انصرفت الزوجات والأمهات إلى المطبخ، يضيفون اللمسات الأخيرة على قالب الحلوى منزلي الصنع والأطعمة الأخرى، حتى والدة هشام مدت يد العون لهم؛ فقد استقرت معهم في

المزرعة خوفا من تركها بمفردها في سنها وحالتها المرضية وقد اتخذتها فترة نقاهة بعد نجاح العملية بقلبها.

أعد كل شيء وتحلق الجميع حول الطاولة بعدما أطفئوا الشموع وقدمت الهدايا، جمع العمال سويا مبلغا من المال واشتروا ليوسف سيارة صغيرة يلعب بها في الأرجاء، دار بها الصغير حولهم فرحا مهللا ثم بدأ يتبادل ركوبها مع أولاد عمه وخالاته وكذلك أبناء العاملين دون تفرقة، فقد تربى معهم جميعا بلا محاباة.

تركت عيون مصطفى جسد طفله الراكض من جانب إلى آخر وحطت فوق وجه زوجته الباسمة بعيونه البراقة، زاد حبه لها مع مرور الأيام، تحملته كما لم يفعل غيرها، وجدها إلى جواره تشد على ساعده في الضراء كما في السراء، لم تنفر منه في غضبه وأعانته على تحمل ضغط العمل، وأرشدته إلى الحلول والراحة الداخلية.

مسحت هند فم ابنها جاسر بالمنديل قبل أن تتركه يعود إلى لعبه مع بقية الأطفال، هدهدت مرام صغيرها ياسين حديث الولادة حتى يستقر في نومه، مد آدم كفه وبسطها فوق بطن زوجته المنتفخة التي تنبئ بحمل عمره ستة أشهر، حمد ربه أنه استقر مع زوجته أخيرا في بلده، لقد قدم استقالته من المشفى الأمريكي حتى يعمل في مصر بمشفى آخر قريب من منزلهم.

أقنعته ندى برجاحة عقلها، فيجب على طفلهما أن يدخل مدارس وطنها ويتعلم بها؛ على الرغم من ارتفاع مستوى التعليم في أمريكا لكن يبقى ابنها عربيا مسلما ولن تقبل يوما أن يستهين بدينه أو أخلاقه التي تجاهد في زرعها داخله. لا تريده أن يعتاد على رؤية الفتيات بملابس

عارية تظهر أكثر مما تستر، وغيرها من الأمور التي اقتنع بها آدم ووافق على الاستقرار في القاهرة.

مدت إيمان كفها بصحن صغير إلى حفيدها صاحب الحفل يوسف بعدما صمم على تناولها بمفرده دون مساعدة أحد، أخذ نصيبه وركض بعيدا، لكنه عاد بعد دقائق وقد رسم فوق شفتيه خطا يشبه الشارب ملتف الأطراف، انتاب الجميع موجة من الضحك على مظهره، إنه يوسف مصطفى بهيج الذي ورث عن والديه خفة الظل وأجمل ما فيهم من صفات وكذلك أسوءها، ومنها غيرته المفرطة على والدته.

أنبته والدته فيما تمسح وجهه بالمنديل: الشيكولاته للأكل مش اللعب

انتبه الجميع للحظة إلى الألعاب النارية التي أنارت السماء وفرقعت في الهواء، نظرت فريدة إلى زوجها مستفسرة، لكنها طمأنها، لقد اتفق مع أكرم كي يحضر بعضهم لإضفاء لمسة جميلة إلى حفل ابنه.

انتهز مصطفى انشغال الضيوف في مشاهدة المفرقعات والتفت إلى زوجته وقبض على كفها: كل سنة وإحنا مع بعض .. ويوسف بخير

آمنت باسمة: اللهم آمين

استجاب للحب الملتمع في أعينها بشغف: حاسس إن رجلي منملة .. ما تيجي تفكيهالي

لم تتمالك ضحكتها في حين سقط بصرها إلى بطنها المنتفخة دلاله اقتراب موعد الولادة: مافييش نَفَس أقوم من ع الكرسي أصلا

زفر بضيق: يظهر إن الست مريم هتطلع عينينا من دلوقتي

قهقهت: يعني هي حلوة على يوسف وعليها لا ؟

نظر في أعماق عينيها بوله: ومين قال إني ساعة يوسف كنت مبسوط يعني ؟

ربتت على يده: خلاص .. كلها شهرين بس

كظم غيظه: هما الشهرين دول شوية .. ربنا يستر عليا وما أموتش قبلها م الحسرة

اخرسته بسبابتها تمنعه من تكرار هذه الكلمات مرة أخرى: إخص عليك يا مصطفى، أوعى اسمعك تقول كدا تاني .. بعد الشر عنك

هام في نظرات قلقها عليه: خايفه عليا؟

همت بالإجابة عندما سقط ظل فوقهما، آتى هشام فزفر مصطفى بضيق شديد على المقاطعة غير المستحبة بالمرة: أهلا يا هشام .. في حاجه ولا إيه؟

غمر الخجل وجهه من استقبال رئيسه الجاف: لا أبدا يا أستاذ مصطفى .. جيت أهني يوسف وأديله هديته

نظرت فريدة إلى زوجها لائمة على طريقته الباردة، حاولت تلطيف الأجواء بابتسامة صافية: كل سنة وأنت طيب يا أستاذ هشام .. ماكانش في داعي تتعب نفسك .. كفايه الهدية اللي اشتركتوا فيها كلكوا عشانه

– لا تعب ولا حاجه، يوسف دا حبيب الكل .. ربنا يحميه

آمنت وحل الصمت لثوانٍ فاستأذن هشام منهما: طب عن إذنكوا بقى .. هأدي يوسف هديته واستأذن

فريدة: ما أنت قاعد معانا شوية

اعتذر بلباقة: لا معلش عندي شغل الصبح بدري

– ربنا يعينك

هتف بها مصطفى بعدما غاب الآخر عن الأعين: ما كنتي امسكي فيه شوية كمان .. ولا أقولك .. كنتي قومتي جبتيله كرسي بالمرة وفرشتيله الأرض ورد

أطبقت شفتيها بعتاب: دا بدل ما تعتذرله ع الكلام بتاعك، كسفت الراجل وهو ما عملش حاجه

سخر: اكتر م اللي إنتي عملتيه ؟

تأففت: مش أنت اللي مشغله هنا .. بتغير ليه بقى ؟

شعر بالغضب يكتم أنفاسه: دي أكبر غلطه عملتها فـ حياتي ومش قادر أعمل حاجه معاه عشان وعدته

بسطت كفها على أحد جوانب وجهه: أنا مش بأحب غيرك، ولو خيروني بينك وبين رجالة الدنيا كلها .. مش هأختار غيرك .. فهمت ؟!

ثم أضافت: وبعدين مامته بتفكر تخطبله واحدة قريبتهم .. يعني مش بعيد كمان كام يوم وتحضر خطوبته

استرخى بشدة وعادت الابتسامة تنير وجهه، أفاق من سعادته على صياح أكرم: بتتكلموا ف إيه يا خلابيص

صاح مصطفى في وجهه مفجرا غيظه: يا عم روح أنت التاني، ماهو قرك دا اللي جابني ورا .. أشوف فيك يوم يا بعيد

استدار إلى مرام وتابع انشغالها بهدهدة الصغير حتى يغط في النوم من جديد، لوى شفتيه ببؤس: شوف ياخويا براحتك .. أكتر من كدا إيه

قهقه: أحسن، ماهو من أعمالكم سلط عليكم

قال متحسرا: الواحد قعد يدعي إنها تجيب واد؛ عشان نبقى قوة ساحقه عليها

شاركهم أحمد ضاحكا: وحصل إيه ؟

شهق بخيبة: أنا اللي بقيت مسحوق يا عم

داعبه مصطفى: مسحوق غسيل ولا مواعين

تدخل آدم ضاحكا: مش فارقه كتير.. أهو كله بيغسل ف الآخر

أكرم بضيق: اتريقوا اتريقوا .. ما أنتوا مش حاسين بيا

أشفقت عليه هند فحاولت بث الطمأنينة إلى نفسه: فترة وهتعدي يا أكرم .. ما تكبرهاش كدا، يدوب أول 3 شهور بس

أحمد: أنت عارف سبب اللي أنت فيه إيه ؟

شهق بلهفة: إيه ؟؛ يمكن ألاقي الحل

انفجر شقيقه ضاحكا: نيتك السودا يا كرومه

أضاف مصطفى: أيـــووه .. فضل يتريق على كل واحد فينا لما مراته حملت وولدت وكان شمتان فينا، كل دا لأنه كان مأجل الخلفة لحد ما يخلص الدراسات العليا بتاعته عشان ما يتعطلش .. وأهو بقى حاله من حالنا

أكرم بندم: ياريتني ما كنت أجلت أهو كانت تعدي الفترة دي وأنا مشغول .. لكن كدا، هأموت بدري م الحسرة

صفعه آدم على فخذه: عشان تصفوا النية بقى

التفت إلى زوجته تصيح باسمه: أكرم .. هاتلي الشوخشيخة بتاعت ياسين م الشنطة جوا

غرق أصدقاءه في نوبة من الضحك على ما آلت إليه أموره، صاح آدم: بقى أخرتك شوخشيخة يا كرومه .. صحيح، الدنيا يوم لك ويوم عليك

تناولوه بينهم كالكرة، فعلق مصطفى: قصدك يوم لك وياسين عليك

أيده أحمد: تصدق أه

تأفف أكرم ونهض بغضب: يـــــــووه .. مش هأخلص منكوا .. أنا داخل

استمر مصطفى يلاحقه بالكلمات الساخرة دون أن يتوقف عن الضحك: طب أنا بأقول تجيب الشنطة كلها؛ بدل ما تفضل طول الليل رايح جاي .. أصلها هتبتدي بشوخشيخة وتخلص بــ (ممكن تغير له البامبرز يا حبيبي)

دلف إلى المنزل والغيظ يكاد يقتله، لكنه عمل بنصيحة صديقه؛ فعاد يحمل الحقيبة الخاصة بابنه والتي تحتوي على جميع أغراضه، عندما لمحوه مقبلا عليهم من جديد قهقهوا على تعبيرات وجهه البائسة؛ فقد مروا بنفس ظروفه لكنه لم يشعر بأحد منهم حتى وضع في محله.



تمت بحمدالله

ليس هناك نهاية .. فستستمر الحكايــة



.. أبطالي
هم أبطال حكايتهم فقط .. فلا تحسب أن الأبطال
.. هم فريدة ومصطفى أو أكرم ومرام
لقد أخطأت وبشدة!؛ لإن باريهان أيضاً بطلة لكن
في حياتها هي، سعد .. هشام .. حتى إيمان
.. وعبدالرحمن .. ياسين وصابرين
.فكل منا بطل ولكن في حياته
.ستأخذ روايتك بيمينك أو .. شمالك
فاسعى جاهداً كي تنال النهاية السعيدة الحقيقية
...

"الجنة"

سارة